

كتاب الهلال



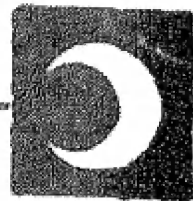
مسجلة
ثقافية
لهوية

دنيا الصحافة

محمسن محمد



كتاب المسألة



سلسلة
ثقافية
لعمري

دنيا الصحافة

محسن محمد



كتاب الهلال

سلسلة شهرية تصدر عن « دار الهلال »

رئيس مجلس الإدارة: مكرم محمد أحمد

رئيس التحرير: كمال النجوى

مكتبة التحرير: عايد عياد

مركز الإدارة

دار الهلال ١٦ محمد عز العرب

تليفون : ٢٠٦١٠ (عشرة خطوط)

KTAB ALHILAL

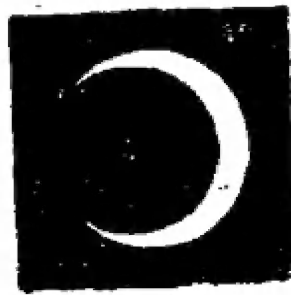
العدد ٣٩٤ - ذو الحجة ١٤٠٣ - أكتوبر ١٩٨٣

No. 394 October 1983

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى - ١٢ علدا - فى جمهورية مصر العربية ثلاثة جنيهات مصرية بالبريد العادى - وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى وباكستان خمسة جنيهات مصرية او مايعادلها بالعملات الحرة بالبريد الجوى وفى سائر انحاء العالم عشرة دولارات بالبريد العادى وعشرون دولارا بالبريد الجوى والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى القاهرة م. ع. بمحاولة بريدية غير حكومية وفى الخارج بشيك مصرفى لأمر مؤسسة دار الهلال وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة اعلام عند الطلب .

كتاب الهلال



مكتبة شهرية لنشر الثقافة بين الجميع

محسن محمد

دنيا الصحافة

دار الهلال

صحفى .. يحطم الصخور

اعتزل الصحفى العجوز العمل وترك صحيفته لابنه يديرها وهو ، بعد ، فى سن الخامسة والعشرين .

ولم تكن للابن خبرة أبية ، أو تجاربه ، فأراد أن يفرض رأيه على أحد الصحفيين الكبار فى الصحيفة اليومية ، ولكن الصحفى عارض ، واعترض وأصر على وجهة نظره .

وكان على المالك الشاب أن يتراجع ، أو يطرد الصحفى ..

.. ولأنه شاب فقد فصل الصحفى الكبير من عمله .. وعندما عرف مدير الجريدة ذلك أسرع الى الشاب يقول :

— هذا الكاتب لا يمكن الاستغناء عنه .. أبدا .

قال الشاب :

— لا أعتقد ذلك فلا توجد صحيفة تعتمد على رجل واحد ..

رد المدير :

— ومن قال انها تعتمد على ذلك الكاتب .. هناك

١٢ كاتباً ومحرراً ومندوباً لا نستطيع إصدار الصحيفة،
بدونهم ، أبداً .

قال الشاب :

— أريد قائمة بأسمائهم .

أسرع المدير يكتب أمام الصحفي أسماء الرجال ..
وأمسك المالك الشاب القائمة ثم وقع بامضائه على
قرار يقول :

« يفصلون جميعاً » .

فقد أراد المالك الشاب أن يقول للجميع أن صوته
وحده ، ورايه وحده ، يسود الصحيفة ويقرر مصيرها .

أما المالك الشاب فهو « جيمس جوردون بنيت » .

وأما الصحيفة فهي « نيويورك هيرالد » التي تصدر
في نيويورك .. طبعاً !

والى هذا المالك .. والى هذه الصحيفة التي تهتم
بالأخبار المثيرة والفضائح ، والتي اكتسبت أسوأ سمعة
في صحافة أمريكا كلها .. جاء شاب يسعى .

وكان تاريخ القادم يعادل تاريخ الصحيفة ويمثلها
في ماضيه .

طفل غير شرعى .

ولد في ويلز بانجلترا .

وتنكرت له أمه فعهدت به الى بعض اقاربها .

عمل في مصنع ، وفي سن الخامسة عشر فر الى
مدينة ليفربول ليعمل خادماً على سفينة نقلته الى أمريكا
حيث تنتظره مفاجآت أضخم .

تبناه رجل وأعطاه اسمه ، ولكن هذا الأب مات فجأة ، فعاد الشاب الى الضياع مرة أخرى .

اشترك - جنديا - فى الحرب الاهلية الامريكية .. وانتقل بحارا الى السفن التجارية وعاد للبحرية الامريكية ثم تركها ليشتغل بالصحافة أثناء التوسع فى الغرب الامريكى .

وسافر مغامرا الى تركيا وزار امه مرتين فى ويلز ولكنها تنكرت له .

وأخيرا قرر أن يشتغل بالصحافة ويتفرغ لها .. واختار - وعمره ٢٥ سنة - صحيفة نيويورك هيرالد ميدانا لنشاطه الجديد .

وقدم نفسه الى « جيمس جوردون بنيت » المالك الشاب .

اما الصحفي فهو « هنرى مورتون ستانلى » .. وهو الاسم الذى اختاره له أبوه بالتبنى .

ولم يطلب أن يعمل فى أمريكا ، أو فى مكان ميلاده فى انجلترا ، أو تركيا التى زارها بل اختار الحبشة ..

قال لصاحب الجريدة :

- لن تدفعوا لى شيئا . سأسافر على نفقتى .. عندى ٣٠٠٠ دولار جمعتها من أعمالى السابقة .. ولكن ادفعوا لى ثمن ما ينشر .

.. وبالمناسبة كان الجنيه المصرى يعادل ٥ دولارات فى ذلك الحين !

ووافق صاحب الصحيفة فالصفقة بالنسبة اليه ليست خاسرة ..

.. وكانت الحبشة فى منتصف عام ١٨٦٧ عالما آخر .. لا يهم أمريكا فى قليل أو كثير ولكن ما دامت الصحيفة غير ملتزمة إلا بنشر ما يعجبها ودفع الثمن الذى تراه فإن الصفقة تعتبر مجزية !

استطاعت بريطانيا اخماد ثورة الهند بـ ١٥٠٠ رجل . ودخلت حرب القرم فعانى الجيش البريطانى خسائر ادت الى استقالة الوزارة وتعيين بالمرستون رئيسا للوزارة ...

وجاء دور الحبشة لتتحدى انجلترا التى وجهت اليها قوة تتألف من ٥٢٠ ضابطا و ١٣٦٠٠ جنديا و ١٦ ألفا من القوات المعاونة و ١٦ ألف « بغل » و ٤٧٠٠ جمل و ٢٥٠٠ جواد و ٢٢ ألف رأس من الماشية لطعام هذا الجيش .. وأخيرا أضخم الاساطيل .

استطاع « تيودور » عام ١٨٥٥ أن ينتصر على أعدائه فى الحبشة ووحدها وظل ١٢ عاما عليها كامبراطور . وجاءت الارساليات تبشر بالمسيحية .

وتبادل الامبراطور والملكة فيكتوريا الرسائل والعلاقات الدبلوماسية وبعثت اليه الملكة بمسدسين هدية .

وفى عام ١٨٦٢ انصرف الامبراطور الى الخمر والنساء والاستبداد وقتل كل أعدائه حتى من كانوا بين افراد أسرته .. وأرسل الى الملكة فيكتوريا فى فبراير ١٨٦٣ يطلب منها استقبال مبعوثه الخاص .

وقال للملكة انه يريد معاونتها لانه يستعد لقتال

الأتراك .. وكانت بريطانيا تؤيد الامبراطورية العثمانية وتخشى عليها من التمزق .

وتلقى اللورد راسل - وزير الخارجية - رسالة الامبراطور فأهملها ٦ شهور كاملة .

وضاق الامبراطور من تجاهل انجلترا لمبعوثه فألقى بالقنصل البريطانى فى السجن .

وبعد ٣ شهور جاء الرد البريطانى غامضا ، مبهما ، ليس فيه شيء واضح عن نية الملكة فى استقبال مبعوث الامبراطور .

وعلى ذلك ألقى الامبراطور فى السجن بالقنصل البريطانى وعشرين من أفراد الارساليات من الجنسين وكذلك أطفالهم .

ولم يكتف تيودور بذلك بل أمر بقيد كل المساجين بالسلاسل .

ولم تستطع الجهود الدبلوماسية البطيئة ان تحقق معجزة فقررت بريطانيا اعلان الحرب على الحبشة .

وجاء « ستانلى » الى القاهرة فى أواخر يناير ١٨٦٨ ليرافق الحملة البريطانية .

رفض الإنجليز الاعتراف بصحفى أمريكى مجهول يمثل صحيفة سيئة السمعة ، وتوزيعها كبير .

ولكن مراسل الصحيفة فى لندن استطاع اقناع وزارة الخارجية البريطانية لتسمح « لستانلى » بمرافقة القوات الفازية .

وقبل أن يستقل الباخرة من السويس ذهب الى مدير مكتب البرق والبريد وقدم له رشوة ضخمة وعقد معه اتفاقا بأن تكون برقيات أول ما يرسل من السويس وان

تسبق كل برقيات الصحفيين الآخرين .. فقد تعلم ستانلى خلال مفامراته أن مثل هذا الامر لا يمكن أن يترك للبروقراطية أو الحظ .

ولم تكن خطوط البرق قد اتصلت بين الحبشة ولندن .. والسويس وحدها نقطة الاتصال . ومنها تنطلق كل البرقيات الى لندن .. ثم الى نيويورك .

وأما الدرس الثانى الذى اتقنه « ستانلى » فهو ان يسافر خفيا فهذا شأن المراسلين الحربيين .

ذهل الضباط الانجليز عندما رأوا « ستانلى » يهبط من الباخرة وحده غرب الحبشة .

ذهل بدوره من الضباط الذين يضعون القفازات فى أيديهم ويضعون الاوشحة على وجوههم خوفا من الحر والذباب .. فوصفهم - بعد ذلك - بأن الانوثة تغلب عليهم .

قالوا له :

- لا بد لك من ٦ خيول لمتابعة القوات ، وأربعة من الخدم لك وللخيول .

رفض ..

وتابع المعارك القصيرة التى انتهت بانتصار الانجليز وانتحار تيودور وتحرير الاسرى .. ولم تفقد انجلترا سوى ٤٠ من رجالها قتل الحر والمرضى معظمهم ، ولم يقتلهم المدافعون ..

وهكذا سقطت مدينة « مجدالا » التى يتحصن فيها الامبراطور .

ولم ينتظر « ستانلى » ..

أسرع الى شاطئ البحر الأحمر يقفز بجواد من الجبل الى الماء ويلحق بأول باخرة الى السويس .

ولكن الكوليرا انتشرت في مصر ..

وضعت الباخرة في الحجر الصحي خمسة أيام .

ومرة أخرى لم ينتظر ستانلى بل « هرب » أول برقيات الى مكتب البريد مع رسالة شخصية الى مديره يذكره فيها بوعوده القديمة .

وصلت البرقية الى لندن ومنها الى نيويورك تحمل نبأ سقوط « مجدالا » وانتحار تيودور .

وبعد الافراج عن الباخرة تابعت برقيات ستانلى .

ويتدخل الحظ ، غالبا ، ليناصر كل صحفى مجتهد ومثابر فيتعطل - بعد ذلك - الخط بين الاسكندرية ومالطة وتنتقل رسائل الصحفيين الآخرين ، وتقارير قائد الحملة البريطانى ، من الاسكندرية الى مالطة بالباخرة .

وفي نفس الوقت تنتقل الأنباء التى نشرتها « نيويورك هيرالد » من نيويورك الى لندن قبل أن تعرف وزارة الحرب البريطانية ان قواتها انتصرت وان « مجدالا » سقطت .

وتسارع الحكومة البريطانية الى النفى ..

وتسخر كل الصحف البريطانية من ستانلى وال « هيرالد » .

ولكن البرقيات الرسمية تصل فى موعدها المتأخر وتضطر الحكومة البريطانية الى ان تعلن أن كل ما نشرته الصحيفة الامريكية .. صحيح .

ويكتب « ستانلى » الذى بقى فى الاسكندرية مذكراته
يوم ٢٨ يونيو ١٨٦٨ قائلا :

« أصبحت الآن محررا دائما فى الصحيفة ، وآمل أن
يكون السبق الصحفى الثانى الذى أحصل عليه معادلا
للأول » .

ولكن السبق الثانى كان اعظم !

من مدريد حيث تابع أنباء الحرب الاهلية الإسبانية
استدعى « ستانلى » الى باريس لمقابلة « بنيت »
عام ١٨٦٩ .

وكان اللقاء سريعا وحاسما ..

قال « بنيت » :

— ابحث عن « لفنجستون » .

ولم يكن العالم قد سمع عن لفنجستون خلال الـ ٣
سنوات السابقة .

كان الطبيب قد سافر عام ١٨٦٦ الى قلب افريقيا
لاكتشاف بحيراتها الوسطى ومنابع النيل .

وكان القنصل البريطانى فى جزيرة زنبار قد ارسل
البعثات عن الطبيب ولكن البعثات لم تصل وقالت أنباء
كثيرة ان « لفنجستون » قد مات لأن أحدا من الاوروبيين
لم يره خلال ٣ سنوات .

وتلقى ستانلى أغرب تعليمات من « بنيت » ..

لم يطلب منه أن يتوجه مباشرة الى مصر أو افريقيا ..
بل قال له :

— احضر فى مصر احتفالات افتتاح قناة السويس . وقم
برحلة فى النيل واكتب ما يفرى الأمريكين ، وتوجه

الى سوريا وفلسطين وتركيا والقرم وبحر قزوين والخليج
الفارسي وأخيرا الهند .
وقال أيضا :

— اذا لم يكن العالم قد سمع عن « لفنجستون » حتى
ذلك الحين فابحث عنه ان كان حيا .. وان مات نريد
الدليل .

وهكذا وصل « ستانلى » الى جزيرة زنبار فى
٦ يناير ١٨٧١ .

وفى ٢١ مارس هبط الى الساحل الافريقى لىبدأ رحلة
البحث فى مناطق مضطربة .. فيها قبائل تتقاتل ،
وأمرض تفتك بالبشر ، وطرق مملوءة بالفجاسبات
والوحوش .

وكان مساعدو ومعاونو ستانلى يمثلون نموذجا غريبا
من الافارقة ..

البعض يلتحق بالرحلة للحصول على العربون .
وآخرون فرارا من مصير لجرائم ارتكبوها .. حتى
ان احدهم كان قد قتل سبعة .
والبعض طلبا لبعض السلاح والطعام ثم الهرب بعد
ذلك .

وعلى اية حال فان « ستانلى » استطاع خلال ٨ شهور
ان يصل الى مدينة اوجيجى حيث التقى بلفنجستون
— يوم ١٠ نوفمبر ١٨٧١ — وقال له عبارته الشهيرة :
« أحسبك الدكتور لفنجستون » .
او :

« الدكتور لفنجستون فيما أظن » .
ويحرص « ستانلى » على ان يسمع تفاصيل الـ ٣
سنوات التى عاشها الطبيب البشر فى قلب افريقيا .

ويكتب وصفا تفصيليا للبيئة التي يعيش فيها ،
وملابسه ، وحذاءه الممزق ، وكتفه الذي نهشه أسد
وملامحه وكل شيء عنه .

ويحصل من « لفنجستون » على رسالة الى صاحب
الصحيفة .. وكذلك يوميات الرحالة .

ويمضيان في رحلة الى بحيرة تنجانيقا ، ويقطعان ٣٠٠
ميل معا في قلب افريقيا .

طلب « ستانلي » من « لفنجستون » ان يعود معه
الى زنبار ..

وكان هذا العرض انسانيا فان عودة الطبيب تعنى
ان يفقد « ستانلي » السبق الصحفي الذي ناله ، ويعود
الفضل كله للطبيب .

ومن حسن حظ « ستانلي » ان « لفنجستون » أصر
على البقاء في افريقيا ومات فيها بعد عام كما ماتت
فيها زوجته قبل ذلك .

.. افترق الرجلان بعد ان ترك ستانلي جانبا من المؤن
لزميله ثم أسرع عائدا الى زنبار فقطع المسافة في ٥٤
يوما وأبرق في مايو ١٨٧٢ الى الصحيفة يصف قصة
عثوره على « لفنجستون » فيشير العالم بأكبر سبق صحفي
خلال قرن كامل .. أو السبق الذي لم يحصل عليه أحد
قبل ذلك .. وحتى الآن !

والغريب في الامر ان ستانلي الذي التقى بالرحالة
في نوفمبر ١٨٧١ لم ينشر النبا الا في مايو ١٨٧٢ أى بعد
٦ شهور كاملة ومع ذلك فان أحدا غيره لم يسبقه فان
سمة ذلك العصر .. البطء الرهيب في الحصول على
الاخبار .. وفي نشرها أيضا !

عاد « ستانلى » الى باريس ومنها الى لندن .
وهناك ، مثل أى صحفى ناجح ، وجد حقدا من زملائه
أضيفت اليه أحقاد الرحالة الانجليز لأن ستانلى كان قد
تجنس بالجنسية الامريكية وأصبحت الكرامة الوطنية
فى خطر . . فان الذى اكتشف « لفنجستون » لا ينتمى
الى بلاد الانجليز .

قالت الصحف البريطانية ، وكذلك الجمعية الجغرافية
الملكية البريطانية أن رسائل لفنجستون للهيرالد مزورة . .
وأن الخط ليس خط الرحالة ، والاسلوب ليس اسلوبه
وكذب ابن لفنجستون ذلك وقال :

— هذه يوميات أبى .

وقالوا أنه لم يذهب الى يوجيجى ، ولم يلتحق
« بلفنجستون » بل أنه التقى فى الغابات بمبعوث من
الرحالة كان يحمل الوثائق فأخذها منه وأسرع الى زنجبار
يكذب ويدعى .

وانتشرت أغانى الساخرة عن « ستانلى » .
وكان كل انجليزى يقول لصاحبه :
— مستر فلان . . كما اعتقد .

وآمن ستانلى أن أعداءه لم يستطيعوا اثبات أنه كاذب
ولذلك فإنهم عازمون على تأكيد أنه أحمق .
واستغلت كلمات اللقاء الشهيرة فى الاعلانات .
ورد « ستانلى » قائلا :

— ماذا أفعل . كنت مضطرا ، أمام الجميع ، أن اتحدث
بكبرياء .

ولكن الهجوم استمر على « ستانلى » .
الجمعية الجغرافية الملكية رفضت دعوته لمناقشته فيما

جاء به من أخبار عن منابع النيل ، أو يوميات الرحالة
وقال سكرتير الجمعية :

— هذا الفتى لم يقم بعمل جغرافى .

وتماذى رئيس الجمعية فقال :

— لا أرى ما يدعو للاجتماع « ستانلى » فان ما بعث

به « لفنجستون » لا يهم الجغرافيين .

ونشر جيران « ستانلى » فى ويلز قصة حياته وانه ابن

غير شرعى ووضعوا ماضيه كله أمام الناس ..

واضطر « ستانلى » لأن يرد ..

قال :

فى اول الأمر أثرتم الشك فى صدق روايتى .

واتهمتمونى بتزوير الخطابات التى جئت بها .

وأثرتم الشبهات حولى .

وأخيرا اتهمت بالاثارة .

والحقيقة انكم بعد أن دفنتم « لفنجستون » فى زوايا

النسيان تكرهون أن يقال لكم أنه على قيد الحياة .

ولكن الناس استقبلوا « ستانلى » بطريقة أخرى ..

فى تلك الايام لم تكن الصحف تنشر صوراً على الاطلاق

ولذلك وضعت صور ستانلى فى نوافذ المحلات .

ورسمت صورته فى متحف الشمع .

وأهدته الملكة علبة « نشوق » .

واضطر رئيس الجمعية الجغرافية الملكية الى دعوة

ستانلى ليلقى مجاضرة عن رحلته استمع اليها ، فى مقدمة

الصفوف ، امبراطور فرنسا المخلوع نابليون الثالث

وزوجته أوجينى التى حضرت افتتاح قناة السويس

عام ١٨٦٩ .

وبعد المحاضرة استمرت أيضا المرافة .
وقف أحد أعضاء الجمعية يقول :

— لم نأت هنا لنسمع قصصا مثيرة بل جئنا لنناقش
حقائق جادة .

رد « ستانلى » فى الصحف فوصف كبير منتقديه
قائلا :

« انه جغرافى يقيم فى انجلترا » .

.. يقصد انه لا يرحل ، ولا يكشف .

وفى المأدبة التى أقامتها له الجمعية الطبية الملكية
البريطانية ضحك الاعضاء لانه كان يتكلم ويشير بيديه .
... والانجليز « المهدبون » لا يحركون أيديهم أثناء
الحديث وتكن « ستانلى » كان قد تعلم ذلك أثناء حديثه
مع الأفارقة .

ورأى ستانلى أن يرد بقسوة ..

توقف أثناء الحديث وألقى جنيها ذهبيا على المائدة ،
وكأنه ثمن طعامه ، ثم انحنى لرئيس الجمعية وانصرف .
وقال للجميع بعد ذلك ..

« رحلت الى افريقيا لاكتشف لفنجستون ، لا لاكتشف
نفسى » .

وأرسلت الملكة فيكتوريا تدعوه للقائها فاضطر رئيس
الجمعية الجغرافية للذهاب اليه وصحبه للاجتماع ..
وخضعت الجمعية الجغرافية فى نهاية الامر فأهدته
ميداليته .

ونشر كتابه الشهير « كيف عثرت على لفنجستون »
وكتب فى المقدمة انه يهديه الى « بنيت » صاحب الجريدة
الشاب .

بل انه اطلق اسم « بنيت » على مجموعة من الجزر الصغيرة فى بحيرة تنجانيقا .
ولم يكن فى استطاعة ستانلى ان يفعل أكثر من ذلك لصاحب الصحيفة الذى أصبح شديد الغيرة من نجاح صحفى يعمل لديه .

قال « بنيت » للصحفيين يعزى نفسه :
— اذا كان ستانلى قد اكتشف لفنجستون فقد اكتشفت ستانلى .

عندما كلف « بنيت » « سستانلى » بالبحث عن « لفنجستون » قال له :
— سنمول رحلتك كلها .

وكان مرتب « ستانلى » بعد انتصاره فى الحبشة . . .
جنيه سنويا .

قال ستانلى :

— كيف ؟

اجاب بنيت :

— اتفق ألف دولار . . . وعندما تنتهى انفق ألفا اخرى . . . وهكذا .

وذهب ستانلى الى زنبار فوق ايسالات ب ٨٠٠٠ دولار قبل ان يرحل الى قلب القارة .

وكان القنصل الأمريكى هناك هو الذى تعهد بأن تقوم الصحيفة بسداد كل الديون .

ولكن ستانلى غاب ٨ شهور فى رحلته .

وخلال تلك الفترة أعلن « بنيت » انه لن يسدد دولارا واحدا من ديون « ستانلى » . . . أو ديون الصحيفة .

ولكن النجاح والشهرة والسبق الذي حصلت عليه
« الهيرالد » أرغم « بنيت » على السداد .

ونجحت صحيفة واحدة في لندن في ذلك الحين وهي
« الديلي تلجراف » فقد وقفت مع « ستانلى » ضد باقى
الصحف وضد الجمعية الجغرافية أيضا .

وكان مندوب هذه الصحيفة فى باريس واسمه « لى
ساج » قد استقبل « ستانلى » عند قدومه من إفريقيا
وأجرى حديثا معه عن انطباعاته وما رآه .. وقصته
مع « لفنجستون » .

وزاد توزيع « الديلي تلجراف » ..
وخاف « بنيت » على السبق الصحفى الذى نالته
جريدته فأبرق الى « ستانلى » فى باريس يقول :
« اصمت » .

ولكن « لى ساج » .. أصبح رئيسا لتحرير « الديلي
تلجراف » !

وصل « ستانلى » الى نيويورك فى نوفمبر ١٨٧٣ .
استقبلوه فى عرض البحر بلافتات التهئة بعد غياب
٥ سنوات .

وقابله « بنيت » - يوم ٢٠ نوفمبر - ١٠ دقائق ..
نفس مدة لقاء الصحفى بالملكة فيكتوريا .
ولكن الحق الصحفى سريع العودى ، وسريع
الانتقال .

الصحف المنافسة فى نيويورك كتبت تصف ستانلى
باحت ماثيثيت عريض :
« منافس . مخادع . كاذب . قاتل » .

فقد قتل عددا من الافريقيين اثناء اشتراكه في القتال
خلال رحلته وانضمامه لقبائل وملوك ضد قبائل وملوك
آخرين .

وجد ستانلى ردا ..

عرض على زواره قبعة لفجستون وقال :
- يتهموننى بتزييف القصص فهل زيفت ايضا قبعة
الطبيب .

ودعاه الكاتب الساخر مارك توين لالقاء محاضرات فى
امريكا وقال له :

- ستكسب من هذه المحاضرات . ٥ الف دولار سنويا .
ولكن ستانلى لم يكن خطيبا موقعا بل موهبة فى قلمه .
وبقى فى امريكا يتقاضي ٤٠٠ جنيه فى السنة من
نوفمبر حتى ابريل عندما استدعاه « بنيت » ليطلب منه
العودة ، كما كان ، مراسلا للصحيفة فى مدريد مع رفع
مرتبه الى الف جنيه سنويا .

وبهذا العرض أصبح « ستانلى » صحفيا عاديا ، لم
يغامر ، ولم يكتشف ، ولم يتعرض للموت ولم يضاف الى
تاريخه ، وعلم الجغرافيا أى جديد .

ومع ذلك سافر الى اسبانيا ثم رافق حملة السير
« جارنيت وولزلى » ضد قبائل « الاشانتى » .

وولزلى هو القائد البريطانى الذى حارب عرابى بعد
ذلك واحتل مصر .

وكان تعليق ستانلى على القائد انه حقق انتصاره الاكبر
على الصحفيين فقد عرقل ، بكل الطرق ، عملهم ، وأدأهم
لواجبهم !

لم يستطع ان يحتفظ بقلبه بعيدا عن افريقيا ذهب الى صحيفة « الديلى تلجراف » يعرض عليها ان تمول رحلة يقوم بها بالاشتراك مع « الهيرالد » لاكتشاف نهر الكونغو، فوافقت على ان تدفع ٦٠٠٠ جنيه .

وقد اراد باشتراك « التلجراف » ان يرغم « بنيت » على المساهمة . وعندما بعث اليه بالعقد رفض « بنيت » ان يوقع عليه وأبرق بعد ٢٠ ساعة بكلمة واحدة : « موافق » ..

وهكذا بدأ رحلته الجديدة فى ١١ نوفمبر ١٨٧٤ من مدينة زنبار ليكتشف نهر الكونغو ويصل الى مصبه بعد ٣ سنوات فى ١٢ أغسطس ١٨٧٧ .. على ساحل المحيط الاطلسى مخترقا القارة من شرقها الى الغرب بعد ان خاض ٢٦ معركة .

وخلال الـ ٣ سنوات مات كل رفاقه البيض ومن ٣٥٠ افريقيا تمّاش ١٠٦ فقط . وضاعت أول برقية كتبها للصحف - الف كلمة - لان الرسول لم يسلم الرسالة فى زنبار .

وحتى ذلك الوقت كان مستأنلى صحفيا رحالة يكتشف ..

كان يكتب الرسائل ولا يعلم هل تصل الى الصحف ، او لا تصل .

ليس عنده جهاز لاسلكى ، ولا مكتب للبريد او البرق ولا تصله الرسائل من أحد ٣ سنوات كاملة وعليه ان ينتج او يموت . يحقق حلمه او يدفن فى الغابات وقد لا يدفن .

وفكر فى الانتحار ..
 ومرض أكثر من مرة ..
 وقاتل .. وقتل واتهم بالوحشية ..
 ولكنه عاش فى عزلة ، أو فى سجن الغابات لا يعرف
 ما يقوله الناس عنه ، قطعت صلته بالعالم الخارجى ،
 ولا يصله رد فعل أعماله ..
 لا يقرأ الصحف ولا يستمع الى اذاعة ، ولا يرى نفسه
 على شاشة التليفزيون ٣ سنوات كاملة ، ففى القرن الماضى
 كان هذا كله أبعد من أحلام المخترعين وآمال كل
 الصحفيين .
 وما أنفق عليه ينفق على صحفى واحد فى رحلة واحدة
 .. هذه الايام .
 وما لقيه من مفاسد ينوء به جيل كامل من
 الصحفيين .
 وفوق هذا كله فانهم لم يتركوا له اعترافا بنجاح
 يشجعه ، ويدفعه للمزيد .
 وكان لابد أن يتحول عن الصحافة ..

بعث اليه « ليوبولد » ملك بلجيكا ليكون مبعوثا خاصا
 له ينشئ دولة فى الكونغو .. يقيم المحطات ويمد
 الطرق ، ويسير السفن ، ويعد المستوطنات .
 وتكلف الملك فى أول الامر ١٢ ألف جنيه سنويا مقابل
 هذه العمليات ارتفعت بعد ذلك الى ستين ألفا .
 واستغرقت هذه المهمة ٥ سنوات كاملة .
 عام ١٨٧٩ حتى عام ١٨٨٤ - فى زمن ، كان فيه التناحس

ضخما ، للاستيلاء على افريقيا بواسطة القوى الاوربية
عن طريق بعض المغامرين .

وانتهى الصراع فى مؤتمر برلين عام ١٨٨٤ الذى
حضرته ١٤ دولة بعد أن فرضت المانيا الحماية على
توجولاند والكاميرون فى غرب افريقيا .

واعترف المؤتمر بسيادة ملك بلجيكا ليوبولد على
الكونغو وبركاجتها ٩٠٠ الف ميل مربع نالت فرنسا
٢٧٥ ألف ميل والبرتغال ٣٥١ ألف فى قلب افريقيا .

وكانت البداية رحلة صحفية مثيرة لاكتشاف المجهول
قام بها صحفى أطلقوا عليه اسم « محطم الصخور » !

مجلة .. للغاضبين

ليست اكبر الصحف البريطانية توزيعا ولا أكثرها ثراء .. وعدد محرريها ومراسليها لا يتجاوز العشرة .. ومع ذلك أحب كلما زرت لندن أن اتجه اليها لأنها الجريدة الوحيدة التي تسير على مبدأ (خالف تعرف) .. وهي تخالف .. ولكنها في معظم الأحيان على حق !

ان توزيعها يبلغ ٣٢ ألف نسخة تقريبا ، وإيراداتها من الاعلانات مائة ألف جنيه شهريا وهذه الأرقام تعتبر تافهة جدا بالقياس إلى الخمسة المئتين نسخة التي توزعها جريدة أسبوعية مثل « نيوز أوف ذي ورلد » .. وبالقياس إلى إيرادات الصحف من الاعلانات والتي يتراوح سعر الصفحة الواحدة فيها بين خمسة وعشرة آلاف جنيه .

ومع ذلك فان هذه المجلة الصغيرة ، محدودة الانتشار ، أثرت في السياسة البريطانية منذ صدر العدد الاول منها في فبراير عام ١٩٠٣ .. ولا تزال هذه الجريدة تفرض رأيها على الساسة البريطانيين .

وقصة هذه المجلة واسمها «نيوستيتسمان أند نيشن» ومعناها السياسي الجديد والأمة هي قصة شهيرة في بريطانيا .

وقصة اليسار فى بريطانيا تختلف عن قصته فى روسيا .

فى القرن الماضى كان المثقفون اليساريون فى روسيا يطاؤون أرضا بكرة وهم يحدثون الفلاحين الروس عن الاشتراكية .. ويستشهدون (أى اليساريين) فى سبيل عقيدتهم .

أما المثقفون اليساريون فى الغرب فلم يجدوا أرضا عذراء يحرثونها ولا حلفاء لهم يشاركونهم آمانيهم .

وفى الشرق .. أى فى روسيا فإن المثقفين انضموا للعمال ليخططوا لهم . ولكن فى وسط وغرب أوروبا ، فإن العمال كانوا قد أسسوا ، وبسرعة ، منظماتهم ، وأحزابهم ، وتقاباتهم .. وكان لهم - أيضا - قادتهم .. وهم رجال بيروقراطيون عزيزتهم حديدية ، ورعوسهم خشبية لا تلين .

وعلى هذا الأساس كان هناك فارق ضخم بين اليسار المثقف فى شرق ، وفى غرب أوروبا .

واليسار فى بريطانيا بدأ بالجمعية الفابية فى عام ١٨٨٢ - عام الاحتلال البريطانى لمصر - أسسها بعض أبناء الطبقة المتوسطة بقيادة إدوارد بيس .. ألهمهم فكرتها كتاب ألفه « هنرى جورج » اسمه « .. التقدم والفقر » .. وغاية الجمعية النهائية إعادة بناء المجتمع على أساس أخلاقى .

وكان ممكنا أن يستمر عمل الجمعية محصورا فى نطاق الخير لولا أن « برنارد شو » حضر أحد اجتماعاتها ثم كتب يحدد هدف الجمعية ويحدد غايتها .

● ان نظامنا الزراعى الحالى يعنى تقسيم المجتمع الى طبقتين متصارعتين الاولى لها شهية مفتوحة ، ولا تجد عشاءها ، والثانية لديها عشاء متوافر ، وشهية مغلقة .

● ان تأميم الارض بشكل عام ضرورة .

● ليس من حق الحكومة الحاضرة أن تسمى نفسها الدولة ، والا كان من حق دخان المصنع أن يسمى نفسه طقس بلادنا .

● من الافضل لنا ان نواجه حربا اهلية بين الطبقتين المتصارعتين من أن نعيش قرنا آخر من العذاب . .

وفى يناير ١٨٨٥ احضر شو معه الى مقر اجتماع الجمعية الفابية رجلا آخر اسمه « سيدنى ويب » .

وبعد سنوات كتب « برنارد شو » يقول انه رأى فى « ويب » الرجل الذى تحتاج اليه الجمعية .

وكانت نظرية شو صحيحة ففى الاجتماع الثالث الذى حضره « ويب » انتخب عضوا فى الجمعية ثم اشتهرت الجمعية الفابية بعد ذلك باسم « سيدنى » و « بياتريس ويب » ونسى الناس مؤسس الجمعية « ادوارد بيس » .

ولم يكن معقولا أن تقوم هذه الجمعية دون أن يكون لها لسانها الناطق فعلا أصدرت مجلة اسمها « الحملة الصليبية » ماتت فى مهدها .

وأصدرت الجمعية بعد ذلك مجلة « النيوستيتسمان » وقبل صدورهما همس الكاتب الاديب والمفكر البريطانى « ه . ج . ويلز » فى اذن « بياتريس » قائلا : « ان

مجلة مستقلة ، لا ترتبط بأحد ، عندها فرصة الحياة .
أما اذا تحيزت فستموت » .

واذا اجتمع « شو » و « سيدنى » و « بياتريس ويب »
معا لاصدار مجلة فمعنى ذلك ان هذه المجلة يجب ان
تكون اشتراكية تنطق باسم الجمعية التى قامت تدعو
للخمر ثم منحها الاشتراكيون الثلاثة فكرة يسارية وخطا
يساريا .

ومن اليوم الاول قالت المجلة .. « ان الحرية السياسية
شئ تهتم به اذا كان لديك ما يكفى من طعام تأكله ..
وملابس تغطيك ، وسقف يحميك ، ونوع من الطمأنينة
يظلك .. ان الذين لديهم هذا كله قلة يتمتعون بمستوى
عال من المعيشة .. اما الاغلبية فلا تجد ما يكفيها ولذلك
ستقوم بثورة للحصول على الخبز » .

ولكى نعرف أهمية هذه المجلة ، فى تلك الفترة ، يجب
ان نذكر انه كان فى بريطانيا فى ذلك الوقت حزبان
الاحرار والمحافظون .. وكان الحزبان على استعداد
لاصدار تشريعات تخفف آلام الناس ، وذلك ، بين الحين
والآخر .. اما ان تتحمل الدولة مسئولية بعض الجوانب
الاقتصادية فى حياة الناس لاسباب اجتماعية .. فان
هذه الفكرة كانت تبدو مستحيلة وسخيفة ومرعبة
للحزبين . ورأى الحزبان فى تدخل الدولة بين صاحب
العمل والعمال شذوذا ولم يخطر ببال الاحرار والمحافظين
على الاطلاق ضرورة التخطيط الاقتصادى لانقاذ الملايين
من الفقر .

ونشأت بعد ذلك فكرة نقل ملكية الصناعة والاشراف

عليها الى النقابات العمالية .. اما تدخل الدولة فلم يقل
به أحد حينذاك الا جريدة السياسى الجديد .

وقصة انشاء الجريدة تعتبر قصة كفاح من نوع
نادر .

كان يجب لتنجح الجريدة ان توزع ٣٠٠٠ نسخة على
الاقل ، ورؤى ان مقالات « برنارد شو » يمكن ان تجذب
الف مشترك ، ومقالات « ويب » ٥٠٠ ومقالات المحرر
الادبى « سكوير » توزع مائة نسخة ومعنى ذلك ان المجلة
ستموت .

ورغم ذلك كله صدرت المجلة براسمال قدره خمسة
آلاف جنيه تبرع « برنارد شو » بألف منها وكذلك
« ويب » و « بياتريس » وجمعت باقى الاكتتابات من
مساهمين صغار أعضاء فى الجمعية الفابية .

واختير صحفي اسمه « شارب » رئيسا للتحضير
بمرتب ٥٠٠ جنيه سنويا ومنح ٥٠ جنيهها ليسافر لاوروبا
ليجمع مراسلين ، وعين محرر أدبى ب ٣٠٠ جنيه .
ومحرر للمسرح يحصل على قرش عن كل خمس كلمات .
وخمسين قرشا كلما دخل المسرح !

ولم يزد توزيع العدد الاول على ٢٣٠٠ نسخة وبعد
عام انخفض التوزيع الى ١٦٠٠ نسخة .. ولكن الفا من
هؤلاء ظلوا يجددون اشتراكهم فى الجريدة ٢١ عاما
متتالية .

ولم يهتم المؤسسون بالاعلانات فلم ترد فى السنة
الاولى على ٧٥٠ جنيهها .

والذى يقرأ العدد الاول يجد افتتاحية المجلة تقول :

« سنسعى لنواجه المسائل الاجتماعية والسياسية بطريقة علمية أى بنفس الروح والطريقة التى يحلل بها الكيميائى والبيولوجى العينات فى أنابيب الاختبار .

وكان « شو » مديراً وشريكاً ومساهماً فى رأس المال ويريد أن يوقع مقالاته باسمه .

رفض رئيس التحرير وقال « يجب أن نعطي المجلة كيانا متكاملًا وشخصية صحفية متجانسة . ولكي تنجح المجلة يجب أن تكون المقالات بغير توقيع لتنجح المجلة .. لا ليشتهر كاتبها » .

وبعد مدة تطرف « شو » فى مقالاته ورأى رئيس التحرير أنه لابد أن يوقع « شو » بامضائه على كل مقال .. وكان « شو » .. الذى رفض هذه المرة !

قامت الحرب .. وكتب « برنارد شو » مقالا يهاجم فيه دخول بريطانيا الحرب وأبدى عدم ثقته فى حلفاء بريطانيا يعنى الاتحاد السوفييتى .

وثارت الازمة بعنف بين رئيس التحرير والكاتب الفيلسوف .. ولو ان شو تخلى عن التأييد المالى للمجلة لتوقفت عن الصدور .

حاول رئيس التحرير اقناع « شو » ببيع حصته للكاتب « ارنولد بنيت » فرفض « شو » قائلا :

— اذا كانت المجلة ستفلس فلماذا آخذ اموال « بنيت » واذا كانت ستزدهر فلماذا اخسر حصصة فى مشروع ناجح .

وارسل « شارب » رئيس التحرير كتابا الى « بياتريس ويب » وقال فيه :

ان « شو » لم يظهر أى عطف ، أو فهم ، لتعجب المهنة التى يقوم بها رئيس التحرير ولم يسمع أبدا لحفظ التجانس فى الجريدة . ورفض كل تسوية واستمر ينقدنى بعنف .

كنت أنظر للعمل الصحفى على انه تعاونى . وان سياسة المجلة يقررها اتفاق عام مشترك .. وفى حالة قيام خلاف بينى وبين « شو » يسود رأى فى المسائل السياسية .. وتسود أراؤكم أنتم فى المسائل الأخرى . وأنا لا أريدها ان تكون لسانا شخصيا لى وإنما هدفى ان تعبر عن السياسة الفابية .

ان مقالات « برنارد شو » بعيدة عن أهداف الجمعية ولا تسير فى نفس خط الجريدة .. وتثير المتاعب ومع ذلك فانها تلقى اهتماما أكبر من الناس لانها أكثر إثارة .

وأيد « سيدنى ويب » رئيس التحرير فقال « شو » : « سأخذ حلولى وسياستى بعيدا ان « شارب » رجل السهر والقهوة الثقيلة والعمل الصحفى » .

وأصر رئيس التحرير على نشر مقالات « شو » بتوقيعه فاستقال « شو » !

واستمرت المجلة تؤدى دورها الخالد الذى يمكن ان نسميه « الوجودية السياسية » .. وذلك قبل ان ينطق سارتر بتلك الكلمة .. فقد كانت متحررة وتركب المد الاشتراكى ولا تتبع الاحزاب . ولم تكن المجلة بلا أخطاء .

فعندما قامت الثورة السوفيتية « البلشفية » وقفت المجلة منها موقفا باردا أو موقفا سيئا للغاية . قالت ان

روسيا ستحارب بجيش مهلhl وأن اللينينية لا تحقق تأثيرا طيبا على الجيوش .

ولكن الجريدة أوفدت أحد محرريها الى الاتحاد السوفييتي وعند عودته ينصف الثورة البلشفية ويقول رأيت المستقبل .



وخلال ٦٠ عاما عاشت « السياسي الجديد » تضم اليها مجلة « الأمة » وتحمل المجلة الجديدة اسمي الجريدتين معا . . « نيوستيتسمان اند نيشان » .

والصحف والمجلات في تلك الايام كانت تصدر لتحمل فكري ورأيا . . وظلت الجريدة خمسة اعوام تخسر ٥٠٠ جنيه سنويا . . ولكنها تستمر وكتابها الكبار مثل « شو » و « ارنولد بنيت » يعملون بغير أجر . . وكان ربح الجريدة لأول مرة جنيها ونصف في العام .

ويوم فاز حزب العمال لأول مرة في الانتخابات وتولى الحكم ، دخل « سيدني ويب » مجلس العموم نائبا عن حزب العمال . ولكنه استقال من المجلة حتى لا يظن الناس ان « السياسي الجديد » هي جريدة حزب العمال .

واحتفظت المجلة باستقلالها ، ولكن وجود الحزب القوي ظلالة على الجريدة . كانت المجلة حليفة للحزب وهو في المعارضة . . وعندما يتولى الحكم تختلف معه ولكنها تؤيده . . فهي معه وهي أيضا تنقده لانه لا يوفر الحلول الاشتراكية وكانت مع الحزب لانها رأت فيه الامل الوحيد لقيام حكومة اشتراكية .

ولكن المجلة ظلت تتدهور وتنحدر فأصبح توزيعها -
عام ١٩٣١ - لا يتجاوز عشرة آلاف نسخة أسبوعيا .
وخسر أصحاب المجلة نحو مائة ألف جنيه ، وكان
متوقعا ان يظلوا طول حياتهم يسددون الديون .
ورشح البعض كينجسلى مارتن ليكون رئيسا
للتحرير .

كينجسلى مارتن ابن قسيس بريطانى عمره ٣٣ سنة
.. كان أبوه من المفكرين الأحرار الذين عارضوا حرب
البوير ولذلك نشأ مارتن وهو يعرف أنه سيظل طول
حياته من القلة .. القلة التى على حق .. ولسكنها
تخسر دائما فى أية معركة ضد المؤسسات القائمة .
وجاءت الحرب الأولى وتطوع فى الاسعاف ونقل الى
فرنسا .. وهناك شهد كيف يموت الناس بعد الألم ..
وبعد العذاب فكان طول حياته داعية للسلام .
وتعلم فى انجلترا بعد حصوله على منحة دراسية
واستكمل دراسته فى أمريكا وتعلم على العالم الاشتراكى
هارولد لاسكى واشتغل مساعدا له حتى اختير ليكتب
المقالات الافتتاحية فى جريدة « المانشستر جارديان »
.. ولم ينجح فى عمله ولذلك قالوا له قبل ان ينتهى
العقد بستة شهور .
- حاول أن تبحث عن عمل فان عقدك لن يجدد .

ومن هنا رشح للمجلة الاشتراكية .
اجتمع مجلس ادارة المجلة ووجه اليه الدعوة لتناول
طعام الفداء .

سأله أحد الحاضرين .

— من أنت .. أراؤك .. والمبادئ التى تسير عليها .

— أظن .. أستطيع أن أقول أنى اشتراكى .

قالوا له :

— نأمل ذلك .

وافقوا على تعيينه فان المجلة أسسها الذين انشأوا
الحركة القابية فى انجلترا .. التى مهدت للسياسة
الاشتراكية التى سار عليها حزب العمال .

كان عليه أن يختار من مجموع محررى المجلتين أسرة
تحرير المجلة الجديدة ، كان عليه أن يكون حاسما وقاطعا
ويتأرا ليختار أفضل العناصر الجديدة .. وقد فعل .

اكتشف ان المجلة فى حاجة الى القضب .. فى
حاجة الى الصراحة والاندفاع .

استعان بهارولد لاسكى وطاقور وكبلنج ونصف الذين
حصلوا على جوائز نوبل ليكتبوا فى المجلة .

ويعتبر كينجسلى مارتن نقطة التحول فى حياة
« نيوسيتيسمان » .

قبل له من اليوم الاول ان أحد الذين اختسارهم
لا يعرف مواعيد الطبع ويتأخر فى تسليم مقاله الى
المطبعة فلم يهتم كثيرا بهذا العذر وكان يقصد بيت
الكاتب ويجلس أمامه وهو يكتب مقاله فانه يعرف
« دلال » بعض الكتاب .. وكان كرئيس تحرير « يفهم
الصنعة » بقدر ذلك « الدلال » ويحمل العبء ولا يؤخر
مواعيد الطباعة بل ينتقل الى الكاتب يرجوه بطريقة
عملية .

وخلال ثلاثين عاما تولى خلالها رئاسة التحرير ..
بدأت عام ١٩٣١ كان دائما يتكلم مع زملائه فى رقة ..
لم يزار أبدا كالاسد .. مع أن بداخله أسدا على استعداد
دائم للزئير .

ولم يحجر على رأى كاتب .. ولم يمنع نشر مقالة
يخالف رأيه .

كانت لرئيس التحرير سياسة واضحة يطالب بها
الحكومة ويطالب بها الشعب وتتعدد ضرباته القاضية
فى كل اتجاه حتى أن المجلة استمرت - خلال مدة أسابيع
- تحمل على الموسيقى التى تقدمها الاذاعة البريطانية ..
وتقول :

- الاذاعة تقدم موسيقيين بريطانيين من الدرجة
الثالثة لأسباب وطنية ، وتقدم موسيقيين عالميين من
الدرجة الثالثة لأسباب وطنية أيضا حتى لا يجد
المستمع أن الموسيقيين الأجانب أفضل من البريطانيين
وظل خلال ١٥٠٠ مقال تقريبا .. وخلال ١٥٠٠ عدد
من أعداد الصحيفة يتصرف كالفنان .. لا كالصحفى ..
والفنان ينقل صراعه الشخصى .. أو الصراع النفسى
الذى يحياه الى العمل الفنى الذى يقدمه .. والصحفى
يحرص - الى حد ما - على أن يبقى هذا الصراع بعيدا
عن دائرة العمل .. ولكن مارتن حرص على أن يجمع
فى كل عدد بين شخصية الفنان والصحفى ويمزج بينهما
فلا يخل بالحقيقة .. وبذلك أصبحت المجلة جزءا منه .

حدث يوما أن كتب أحد المحررين مقالا هاجم فيه أول

مسرّحية لبريخت تعرض في لندن فضاّق بالنقد وقال
للمحرر :

— هل هذا معقول ان الشاعر والكاتب المسرحي
الماركسي الكبير يكتب عنه بهذه الطريقة .. ويقال انه
ممل .

اجاب الصحفي :

— وهل رايت مسرحيته ؟

— لا ..

وصمت رئيس التحرير ، والتزم الصحفي الصمت
ايضا .

ولكن مارتن أدرك الحقيقة .. قال للكاتب .
— آسف .. استمر .. اذا كنت ترى ان بريخت
ممل .. فاكتب ذلك .

وكان القسم الادبي في هذه المجلة مدعاة سرور القراء
ونقد مجلس الادارة .

في ذلك القسم كانت هناك كل الاقلام .. وكل
الكتاب حتى قيل يوما ان الناس يبدأون بقراءة القسم
الادبي قبل القسم السياسي .. وكان مارتن يرد قائلا :
— لقد أصبحتم مدمنين لقراءة المجلة .

وطلب اليه مجلس الادارة مزيدا من التدخل في
القسم الادبي فكان جوابه :

— ان الناقد الفني والادبي يجب ان تكون له نافذة
اوسع على الحياة .

وكان مستوى النقد الادبي والفني عاليا في المجلة
فجاء قراء يكرهون سياستها .

وبعض رؤساء تحرير الصحف والمجسلات يهتمون
بالقسم السياسى من الجريدة أو المجلة .. أما « مارتن »
فكان يهتم بكل اقسام المجلة وسمح لهذه الاقسام كلها
بأن تنمو .. معا .
وكان يحسن الاستماع كما يجيد الحديث . لم يقل
لزملائه .

— أنت مخطيء .. او انت على خطأ .. بل كانت له
عبارة تقليدية .

— يا صديقى .. ان المسألة ليست بهذا الشكل .
او ..

— انى اعرف ماذا تعنى .. ولكنى اعتقد .. ثم يشرح
رأيه المعارض تماما ..

كان كل عدد من المجلة بالنسبة اليه عملا اخلاقيا ..
او حملة أخلاقية .

كل معركة يمضى اليها بروح عالية ..
وأخذ متاعب العالم كله مسألة شخصية ، بالنسبة
اليه ، يحاول حلها .. ويعيش فيها ويهتم بكل مظاهر
الحياة حوله .

وقيل انه حزم نفسه حزمة واحدة وضعها فى
الصحيفة ..

وكان مثل كل رؤساء التحرير الكبار يعيش لصحيفته
.. يأكل ويشرب وينام معها ، واى ألم يسهل احتماله
من أجلها .. وليس معنى ذلك أن يعيش فى دار
الصحيفة كل الوقت .. وانما يأخذ معه كل مشاكل المجلة
واهتماماتها حيث يأكل .. وحيث ينام !

ومنذ اليوم الاول ..

أصبحت مجلة « السياسى الجديد والامة » تعكس
آراء رئيس التحرير فتفضب معه .. وتضرب معه ..
وتثير الجدل وتجذب اليها رأيا عاما كبيرا ربما لا يجب
المجلة ولكنه مضطر لقراءتها .

وأصبحت قراءة المجلة اجبارية على مستوى الوزراء
فى معظم العواصم الاوربية وفى المستويات العليا من
العالم .

وفتح أبواب التفكير امام الشباب .. ونجح فى جذب
قراء مخلصين من بينهم .

ولم يوقع مقالاته باسمه .. وانما اختار توقيعاً مستعاراً
هو « الناقد » .

وجعل عنوان مقاله « المفكرة » أو « اليوميات » وفيها
يتكلم عن صراع المذاهب والآراء السياسية ، والمشاكل
الدولية ، ويتحدث أيضاً عن الزراعة والحداائق
والقطط والناس والشطرنج ومشاكل الجنس .

وجمع فى هذه المقالات بين الرقة والغضب .. بين
التسامح والقتال واستهدف منذ اليوم الاول خطة معينة
حددها ورسمها .

وكان يسمع لكل آراء الناس قبل ان يكتب مقاله ..
وقبل ان يتأثر بآخر الدين يلتقى بهم ولكن تفسيره لذلك
بسيط :

— انى لا اكتفى بوجهات النظر السبع لكل سؤال ولكل
موضوع . وأحب ان اعرف اخطار وأخطاء أى موضوع
قبل ان اكتب ..

وعندما يخطيء .
وشأن كل صحفى - كان يخطيء - ولكنه كان
مستعدا دائما للاعتراف بالخطأ والرجوع عنه .. فى
مقال لاحق .

وكان سوته حماسيا .. أو متحمسا وهو يكتب .
فى كل مقال يفوض فى أعماق الناس .. يفتح
ضمائرهم أو يستصرخ ضمائرهم .. أو يضع هذا الضمير
على مائدة العمليات الجراحية ليفحصه .. ويفحصوه .
بأمانة كاملة ..

أما أسلوبه فكانت له الشخصية المتميزة بحيث عرفه
الناس وتابعوه .. خلال تلك السنوات الطويلة رغم أنه
بلا توقيع صريح .
وتعلم منه الكثيرون هذا الأسلوب .

تسلم رئاسة التحرير عام ١٩٣١ .. وحزب العمال
فى الحكم بنادى بالاشتراكية « ومارتن » لا يعرف شيئا
اسمه الامبريالية الاشتراكية أو الاشتراكية الاستعمارية .
ولذلك وقف مع غاندى ونهرو يؤيد استقلال الهند ويدعو
لاستقلال المستعمرات البريطانية فى آسيا وأفريقيا .
ويقول ان من حق هذه الشعوب ان تحكم بلادها .
وكان أغاخان يقول انه يجب ان تمر عدة قرون قبل ان
تصبح الهند مستعدة للحكم الذاتى .

ولقد وقف اصحاب المجلة موقف المعارض لرئيس
التحرير عندما ايد استقلال الهند والمستعمرات ولكنه لم
يعبأ باعتراضهم واستمر يدافع عن فكرته . ومن هنا
نشأت بينه وبين المثقفين الهنود صداقة وثيقة .

ويشير النقاش بين المثقفين الاشتراكيين ويرسم لحزب العمال في الثلاثينات السياسية الاشتراكية ويذكرهم عندما يلاحظ نسيانهم لها .

ونادى بأن يصبح الشـعراء والمثقفون والفلاسفة والمدرسون جنودا ينضمون للطبقة العاملة ويساعدون العمال اليدويين على طرد البورجوازيين من مركز القوـذ .
وايد اشراف الدولة ، بقدر ما ، على الصحف ..
وطالب بنزع السلاح وتحريم الاسلحة الذرية وايد تيتو وهوشي منه .. وهاجم التدخل الامريكى فى جنوب آسيا . فى فيتنام وكان من اوائل الذين دعوا لقيام صداقة اوثق بين انجلترا والسوفييت وصداقة اقل مع امريكا .

يوم تولى رئاسة التحرير كانت الازمة الاقتصادية الدولية تجتاح العالم . واصيب كثير من المثقفين والسياسيين بشلل فى التفكير .

وفى تلك الظروف العصيبة كان يجب على حكومة العمال ، التى تتولى الحكم ، ان تطبق نوعا من الاشتراكية ولكنها عينت لجنة لبحث وسائل انقاذ الجنيه الاسترلى بضغط النفقات .

يومها دعا الحكومة الى ضغط نفقات التسليح لمنع التضخم ووجهة نظره فى هذا الشأن ان صناعة الاسلحة لا تطرح سلعا استهلاكية فى السوق يقبل عليها الناس ولذلك فان هذه الصناعة هى الاولى بالحذف او الاولى بضغط المصروفات والنفقات .

ودعا الى مضاعفة الضرائب المباشرة .
وتخصيص ١٠ ٪ من الدخل كضريبة .. وعارض

الاتجاه الى تشكيل حكومة ائتلافية وكتب يقول مخاطبا
زعماء حزب العمال :

— انتم تخونون المبادئ .

وردد كلمات الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز
فقال :

انتم تأخذون من الفقراء لتعطوا الاغنياء .
أو ..

— تزيدون الاغنياء غنى .. وتضاعفون محنة الفقراء
وتجعلون الحياة أكثر سهولة على الاغنياء .
وعارض تخفيض الاجور .

وعارض تخفيض الخدمات الاجتماعية لتصبح الارباح
أكبر .. وقال :

— هذه سياسة قاتلة .. ولا يمكن ان نسميها ابدا
مساواة في التضحية .

ولم يفرغ عندما تعطل عشرون مليوناً في أوروبا وأمريكا
بل كتب يقول :

« هذه ساعة الظلام الأخيرة قبل حلول فجر
الاشتراكية .

وكان المسئولون في بريطانيا يرون ان تلك الازمة
الاقتصادية كارثة طبيعية كالزلازل يجب قبولها ولكن
ارتفع صوت المجلة يقول « الاقتصاد كالألة يمكن التحكم
فيها » .

وقالت « الذين يطالبون بالاقتصاد الحر يرفضون
استخدام عقولهم فهم يسمحون بموت الملايين ليبقى
الاقتصاد الحر والامتيازات الطبقية » .

ارتفعت الاصوات فى انجلترا تقول :
اذا لم نستطع زيادة الضرائب فيجب ان نخفض
المصروفات . ان اعانة البطالة يجب ان تنخفض .
ويبدو واضحا فى تلك الاثناء ان النية متجهة للأخذ
بهذا الراى ولكن الجريدة تقول :
« اذا كان لابد من خفض المصروفات فلماذا تفرض
ذلك كعقوبة على الفقراء . . ارفعوا الضرائب المباشرة
وحققوا مبدأ المساواة فى التضحية » .
ولم يتأرجح أبدا فى اتجاهاته حسب آراء القراء
على نحو ما تفعل بعض الصحف .
وفى الهند بقرات مقدسة لا تذبح .
وكانت فى انجلترا بقرات كثيرة مقدسة لا يمكن ذبحها
خلال نصف قرن . وكان « هـ . ج . ويلز » « شبه
مقدس » .

ولكن هارولد لاسكى يهاجمه وينتقده ويقول عن كتبه
ان افكارها مشوشة ومتناقضة .

رجل كهذا . . كانت له اخطاء كثيرة .
ايد ستالين ودافع عنه .
ثم اكتشف « مارتن » ، قبل غيره ، مذابح ستالين .
وثناء الحرب العالمية الثانية تودد الغرب الى ستالين
فاطلق اسم « العم جو » بينما « مارتن » وحده يهاجم
ستالين !

وهاجمت المجلة عصابة الأمم قبل ان يكتشف العالم
ضعفها وعجزها وقالت « لا يوجد فى هذه العصابة من
يحلم بوضع مصلحة الانسانية فوق مصلحة طبقته
الحاكمة » .

وطالبت بفرض عقوبات اقتصادية على ايطاليا عندما حاربت الحبشة كما طالبت قبل ذلك بفرض عقوبات اقتصادية على اليابان عندما حاربت منشوريا . وكانت تلك العقوبات هي الوسيلة الوحيدة لتدعيم « عصبة الأمم » .

وكانت انجلترا تؤيد ميخائيلو فيتشي ولكن « السياسي الجديد » أيدت « تيتو » وتنبأت بثورته الشيوعية وسأندته .. وكانت مقالاتها تقرأ بشغف فى جيش التحرير اليوغوسلافى .

وتنبأ أحد محررى الجريدة بأن اليابان ستدخل الحرب ضد أمريكا وانجلترا .. بعد تحليل دقيق لسياسة اليابان خلال ٣٠ عاما . وقال المحرر ان سياسة اليابان باستمرار هى محاولة طرد الغرب من آسيا .

وقبل ان تقوم الحرب تنبأت الجريدة بأن تشرشل هو الرجل الذى سيقود بريطانيا فى المعركة وحصلت من « تشرشل » على حديث قال فيه ان الديمقراطية ستستمر أثناء الحرب .

وقد عارض مارتن تشرشل دائما .

ومع ذلك .. عندما أوشكت الحرب ان تقوم دعا حزب العمال الى تأييد تشرشل بلا تردد باعتباره الامل الوحيد فى تحقيق السلام .

وتلقف حزب العمال هذا الراى .. واستطاع العمال ان يفرضوا تشرشل على حزب المحافظين .

كانت المجلة مدينة دائماً قبل ان يتولى رئاسة

تحريرها مارتن .. والاسباب كثيرة لعدم الرواج من
بينها رئيس التحرير السابق الذي وقف في قاعة المحكمة
في احدى قضايا القذف يقول :

— اننا لا نتوقع عدلا من محكمة يرأسها القاضي
فلان .

واتهم رئيس التحرير باحتقار المحكمة .. والزمته
المجلة بتعويضات وغرامات ضخمة .

وجاء « مارتن » ليرفع توزيع المجلة باستمرار ..
وعندما تركها بعد ٣٠ عاما .. كان رقم التوزيع قد ارتفع
عشرة اضعاف من ١٠ آلاف الى ١٠٠ ألف نسخة كل
أسبوع .

وتحول المشروع الفاشل .. الى جريدة ناجحة
رابحة .

وقال يسخر من نفسه ..
— كان اهتمامي بالنجاح كبيرا حتى اني نسيت
المبادئ .. وتجاهلت الرسالة !!

وفي انجلترا يرتفع توزيع الصحف الاسبوعية الى
خمسة وسبعين مليون نسخة اسبوعيا ومجلة
« نيوسبيتسمان » ١٠٠ ألف ومع ذلك فان تأثير هذه
المجلة الصغيرة ونفوذها كان أقوى واكبر .

السياسيون يقرأونها .. وكل مقالاتها تثير جدلا بين
المثقفين لان رئيس التحرير يستهدف مستوى عاليا من
الفكر والسياسة لا يستطيع الذين يملكون مقادير الامور
الارتفاع اليه .

كان دائما يأمل في الافضل والاحسن ويتوقع الاسوأ .

وكان معظم زعماء حزب العمال من أصدقائه ومع ذلك يحمل عليهم لأنه يعارض الخضوع للتسويات التي تفرضها واقعية الحياة .

انه لا يقوم بنفسه كصحفى بتنفيذ اية عملية سياسية ومع ذلك يدعو الذين فى يدهم الامور الى أن يفكروا أولا .

ولا يمكن أن يقال ان هذه المجلة - وهى من نوع خاص - أثرت تأثيرا مباشرا فى سياسية الحكومات ولكنها - من غير شك - أثرت فى المناخ السياسى فى تفكير الجيل الجديد الذى تولى بعد ذلك مسئولية الحكم فى بريطانيا وفى دول كثيرة من العالم .

وقد التقى بساسة بلاده .. وبستالين وغيره من زعماء الاتحاد السوفييتى وعمل مع « برنارد شو » وغيره من الادباء الكبار .. وكان تأثيره الاكبر على المثقفين ..

وهدفه الاول والاخير المثل العليا .. يرفض دائما فكرة الاختيار بين اخف الضررين .. بل يريد المثالية وكان من المستحيل أن يرتفع السياسيون وكثير من المثقفين الى مستوى ما يطلب أو يريد .

ولم يسع للقوة أبدا ولذلك حرص على أن يتجنب خوض المعارك الانتخابية رغم أن حزب العمال عرض عليه أكثر من مرة دخول المعركة الانتخابية عن الحزب وكان من رأيه انه يريد النفوذ لا القوة .

وفى شهور الحرب العالمية الثانية .. وبسبب حالته الصحية .. ولانه رأى أهوال الحرب الاولى كان يتوقع

هزيمة بريطانيا ويريد أن يموت قبل أن يتعذب على يد
الامان فاحتفظ في جيبه ببعض السم .. ونصح أصدقاءه
بأن يفعلوا ذلك .. وظل متشائما فترة حتى أدرك سخط
ما يفكر فيه فاستعاد روحه المرحه .. ونشاطه وبقي يكتب
دون أن يهتز بالحرائق أو القنابل التى تتساقط على
لندن كل يوم .

وكانت له بعد اعتزال رئاسة التحرير آمال بينها أن
يعيش لوردا ويختار فى مجلس اللوردات .

وبعد أن يتولى هارولد ويلسون رئاسة الوزارة اعتقد
الناس أنه سيهديه اللقب ولكن ويلسون اكتفى بأن يقدم
اليه لقب « سير » فرفضه مارتن وقال .. انى أكبر من
اى لقب .. انى لا أبنى شهرتى على لقب .. بل اعتبره
أهانة .



والحقيقة انه بنى شهرته على أساس أكبر من الالقاب
.. بناها خلال ثلاثين عاما من العمل الصحفى المتصل
يخوض كل أسبوع معركة مع نفسه .. ومع رجال
السياسة ، والقراء ، ليصدر كل عدد وكأنه قطعة من
نفسه .. واستطاع أن يؤلف ١٢ كتابا بينها كتابان هامان
الاول عن الملكية هاجم فيه النظام الملكى .. وربما كان ذلك
من أسباب عدم منحه لقب لورد .. والثانى « الصحافة
التي يريدونها الشعب » وفيه يحلق فى آفاق صحفية ..
مثالية عليا سعى اليها أسبوعا بعد أسبوع فى كل سطر
.. وفى كل مقال .. لا تجذبه الشهرة السريعة
ولا شهرة النشر .. ولا يرغب فى أن يرى اسمه مطبوعا
بحروف كبيرة .

كأنت كلمة « ناقد » في آخر كل مقال تعبيراً عن
غايته في الحياة .. ينقد بأسلوب رقيق ولامع .. متزن
ومتحمس .. ينبض بالفضب وينطق بالصدق .. ويعارض
بلاده ولا يخونها أبداً لأنه يستهدف مثلاً رائعا حتى وهو
يطالب باستقلال المستعمرات مثل الهند .. فهو حريص
على الصداقة بين بريطانيا والهند ، وبين بريطانيا
والمستعمرات ، وهو يعلم أن الاستعمار لن يدوم
والصداقة باقية .

وظل أسلوبه في الكتابة والعمل مثاليا يرى الجانب
الطيب في الناس ويرى أنهم س يلتزمون الصواب إذا
عرفوا الحقيقة .. والحقيقة تحررهم .

ورغم أن هذه المثالية ليست واقعية فإن الصحفي
العظيم لا ينبغي أن يكون واقعياً ولا أصبح كرجل
السياسة الذي يفاضل بين الممكن والمتيسر وأفضل
الطول العملية .. أن على الصحفي الدعوة للحق والإيمان
بالثورة الاجتماعية .

ولقد بلغ إيمانه بذلك حداً دعاه لأن يقول لصديق له
أثناء الحرب الثانية .

— انى أتمنى أن تظل هذه الحرب فترة أطول لأنها
تساعد على خلق الثورة الاجتماعية .

فقلت زوجته :

— لو كان لدينا أولاد .. ما همست بذلك أبداً ..

ولم يتسامح في الصدق مرة .. ولا يعنى هذا أن
كل ما نطق به هو الصدق بل ما يراه صدقاً فحسب .

ولقد استطاع خلال ثلاثين عاما أن يحول مجلة يسارية من مجلة فاشلة الى مجلة يسارية تحس وانت تقرا كل عدد منها أن الكاتب على وجهه ابتسامة وفي يده أغنية ويطرئ بأشودة الحياة .. حاسته الصحفية قوية ويذكر الناس في مجتمع رأسمالي .. بالاشتراكية .. لا اشتراكية حزب بالذات هو حزب العمال وانما اشتراكية التخطيط وليست عبادة الدولة .. يعلم ولا يعظ غايته تحرير الناس ووحدة العالم بشرط أن تنبع هذه الوحدة اختياريا .. ويعالج المشاكل السياسية والاجتماعية بوعي .. ويغضب .. بعاطفة .. ويفن . ترك « كينجسلي مارتن » رئاسة التحرير بعد أن تولاه ثلاثين عاما .

تركها باختياره لواحد من تلاميذه وهو « جون فريمان » الذي استعان به حزب العمال ليكون سفيراً لبريطانيا في الهند ثم سفيراً في واشنطن .

وكانت المجلة في أول عهدها تعظ .. فأصبحت ، في عهد مارتن ، تعلم .

أثبت بأن مركز القوة في كل دولة لم يعد داخل البرلمان وانما خارجه ولذلك حرصت على أن تكتب للقلة المثقة وتسبق حزب العمال .. ولا تحارب معارك قديمة ربحتها أو خسرتها ، وانما تقدم كل يوم للجيل الجديد التزاما عاطفيا وسياسيا جديدا .

وقيل في وقت من الاوقات ان مثل هذه الجريدة هي التي منعت اليساريين البريطانيين من الاتجاه الى الشيوعية كما حدث في ايطاليا وفي فرنسا .

وقد حدد مارتن اليسار هدفا واضحا جنبه الانزلاق الى الشيوعية .

دعا « ابا بانت » سفير الهند في القاهرة كينجسلى مارتن لقضاء اسبوعين في ضيافته .. وجاءت معه زوجته « دوروثى وودمان » .
ومارتن مريض قديم ..

في شبابه أعفوه من الخدمة العسكرية اثناء الحرب العالمية الاولى لانه مريض ولذلك تطوع في الاسعاف .. ولكن الامراض تجمعت عليه فجأة .. ولم ينجح الطب .. ومات في القاهرة في فبراير ١٩٦٩ . وقالت زوجته وسط دموع الحزن ان زوجها اوصى قبل وفاته بالا يقام له قبر وان يعطى جثمانه هدية للبلد الذي يموت فيه لتجرى على الجثمان أبحاث طبية .. او ينتفع به طبيا .. ولذلك تركت جثمانه لمستشفى قصر العيني .

ولكن الجنازة الحقيقية لمارتن كانت في الصفحات الاولى من صحافة الشرق والغرب على السواء .. ومن الهند اتصلت رئيسة الوزراء انديرا غاندى بسفيرها في القاهرة لتقديم العزاء .

وفي معظم الدول التي كانت يوما مستعمرات بريطانية أو خاضعة للحكم البريطانى .. خرجت الصحف تنعى الرجل الذى وقف قلمه للدفاع عن استقلال الشعوب .. ضد بلاده .. ضد انجلترا .

فان مارتن كان نموذجا فريدا للصحفى العظيم .

— وتعاقب على المنصب ، بعد ذلك ، كثيرون ...
ولم تستطع المجلة ، نتيجة لعدم الاستقرار ونقص

قضية قذف

كان « راسبوتين » فلاحا من سيبيريا . . ولم يكن في يوم من الايام راهبا . . ولكنه ادعى ذلك واستطاع الوصول الى قيصر روسيا وزوجته واقنعهما بأن له قوة روحية خارقة وأنه يملك القدرة على شفاء ولدهما المريض .

وازداد نفوذ راسبوتين على القيصرة حتى ان رجال الأسرة المالكة آمنوا بأنه لا خلاص لروسيا الا بقتل هذا الراهب المزيف .

وفي ديسمبر عام ١٩١٦ أثناء الحرب العالمية الاولى دعا الأمير « يوسوبوف » « راسبوتين » لتناول العشاء وقدم له طعاما مسموما ثم قام الأمير مع خمسة من أصدقائه بإطلاق الرصاص على راسبوتين .

وانصرف الجميع ولما عاد « يوسوبوف » وجد ان « راسبوتين » لا يزال حيا بل حاول قتل الأمير الذي أطلق عليه ٤ رصاصات أخرى ثم ألقي جثته في النهر . أمر القيصر بإبعاد الأمير الى سيبيريا ومنها انتقل الى باريس مع أسرته ليقيم في فرنسا .

وبعد . ١ سنوات نشر الامير « يوسوبوف » مذكراته
التي روى فيها كيف خطط لقتل « راسبوتين » .
اختارت شركة مترو فيلما اسمه « راسبوتين :
الراهب المجنون » .

وفى هذا الفيلم يظهر أمير - ليس « يوسوبوف » -
يلعب دورا هاما فى اغتيال الراهب المزيف .
وفى الفيلم ايضا تظهر ناتاشا زوجة الامير كمعجبة
« براسبوتين » .

وتقول الاميرة - فى الفيلم - لزوجها وهى تتحدث عن
راسبوتين :

- ظننته جاء من السماء ولكنه مجرد رجل ..
ولا أستحق أن أكون زوجتك .

ومن خلال المشاهد يبدو أن « راسبوتين » اما انه
« اغتصب » ناتاشا أو اغراها !!

عرض الفيلم فى انجلترا فأقام الامير دعوى ضد شركة
« مترو جولدوين ماير » منتجة الفيلم يطالب فيها
بالتعويض للقذف فى حقه .

وقال الامير ان العالم كله يعرف انه الرجل الذى قتل
« راسبوتين » .

والفيلم يقول ان زوجة الامير خائنة .

وفى ظل هذا الاتهام يبدو ان الامير قتل زوجته
لسبب شخصى .

ولكن الشركة قالت ان شخصية الامير خيالية .. وان
الذين شاهدوا الفيلم ، حتى من أسرة الاميرة لا يجدون
صلة بينها وبين البطلة .

استدعت المحكمة الاميرة وسألتها :

— هل تريدین مالا ام تبتغین نفی تهمة الخيانة عنك ؟
اجابت :

— لا اريد مالا .
سئلت :

— وهل ستقيمین دعاوى ضد ال ٢٢٠ دارا للسينما
عرض فيها الفيلم ؟
اجابت بالايجاب ..

تداول المحلفون ساعتين ثم صدر الحكم بمنح الاميرة
تعويضا قدره ٢٥ ألف جنيه وذلك فى فبراير عام ١٩٣٤
.. وهو يعادل ١٥٠ ألف جنيه بأسعار هذه الايام .
وايدت المحكمة الاستئنافية هذا الحكم ..
وحصلت الاميرة على ربع مليون جنيه تعويضا فى
القضايا التى اقامتها فى دول أخرى عرض فيها الفيلم .

لمع المثال الشاب خلال عامين ..

استدعاه رجال الكنيسة وأعضاء مجلس اللوردات
والشعراء والفنانين .. وحتى الملكة ليصنع تماثيل
لهم .

ونجح فى صنع تمثال للشاعر « بايرون » لا يزال
حتى الآن قرب حديقة هايد بارك فى لندن .
وضاق زميل للمثال فنشر فى احدى المجلات انه
شخصيا الذى قام بصنع معظم التماثيل وأن الفنان
نسبها لنفسه .

ولم يجد المثال « بيلت » مقرا من اقامة دعوى قذف
ضد زميله وجاء استاذ المثال يشهد وكان هدفه هدم
« بيلت » .

وكان الحل الوحيد هو احضار ٤٠ من تمائيل « بيلت »
للمحكمة .. امتلأت بهم القاعة .

وجاء اصحاب هذه التمائيل يشهدون بانهم راوا
« بيلت » وهو يصنع هذه التمائيل .. امامهم !
ولم يحد « بيلت » مفرا من أن يعلن أمام المحكمة أنه
مستعد ليصنع تمثالا سبق له عمله حتى يطمئن القضاء
الى أن « بيلت » وحده يصنع التمائيل وترك للمحكمة
أن تحدد الشخصية .. فاخترت تمثالا قديما اقامه
لاحد مساعديه ليصنع مثله .

وخصصت غرفة في دار المحكمة ليقوم فيها الفنان
بعمله ، ولم يسمح بدخول الحجرة الا للمحلفين وبعد ٣
اسباع وضع التمثال الجديد في قاعة المحكمة ورفع
الستار عنه بين تصفيق الحاضرين .

وجاء النقاد ومثالون آخرون ليقول بعضهم أن التمثال
الجديد لا يختلف عن التمثال القديم .. والبعض قال
بعكس ذلك .

وأخيرا قضت المحكمة بحق « بيلت » في التعويض
عما وجه اليه من قذف وقدرت المحكمة ذلك ب ٥٠٠٠
جنيه .

وايدت ٣ محاكم استئنافية هذا الحكم .

ومما يذكر أن أحداث هذه القضية وقعت عام ١٨٨٢
وقد استغرق نظرها أكثر من عامين وكان عدد الشهود
٨٢ لصالح « بيلت » و ٦١ لصالح زميله ..

أما المحلفون فلم يحصلوا الا على جنيه واحد مقابل
حضورهم كل الجلسات طبقا لما هو محدد لهم من أجر
في ذلك الزمان !

ففى اوربا وامريكا لا تعتبر قضايا القذف جريمة يستحق عنها العقاب بل يستحق عنها التعويض المالى فحسب فهى قضية مدنية وليست جنائية .
وفى انجلترا وحدها تتحول قضية القذف الى قضية تعرف تهمتها باسم « احتقار المحكمة » وقيمها النائب العام وحده .

ففى هذه الحالة يعتبر الامر جريمة ضد المجتمع .
والنائب العام البريطانى ، عادة ، لا يتحرك ايمانا منه بحرية الصحافة الا فى احوال نادرة .. نادرة !

هارولد « لاسكى » كاتب سياسى شهير تولى رئاسة اللجنة التنفيذية لحزب العمال البريطانى .
بعد الحرب العالمية الثانية خطب « لاسكى » داعيا لانتخاب حزب العمال فقال :

« لم يحدث فى التاريخ ان تخلت طبقة حاكمة عن امتيازاتها بطريقة سلمية ودستورية » .

وقال ان « الثورة فى بريطانيا ربما تحدث دون عنف ، ولكن اذا لم يستطع حزب العمال تحقيق برنامجهم بموافقة اجماع الشعب فان عليه استعمال العنف حتى ولو كان ذلك يعنى الثورة » .

كان ذلك عام ١٩٤٥ وسط حملة انتخابات عامة يخوضها تشرشل الذى انتصر فى الحرب بينما يقف ضده كليمنت اتلى وحزب العمال .

وخاف لاسكى ان تودى هذه الكلمات التى نشرتها احدى الصحف الى فشل حزب فى الانتخابات فأقام دعوى قذف ضد الصحيفة .

ولكن الشهود الذين حضروا الحفل الانتخابى اكدوا

أن « لاسكى » أدلى بهذه الكلمات ولذلك رفض المحلفون قضية لاسكى بعد مداوالات استغرقت أربعين دقيقة .
وعجز لاسكى عن دفع مصروفات القضية التى بلغت ١٣ ألف جنيه فجمعها الناس فى تبرعات .
وفاز حزب العمال وهزم تشرشل .

قالت صحيفة «الدلى ميل» البريطانية ان «سافالاس» الذى يقوم بدور « كوجاك » فى الحلقات التليفزيونية لا يستطيع أن يكون نجما لان حياته الليلية تجعله ينسى سطورا من النص المكتوب عند تمثيله الافلام السينمائية .
وقالت الصحيفة « كوجاك » لا يمكن أن يكون ممثلا محترفا لانه يشرب الخمر كثيرا وقد جعله التصفيق يفقد اتزانه .

وهو مصاب بانفصام الشخصية مثل دكتور « جيكل » ومستر « هايد » وقد ألقت شركة يونيفرسال انتاج فيلم كانت بطولته ستسند الى « سافالاس » .
وصرح احد المسئولين فى الشركة بأنها « ليست مستعدة للمقامرة بأموالها على فنان غير مسئول » .
اقام كوجاك دعوى قذف وتعويض ضد الصحيفة قال فيها ان الهدف من المقال الاضرار به كما أن مستقبله الفنى يتأثر بما نشر فقضت له المحكمة بتعويض ٣٤ ألف جنيه .

ونشرت صحيفة بريطانية عام ١٩٣١ صورة للاعب جولف وقد برزت من جيبه قطعة شيكولاته عليها اسم الشركة فأقام دعوى تعويض لاستغلال اسمه تجاريا بينما هو لاعب هاو غير محترف .

وقد قضت له المحكمة بالتعويض .

وكتب أحد الصحفيين البريطانيين عام ١٩٤٠ عن رجل
اتهم بتعدد الزوجات وذكر اسمه .. وأما وظيفته
فجرسون في أحد البارات .

ولكن رجلا آخر يحمل نفس الاسم ويعيش في بلد
آخر قال انه المقصود رغم ان الصحيفة ذكرت اسم بلد
الاول .

ولكن القضاء حكم للرجل بالتعويض .

وفي رواية « بيت السكر » التي نشرت عام ١٩٥٦
ذكر المؤلف اسما خياليا للبطلة فأقامت ممثلة مغمورة
تحمل نفس الاسم دعوى قالت فيها ان الرواية تسيء
اليها وتعتبر قدفا في حقها فقضى لها بتعويض مائتي
جنيه .

وقدمت إحدى الصحف خبرا فيه اساءة لعميل سابق
لادارة المباحث الجنائية يقضى اجازته على شاطئ ميامي .
ولكن هذا العميل اتهم الصحيفة بالقذف وأقام دعوى
ضدها ..

دافعت الصحيفة بأنها لم تذكر اسمه وان هناك عملاء
كثيرين سابقين لتلك الادارة .. على شاطئ ميامي .
ولكن المحكمة طالعت الخبر وجاء الشهود يقولون ان
ذلك الرجل بالذات يشير الى نفسه في كل مناسبة بأنه
عميل سابق .

وعلى هذا الاساس قضت المحكمة بتعويض تدفعه
الصحيفة يبلغ ٥٨٥٠٠ دولار .

وهو على فراش الموت قال لاصدقائه ان صديقه
وضعت له السم فى الطعام .

ومات الرجل فنشرت احدى الصحف كلماته الاخيرة
دون ذكر اسم الفتاة ولكنها فى دعوى التعويض قالت
انها الصديقة الاخيرة للرجل والكل يعرف ذلك ومن ثم
ترى ان هناك جريمة قذف .

قبلت المحكمة هذا المنطق وقضت بالتعويض .

كان فريق كرة القدم لولاية اوكلاهوما يفوز باستمرار
فنشرت صحيفة ان الفريق يتعاطى ادوية وموادا منشطة
قبل المباريات فأقام احد أعضاء الفريق دعوى يطالب
فيها بالتعويض عن القذف .

قالت الصحيفة انها لم تذكر اسماء ولكن اللاعب قال
ان التعميم يؤذيه وما دامت الصحيفة قد اتهمت الفريق
كله فقد اتهمته أيضا .

قضت المحكمة للاعب بتعويض ٧٥ ألف دولار .

ولما رأى زملاؤه ذلك أقاموا دعاوى أخرى قبلها
القضاء .

قبض على فتاة بتهمة السكر والعريضة وادينت امام
القضاء فنشرت احدى الصحف اسم الفتاة .

وتبين ان ممثلة شهيرة سابقة تحمل نفس الاسم مع
اختلاف فى حرف واحد فأقامت هذه الممثلة دعوى قذف
وقالت انه كان يجب على الصحيفة أن تبين أن الممثلة

ان رجال الشرطة هاجموا ليلا ناصية شارعين فى مدينة نيويورك وقبضوا على عشرة من المشتبه فيهم وأودعوا سيارة الشرطة ولكن المتهمين دخلوا السيارة من مؤخرتها وهربوا من مقدمتها واستغلوا الظلام فأحدثوا اضطرابا بين الشرطة وسرقوا عصيهم وهرب أربعة من المتهمين .

وذكرت « نيويورك تايمس » أسماء قائد الحملة وبعض رجاله فأقاموا دعوى تعويض عن القذف وقضت المحكمة بتعويض ٦١٢٥ دولارا لأحد رجال الشرطة و ٦٠٢٠ لآخر . وقالت المحكمة ان الصحيفة عمدت الى الترفيه عن القراء على حساب رجال الشرطة وأن الخبر لا يستحق النشر فى الصفحة الاولى من جريدة محترمة مثل « نيويورك تايمس » .

وقد اعتبرت صحافة أمريكا ان هذا الحكم يمثل تدخلا خطيرا من القضاء فى حرية الصحافة وأنه من الخطر على هذه الحرية أن يبحث القضاء أهمية أى خبر وصلاحيته للنشر فى أى من صفحات الجريدة .

نشرت « نيويورك تايمس » أيضا فى ٢٩ مايو عام ٦٠ اعلانا من لجنة الدفاع عن الزعيم الزنجى مارتين لوثر كنج تطلب تبرعات .

وقال الاعلان ان انصار مارتين لوثر كنج قد ضربوا وأهينوا واعتدى عليهم كما تم اعتقالهم فى ولاية الاباما . وحصلت الصحيفة على ٤٨٠٠ ثمنا للاعلان .

وباعت الصحيفة ٣٩٤ نسخة فقط فى ولاية الاباما فى ذلك اليوم .

ولكن مدير الشرطة طالب بتعويض قدره نصف مليون دولار ، وطلب المحافظ وآخرون من المسؤولين تعويضات مجموعها ٣ ملايين دولار .

وقالوا ان الصحيفة لم تنشر أسماءهم ولم تكتب كلمة عن رجال الشرطة ولكن المفهوم ان الاعتقال والقبض ومطاردة المتظاهرين يقوم بها رجال الشرطة ولذلك فان من حقهم التعويض الضخم .

قضت محكمة « الاباما » بالتعويض وأيدت ذلك المحكمة الاستئنائية ولكن الصحيفة طعنت في الحكم أمام المحكمة العليا الاتحادية في واشنطن .

قالت الصحيفة انها ليست مسئولة عما يرد في اى اعلان .

وقد أخذت المحكمة العليا بوجهة نظر الصحيفة ورفضت الدعوى وقالت « ان من حق الصحيفة القذف في اى اعلان . ومن حقها الحماية حتى في الاخبار الكاذبة وعندما تنشر عن اتهام البعض بالجرائم » .

وقالت المحكمة « ان الشرط الوحيد للحصول على التعويض هو سوء النية عند النشر » .

ولكن « نيويورك تايمس » دفعت نصف مليون دولار مصروفات الدعوى الطويلة فان نفقات التقاضى مرتفعة للغاية في أوروبا وأمريكا .

يموت بحثا عن صورة

وصل ستة من حراس السفارة الامريكية الى الفندق الذى يقيم فيه الصحفيون فى مدينة « سان سلفادور » عاصمة جمهورية السلفادور فى أمريكا الوسطى .

اخذ الحراس يحتسون الخمر ، ويتبادلون النكات ويتجاذبون الحديث مع الصحفيين الذين تباعدوا عنهم ليتركوهم للشراب .

وفجأة أمسك أحدهم بجهاز « الووكى توكى » ووضع على أذنه فبدا وكأنه رسالة هامة .. ثم أسرع يهمس الى زميل له بكلمات لم يسمعها أحد .

اقتربت رعوس الرجال الستة ، ثم بدأوا يخرجون أجهزة « الووكى توكى » من جيوبهم ويتناوبون الهمس والاستماع اليها .

وتغير المشهد .

وقف أول الحراس وفى يده « الووكى توكى » ثم أمسك بالكأس وألقاها على الأرض وهو يلعن بكلمات غير مفهومة .

وجاء دور الثانى ليحطم الكأس فتطاير شظاها ويسمع

صوتها بعض الصحفيين وأخذ الحارس يلعن كل من فى
السفادور .

والثالث .. حتى الاخير .

ثم أسرع الحراس جميعا .. وفى أيديهم المسدسات
وحولهم الشظايا المتناثرة وكلماتهم تتابع « الوكى توكى »
يقفزون الى السيارات ويستقلونها مسرعين .

احس الصحفيون ان شيئا غير عادى يجرى فى المدينة
يتصل بالسفارة الامريكية ذاتها فأخذوا يجرّون الى
سياراتهم ، وعربات التاكسى ، وما توفر لهم من
موتوسيكلات وغيرها ، حتى وصلوا وراء الحراس ،
الى مبنى السفارة الامريكية وهو أشبه بالقلعة تحيط به
حراسة قوية من جنود الدولة .. وجنود أمريكا .

اختفى الحراس داخل السفارة بينما وقف الصحفيون
خارجها يحاولون اختراق الحراسة ، ويتبادلون
المجاملات حيناً ، والشتائم كثيرا مع الموظفين والحراس
الآخرين محاولين دخول السفارة والوصول الى سر
الحراس الستة .

واستمر الصحفيون عند الباب الملقى يكاد جنون
الفضول يودى بعقولهم حتى عاد أحد الحراس الستة
وقال للصحفيين وهو يتسم :

— هيه .. ضحكنا عليكم !

قال الصحفيون فى دهشة :

— ماذا تعنى ؟

قال الحارس :

— اردنا التسلية ورايناكم تحومون حولنا فقلنا لنعبث

بصحفيين يريدون خبرا .. وأنتم تجرون وراء المسؤولين
.. فأردنا أن تلهثوا ، يوما ، خلفنا !

وابتعد الحارس داخل السفارة وهو يضحك
والصحفيون لا يصدقون حرفا مما يقول معتقدين أن
الرجل يكذب ..

طال انتظار الصحفيين وظهر غضبهم في أحاديثهم مع
باقي الحراس الذين أبلغوا المسؤولين بالسفارة .. فجاء
المستشار الصحفي ليؤكد للصحفيين تلك الحقيقة ويعتذر
اليهم عن « القلب » السخيف !

عاد الصحفيون الى الفندق يتألمون .

وأسرع بعضهم يروى القصة فى برقيات الى صحف
أوربا وأمريكا .

وظلت تدوى فى آذان الجميع كلمة المستشار الصحفي
الامريكى وهو يقول لهم :

— ان أى انسان فى السلفادور يستطيع ان يعيث بكم
ويجعلكم تتبعونه الى أى مكان .. بل ، أيضا ، الى
قبوركم .

وكان الصحفيون يعرفون ان المستشار يقول الحق
فان ٩ صحفيين قتلوا فى السلفادور خلال عامين من
الحرب الاهلية .

وكان الموت ينتظرهم جميعا على عتبة فندق « كامينو
ريال » حيث يقيم ٢٠٠ صحفى جاعوا من أوربا والولايات
المتحدة وأمريكا الجنوبية يفتون أحداث غرب الحروب
الاهلية فى هذا العصر .

السلفادور أصغر دولة في أمريكا الوسطى ، هزمتها اسبانيا عام ١٥٢٦ وظلت تحتلها نحو ٣٠٠ عام حتى استقلت عام ١٨٢٩ ، وعدد السكان ٥ ملايين نصفهم من الاميين ويمثل البن نصف الصادرات .

ويحكم البلاد - منذ عامين - مجلس ثورة من ٥ أعضاء اثنان من العسكريين وثلاثة من المدنيين اختاروا من بينهم جوزيه نابليون دوراتي رئيسا للجمهورية . وهذا المجلس يتبعه جيش مؤلف من ٢٢ ألف جندي .

وهناك ضابط سابق فصل من الجيش يرأس فرقا للموت تقتل الثوار ، وكل من تشك في انتمائه للشيوعيين او من تظنه من رجال العصابات .

وهناك رجال العصابات ينتمون لـ ٥ جهات أو جماعات عددهم ٥٠٠٠ يهددون قوات الجيش وفرق الموت أيضا .

ورجال العصابات يتلقون المعونة من كوبا . وأمريكا تخشى زحف الشيوعية الى السلفادور ، وتخاف من انتصار العصابات ، ولذلك أمدت الحكومة بمعونة اقتصادية تبلغ نحو ٢٠٠ مليون دولار وأرسلت ٥٥ مستشارا عسكريا لتدريب الجيش .

وفي الولايات المتحدة انقسم الرأي بالنسبة لمساعدة السلفادور .

فريق يخشى أن تتورط الولايات المتحدة في السلفادور فتكرر تجربة فيتنام . وهؤلاء يقولون ان المساعدات الأمريكية كانت ١٠ ملايين دولار ظلت ترتفع حتى وصلت

الى رقم ٢٠٠ مليون دولار والمستشارون العسكريون كانوا ٢٠ فارتفع الرقم الى ٥٥ .

وفريق آخر يطالب بوقف زحف الشيوعية الى أمريكا الوسطى .

وفي ظل هذا الموقف المعقد جاء ٢٠٠ صحفي الى السلفادور يتابعون أخبارها ليروا هل ستتكرر تجربة فيتنام ، أو تجربة كوبا ، في أمريكا الوسطى .

في العاصمة « سان سلفادور » يوجد فندق واحد به أجهزة للتليكس وهو « كامينو ريال » .

وفي هذا الفندق يقيم كل الصحفيين .
والحكومة تريد جذب الصحفيين اليها ، وكذلك فرق الموت والثوار أيضا .

ولكن الصحفيين لا يستطيعون مغادرة الفندق ليلا فالثوار على بعد ٣٠ ميلا من العاصمة وهم يحتمون بالغابات .

ولا يستطيع الصحفي ، ان يتحرك وحده ، خوفا من رصاصة غادرة فان الثوار يقتلون الصحفيين ويتهمون الحكومة ..

والحكومة بدورها تقتل الصحفيين وتتهم الثوار .
وكل طرف يريد ان يبين لواشنطن أولا ، وللعالم بعد ذلك ، ان الطرف الآخر هو القاتل وانه لا يستحق مساعدة من أى نوع .

باختصار كل طرف يريد ان يربح معركة الدعاية أولا ، ويستميل الصحفيين أو يقتلهم .

وكل طرف يقسم الصحفيين قسمين : معه أو ضده .

وهناك ضابطان للجيش يتبعان الحكومة ويدليان
بتصريحات للصحفيين عن المعارك .
ولكن الصحفي عندما يسأل أحد الضابطين ، أو
كليهما ، سؤالاً فإن الجواب في أغلب الاحوال :
- لا أعرف .

وراديو الثوار يذيع من الغابات مرتين في اليوم ،
فيذكر أبناء المعارك . ولذلك ينتقل الصحفيون الى هذه
الاماكن بحثا عن الحرب . . والقتال والخسائر في الارواح
فان ٢٢ الفا قتلوا خلال العامين الماضيين .

والحياة تبدأ في فندق « كامينو ريال » في السابعة
صباحا .

يرتدى الصحفي قميصا أزرق أو اسود عليه كلمات
بالاسبانية تقول :

« صحفي . . لا تطلق النار » .

وعلى السيارات ، وعلى عربات التليفزيون كلمات
« صحافة » ، « وتليفزيون » بخط عريض مضافا اليها
بالاسبانية ايضا :

« صحافة . . لا تطلق النار » .

ويسمع كل صحفي في المصعد ، وفي قاعة الطعام ،
وفي البهو ، وفي البار ، اشاعات كثيرة عن الاماكن التي
وقعت ، أو ستدور ، فيها المعارك .

ويتلقى كل صحفي مكالمات مجهولة تطلب منه الانتقال
الى هذه البلدة ، أو تلك ، حيث سيكون القتال .
ويتعاون الصحفيون فيما بينهم لتغطية هذه الانباء

الصحيحة أو الكاذبة ، فيستقلون معاربات الميكروباس ، ولو كانوا في مكان آخر ، أو ظروف أخرى ، ما تبادلوا كلمة واحدة .. ولكنه اليأس الذي يجمعهم .

ويخرج الصحفيون جماعات وراء الاشاعات ، أو الى المدن المجاورة ، كل يوم ، لعلهم يظفرون بقصة تصلح للصحف .

ومشكلة الصحفيين ، رغم صعوبتها ، تبدو سهلة بالقياس الى مشكلة التليفزيون .

ان الصحفيين يجتمعون معا في المساء يتبادلون الاخبار .. ولكن مصور التليفزيون يجب ان يكون في مكان « الموقعة » والا ما استطاع تصوير القتال .

وعندما يختفى فريق صحفى من الفندق فان الآخرين يسرعون ، بحثا عنه ، ويتبعونه الى اى مكان ، حتى لا يظفر الفريق الاول بالقصة المثيرة .

ولذلك فان الصحفيين المقيمين فى « كامينو ريال » يتابعون بعضهم البعض ويتعقبون زملاءهم و« يتجسسون » عليهم .

والحظ يلعب الدور الرئيسى فى هذا السباق الصحفى .

سعيد الحظ من يجد معركة امامه فان التليفزيون الأمريكى لا يقدم الا صور القتال ولذلك يدفع للصحفى « بدل سفر » أو « بدل قتال » أو « بدل موت » .. دولار كل يوم !

والصحفى الحقيقى لا يبحث عن المال .. بل ان هذه الدولارات هى التى تمكنه من تأجير السيارات ، ورشوة

الدليل ، واجتذاب الفلاحين الذين يعرفون أين يوجد الثوار .

والصحفيون لا يتبعون الثوار فحسب .. انهم يقفون عند التقاء الطرق في الريف ، ليرصدوا أية دورة للجيش ، فيسيرون وراءها ، اعتقادا منهم انها لابد تتجه الى مكان الثوار .

وعندما يعجز الصحفيون عن الوصول الى المعارك فانهم يتجهون الى المقابر ..

هناك يجدون أرملة تبكى أو طفلا يندب أباه أو ... فيلتقطون الصور ويجرون الاحاديث ويعرفون أين جرت المعركة ويصورون مكانها .

ولكن التليفزيون لا يستطيع ان يقدم كل يوم صورا للمقابر . فان التجديد والابتكار مطلوبان يوميا .

ويذيع راديو الثوار ، بصيغة دائمة ، انباء المذابح الجماعية التي ترتكبها قوات الحكومة فينتقل الصحفيون الى المناطق فيكتشفون أن أغلب القصص وهمية .. ومع ذلك فان الصحافة لا تستطيع الا أن تجرى وراء الحقيقة والاشاعة .

والحكومة تعقد مؤتمراتها الصحفية في الفندق ولكن الصحافة لا تهتم بهذه المؤتمرات اذ تراها مجرد دعاية . في احد المؤتمرات تكلم المتحدث باسم الحكومة باللغة الاسبانية فقال له صحفي أمريكي :

- تكلم بالانجليزية .. فان دافع الضربة الامريكي هو الذي يعطيك مرتبك .

وامتنع المتحدث الرسمي مرة أخرى عن اصطحاب الصحفيين الى مكان معركة فقال صحفي أمريكي :

- من حق دافع الضرائب الأمريكى ان يرى كل شيء .
وثمن هذه « الوقاحة » رصاصة قاتلة فى اغلب
الاحيان لا بطريق العمد ولكن لان الرصاص هو أسلوب
الحياة فى السلفادور .

وأصبح الصحفي مقاتلا رغم انفه .
انه يهبط تحت سيارته عندما يسمع رصاص فان كلمة
صحافة لا تعنى الحماية .

والصحفى يستعين دوما بمترجم يعرف الاسبانية
والانجليزية ليكون وسيطا بينه وبين رجال الحكومة أو
الثوار .

ولا توجد صحافة تعاني العذاب مثل الـ ٢٠٠ صحفى
الذين يعيشون هذه الايام فى السلفادور .

حدث ان اذاعت الحكومة بيانا قالت فيه انها أسرت
جنديا كويا مع الثوار .

أسرع فريق صحفى الى المكان المحدد ليثبتوا تدخل
كوبا ، ولكن السيارة توقفت وسط الاراضى المقمورة
بالماء .

واضطر الصحفيون الى دفع ٨٠ دولارا لفلاح جاء ومعه
ثوران لرفع السيارة من الطين .

ووصل الصحفيون الى نقطة الحراسة فقال لهم
الجندي :

- الضابط نائم .

قالوا :

- والكوبى .

قال الجندي :

- قتل .

قالوا :

- واين دفن ؟

قال الجندي :

- سلوا الضابط .

وانتظر الصحفيون في العراء حتى الفجر عندما استيقظ الضابط ليقول لهم انه لا يعرف شيئاً .. ولكن مرشداً من اهالى المنطقة اخذ الصحفيين الى نقطة بعيدة حيث وجدوا رجلا في فمه سيجار كوبي فلما اقتربوا قال لهم بالاسبانية :

- هل معكم كبريت ؟

وادرك الصحفيون انهم وقعوا ضحية دعاية كلفت كلا منهم مبلغا لا بأس به حصل عليه المرشد للارشاد عن الكوبي المزعوم !!

ووجدت قوات الحكومة اسم صحفى هولندى مع احد رجال العصابات القتلى فاستدعت الصحفى لتسأله فنفى صلته برجال العصابات . وقال انه يوسط الكثيرين لعله يلتقى بأحد الثوار فانه وثلاثة من زملائه الهولنديين يقومون بتصوير فيلم تسجيلى لحساب احدى محطات التليفزيون الهولندية .

استمر التحقيق مع الصحفى الهولندى ٥ ساعات ثم أطلق سراحه .

وفي اليوم التالي نشرت الصحف المحلية صورة الصحفي أثناء التحقيق معه .

وفي اليوم الثالث اذاعت فرق الموت قائمة بأسماء ٣٥ صحفيا كان من بينهم اسم الصحفي الهولندي فقال له زملاؤه :

— حاذر .. اهرب وزملاءك .

وفي اليوم الرابع جاء صحفي الماني ليقود الصحفيين الهولنديين الاربعة الى مكان المعركة .

وكان مع الصحفي الالماني طفل من أهالي السلفادور . لاحظ السائق أن دورية من الجيش تتبع سيارته فأسرع يضلها ونجح في ذلك حتى وصل الى تقاطع طريق بعيد عن العاصمة فأشار الصبي الى السائق بالوقوف .

قال الصحفي الالماني للهولنديين :

— هذا المكان لا يعجبني .. ساعود .

قال الصحفيون الهولنديون :

— لقد صورنا الجزء الاول من الفيلم عن الحياة في العاصمة . ونريد تصوير الجزء الثاني عن الحياة في الريف وسط الحرب الاهلية .

وعاد الصحفي الالماني .. وبقي الهولنديون يتقدمون داخل القابات .

بعد ٢٤ ساعة اذاعت حكومة السلفادور بيانا في فندق « كامينو » قالت فيه ان الصحفيين الهولنديين الاربعة قتلوا أثناء معركة دامت ٤ دقيقة وقعت بين

قوات الجيش ورجال العصابات .

أحس ال ٢٠٠ صحفي بشبح الموت داخل الفندق .
ولكنهم انتقلوا الى مكان المعركة التي قتلت زملاءهم .
ولم يكن هناك سباق بين الصحفيين هذه المرة .
ولم تكن هناك محاولة للفوز بخبر أو قصة .
كان كل صحفي ينعى نفسه .

وكانوا يحاولون الوصول الى سر الجريمة فان قتل
صحفي ، ليس صاحب رأى ، بل هو مراقب محايد
للأحداث ، يسجلها بالكلمة والصورة ، يعتبر جريمة .
قال بعض الفلاحين :

— رأينا الصحفيين يخرقون الغابة وبعد دقائق سمعنا
رصاصات متفرقة .
قال الصحفيون :

— اذن الجريمة .. حقيقية .

ونشر الصحفيون ان قوات الحكومة قتلت اربعة منهم
لارهاب الجميع .

ولم يقل البيان الحكومى ان الثوار هم الذين قتلوا
الصحفيين . بل ذكر ان الصحفيين وصلوا الى منطقة
للعصابات كان الجيش يراقبها . وقد وقع الصحفيون
بين الطرفين المتحاربين .

ولكن الصحفيين الآخرين قالوا :

— بل وقع الصحفيون فى كمين دبره رجال الجيش .
واضطرت الحكومة الى تشريع جثث الصحفيين لتثبت
انه لا توجد آثار احتراق للجلد حول مكان اختراق

الرصاص .. فان « الحروق » تدل على ان الرصاص اطلق من منطقة قريبة .

وقال بيان الطبيب الشرعى « ان الصحفى الاول وجد رصاصة فى قلبه ، والثانى فى عينه والثالث فى راسه .. الخ » .

رد الصحفيون قائلين :

— وهل يقتل الصحفى الا فى قلبه وعينه ورأسه !
ويكى الصحفيون زملاءهم فان آخر ضحية للصحافة فى السلفادور قتل قبل عام ولذلك كان وقع المفاجأة عنيفا على الصحفيين جميعا .
لقد ظنوا أنهم نجسوا من الموت ولكن ها هو يعوض فترة السماح التى استمرت ١٢ شهرا كاملا .

جاء رئيس الجمهورية « دوراتى » الى فندق « كامينو » ليطمئن باقى الصحفيين .

أيد بيان الحكومة عن طريقة مصرع الصحفيين ، وقال أنهم كانوا يتحركون فى منطقة يسيطر عليها الثوار وتحت حمايتهم .

ووعده بأن يلزم قوات الحكومة بحماية الصحفيين الاجانب . وأنه سيجرى تحقيقا آخر وسيشترك الصحفيون فى هذا التحقيق .

وقال للصحفيين :

— لقد سبق تحذير هؤلاء الصحفيين بالذات . من خطر الذهاب الى مناطق تسيطر عليها العصابات .

قال :

— اذا أردتم الذهاب الى حيث لا نستطيع حمايتكم
فكيف يمكننا ذلك .. ولماذا تذهبون ؟!
قالوا :

— انه نداء الواجب ، والتزام الصحفي ، وضغط
الصحف ومحطات التليفزيون علينا لنكون حيث لا ينبغي
ان تكون اذا اردنا حماية ارواحنا .. ولكننا نريد ان تقدم
للقراء والمشاهدين ما نعتقد انه حق لهم .

احتج اتحاد الصحفيين الهولنديين على المأساة وقامت
المظاهرات فى العاصمة وعدة مدن أخرى .
واتحدت أحزاب هولندا فى ابداء الاسف والرثاء لمصرع
صحفيين فى ارض بعيدة لا تهم هولندا فى كثير او
قليل .

ولم تتحد الجبهات المتصارعة فى السلفادور فى حماية
الصحفيين لان كلا يريد القاء تبعة الجريمة على الآخر .
ولهولندا قنصل فى السلفادور ولذلك اوفدت
الحكومة سفيرها فى المكسيك الى سان سلفادور ليجرى
تحقيقا .

وتحول الصحفيون الى الطبيب الذى قام بتشريح
جثث زملائهم يسألونه عن حروق حول الرصاص ، وفى
قلب كل صحفى كان هناك أكثر من حريق .
وعرض التليفزيون الهولندى الجزء الاول من الفيلم
التسجيلى الذى صورته الصحفيون الاربعة وهم اثنان من
المندوبين ومصور ومهندس للصوت .
واحست هولندا واوروبا التى عرض فيها الفيلم

ايضا بالثمن الفادح الذي دفعه الصحفيون من أجل فيلم تسجيلي .

ولم يعرف ، وربما لن يعرف ابدا ، اسم قاتل ، او قتلة ، الصحفيين .

هل قتلوا مصادفة في معركة ؟

هل قتلهم رجال العصابات ليبينوا فساد الحكم في السلفادور ؟

وهل قتلهم السلطات غضبا من الصحفيين الاجانب انتقاما لسعيهم الحثيث للحصول على الجانب الآخر من الصورة والرأى الآخر في بلاد السلفادور ؟

ومهما يكن القاتل ، او القتلة فان الجريمة حققت هدفها .

تدفق مزيد من الصحفيين على السلفادور بدعوى متابعة أخبار الانتخابات التي تجرى لاختيار ستين في البرلمان الجديد .

وربما يكون السر في وصول الصحفيين انهم يريدون ان يثبتوا لانفسهم ، وللعالم ، أن الصحفي لا يعبأ بالخطر وأنه ينتقل حيث يحلق الموت فوق رأسه ويلاحقه من كل مكان .. ومن كل الخصوم .

وفي كل الاحوال نجح القتلة ..

أصبحت السلفادور موضوعا رئيسيا في صحافة العالم .

كل الصحف كتبت عن السلفادور .

البعض اهتم بالحرب الاهلية لانها تؤثر في سعر البن وقدح القهوة فان الثورة والعصابات احرقت مزارع البن وهبطت بالانتاج الى حده الأدنى فزاد الفقر .

والبعض اهتم بتجربة فيتنام المتكررة والصراع بين
اليمن واليسار فى أمريكا الوسطى .

والبعض يعنىهم من القصة جانبها الصحفى ليكتبوا عن
الزملاء الذين قدموا حياتهم ، دفعة واحدة ، ثمنا لخبر
وصورة .. والبعض يدفعون حياتهم قطرة قطرة ، وكل
ساعة وكل يوم ، بحثا عن خبر او عن صورة ، او عن
مادة ينشرونها تثير القارئ وتجذب اهتمامه ، وتدفعه
لمزيد من التفكير !

حرب الايام الستة في شارع الصحافة

في المطار .. سألوه :

— لماذا تسافر الآن بالذات ، الى نيويورك ؟

اجاب :

— سأقيم حفل عشاء في بيتي الليلة بمناسبة عيد

ميلادى ال ٥١ .

انتقل الصحفيون يسألون زميلهم الصحفي :

— وهل صحيح ان « هارولد ايفانز » رئيس تحرير

صحيفة « التايمس » استقال من منصبه .

اجاب :

— هذا السؤال لا يوجه لى .. اسألوه .. هو !

قالوا :

— ولكنك مالك « التايمس » .

تخلص من الجواب لانه يريد اللحاق بالطائرة ..

وأدرك الصحفيون في مطار لندن صحة الاشاعة ما دام

مالك الصحيفة « روبرت مردوك » لم يسارع الى نفيها .

اشترى « مردوك » صحيفة « التايمس » وزميلتها

الاسبوعية « الصانداى تايمس » في فبراير عام ١٩٨١ .

واشترطت الحكومة البريطانية ، لاتمام الصفقة ، تعيين ٦ مديرين مستقلين من الشخصيات العامة يتولون اختيار رئيسي التحرير لضمان استقلال الصحيفتين وحتى لا يوجههما « مردوك » لصالح أعماله المالية . وعلى الفور اختير « هارولد ايفانز » رئيس تحرير « الصانداى تايمس » رئيسا لتحرير « التايمس » . وايد المديرون الستة والعاملون فى الصحيفة هذا الاختيار فان شهرة ايفانز كصحفى ليست محل شك .. أبدا ..

ابوه سائق قطار و « ايفانز » اشتغل بالصحافة وعمره ١٦ سنة وخدم فى السلاح الجوى والتحق بالجامعة ثم عاد للصحافة فى الاقاليم .

واختير مديرا لصحيفة « الصانداى تايمس » الاسبوعية ثم رئيسا لتحريرها عام ٦٧ وظل يشغل هذا المنصب ١٤ سنة متصلة استطاع خلالها ان يرفع توزيع الصحيفة الى مليون ونصف مليون نسخة اسبوعيا وأن يرفع سعرها أيضا .

خصص الصفحة الأخيرة لبرامج التليفزيون . وخالف التقاليد المتبعة فى صحافة بريطانيا التى تنشر الرياضة فى الصفحة الأخيرة فجعلها فى صفحة داخلية . ووجد أن رئيس القسم الرياضى جامد العقلية لا يعرف الفن الصحفى الحديث رغم أنه أمضى فى عمله ١٧ سنة فعين له مساعدين استطاعوا أن يحققوا هدف « ايفانز » . وكانت أفكار « ايفانز » واضحة . ان الذين يدخلون الميدان الرياضى كل عام ، لاعبين

ومتفرجين ، يريدون عمقا أكثر في الموضوعات ، ويريدون معرفة أكثر بالشخصيات الرياضية . ولا تستطع الصحيفة أن تكتب عن كل الاحداث الرياضية في عدد واحد ، ولكن ما تكتبه عن اى موضوع يجب أن يكون شاملا .

ونجحت صفحات الرياضة ومنها بدأت الحملات الصحفية .

في كل مناسبة ، وفى كل خبر ، لا يرسل مندوبا واحدا بل يبعث بفريق متكامل من المحررين يغطون كل التفاصيل .

وفى حرب عام ٦٧ نشر ١١ صفحة فى عدد واحد . وقام بحملة ، الهدف منها ، اكتشاف مرض السرطان مبكرا .

وحملة أخرى لصالح الاطفال الذين يولدون مشوهين نتيجة تناول الامهات أدوية معينة .

واشتري مذكرات كبار الشخصيات العامة، والمجرمين، والجواسيس أيضا .. فان هذه المذكرات تصبح محل تحليل وتعليق فى الصحف .. وفى البيوت .

وعندما استقال « جورج براون » ، فجأة ، من منصب وزير الخارجية .. كان « ايفانز » فى مكتبه يتفق معه على شراء مذكراته .

ويوم قرر رياضى عجوز فى الخامسة والستين أن يسافر وحده بقارب صغير من انجلترا الى استراليا تعاقد ايفانز على شراء يوميات الرحلة ، وكاد احد المحررين أن يموت وهو يلتقط ، من الجو صورة للرياضى العجوز قرب رأس الرجاء الصالح وقاربه شبه محطم تتقاذفه الامواج .

وكلف نقاد الصحيفة أن يكتبوا تعليقا وتقدرا لـ ١٢٠٠ كتاب كل عام .

وعهد اليهم بتأليف كتب في الموضوعات الحيوية التي تنشرها الصحيفة على أن تتحمل الصحيفة كل النفقات وينال الصحفي ٤٠٪ من دخل الكتاب .

وادخل في الصحيفة قسما للسيارات تديره سيدة ، وقسما للطفل يعلمه الالعاب الرياضية ، وثالثا للمرأة ، ورابعا للرحلات ، وخامسا لحماية المستهلكين . واختار افضل المراسلين ..

في مادب العشساء التي يقيمها في بيته « هنرى براندون » مراسل الصحيفة في واشنطن ، بين الضيوف ، وزير الخارجية الأمريكى ومدير المخابرات ومعظم السياسيين الذين يديرون سياسة الولايات المتحدة . وكان يكتب بعض القصص بنفسه .

ويطوف أقسام الصحيفة بوجه ، ويلهم ، ويعاون .. ويسمع شكاوى الصحفيين ومشاكلهم العائلية ويحضر حفلات زواج الشبان منهم .

وعندما سمع باستقالة « مايكل راندال » رئيس تحرير صحيفة « الديلى ميل » قال :

— هذا الصحفي لا يمكن أن يعتزل العمل .

وعرض عليه منصب مدير التحرير للأقسام الاخبارية فى صحيفة « الصانداى تايمس » .

ووافق « راندال » لانه أدرك أنه سيعمل مع صحفى كبير .

ومع الحماس الصحفي كان لابد أن يخطيء « ايفانز » . كتب احد محرريه كلمات يعلق بها على صورة نشرتها

الصحيفة فاعتبرت النيابة هذه الكلمات جريمة وقدمته الى المحاكمة .

ولقد حدث أن حوكم رئيس تحرير نفس الصحيفة عام ١٩٢٠ وقضى بحبسه ٣ شهور كما حوكم رئيس تحرير « الديلى ميرور » عام ١٩٤٩ وحبس ٣ شهور ايضا . ولكن القاضى لم يأمر بحبس ايفانز بل غرمه ٥٠٠٠ جنيه فقط . . دفعتها الصحيفة .

وقال القاضى :

— ان هناك نظاما فى كل الصحف لمراجعة ما ينشر انع ما قد يكون قذفا ، أو يكون ، مايسمى — فى بريطانيا — تهمة احتقار المحكمة .

ولكن اى نظام قد يحدث فيه خلل نتيجة للعامل الانسانى كما حدث فى القضية .

وقالت المحكمة :

— ان رئيس التحرير يجب ان يتحمل المسؤولية كاملة . ولكن يشترط لذلك أن يكون على علم بالخطأ الذى وقع ، وأن يقره .

وما دام لا يعرف فانه لا يعتبر مسئولا ولا يوجد ما يدعو لسجنه لان احدا لا يتوقع ان يقرأ رئيس التحرير كل كلمة تنشر فى الصحيفة .

ورفع « ايفانز » شعارا يقول :

« الصحيفة كائن حى . يجب ان يتغير ويتبدل ، تنتشر او تموت » .

وقال :

« الكلمة المطبوعة يجب ان تناقش وتسجل الحقيقة »

وقال :

« ان الصحف تمر بدورات . وكل دورة تستمر زمنا

معينا ولا تدوم الى الابد . ويجب ان تنجح الصحيفة خلال دورتي » .

وبالفعل نجح ، ونجحت الصحيفة خلال ال ١٤ سنة .. فقد مات العالم القديم الذي كان يحيط بصحيفة « الصانداي تايمس » ونشأ عالم جديد يواجه المطالب المتغيرة للصحيفة .. وللقراء .

واختار « ميردوك » « ايفانز » رئيسا لتحرير « التايمس » في فبراير ١٩٨١ .

وبدأ « ايفانز » عملية التغير من الداخل .

شجع ٥٤ من قدامى الصحفيين على الاستقالة ومنحهم تعويضات عن مدة خدمتهم بلغت ٤٠٠ ألف جنيه . واصبح عدد المسؤولين الكبار في الصحيفة ١٣ منهم ٥ عينهم « ايفانز » .

ولكنه عين بدلا منهم ٥٨ منحهم مرتبات اكبر .. وبذلك زاد متوسط الاجر السنوي في الصحيفة من ١٤٧٢٥ جنيها الى ١٥٧٥٠ جنيها .

ورفع توزيع « التايمس » بنسبة ٥٠٪ كان ٢٨١ ألفا فارتفع الى ٢٩٧ ألفا .

وبدأت الصحيفة تأخذ موقفا متحررا يخرج بها عن جمودها التقليدي ..

انها لا تكتفى بالاتجاه المحافظ بل تكتب عن الحزب « الاشتراكي الديمقراطي » الجديد في بريطانيا . وهي تفسح المجال لكل الآراء .

وأصبحت « التايمس » صحيفة حية يطالعها جانب من الشباب ..

ولم يوافق المحررون القدامى على هذا الاتجاه فانهم يرون ان « التايمس » يجب ان تعكس وجهة نظر الحكومة البريطانية وحدها .. ويجب ان تعبر عن آراء بريطانيا العظمى .. فان هؤلاء المحررين يعيشون بعقلية الامبراطورية البريطانية وعقلية « التايمس » عندما كانت اختصاصاتها ان تقيم الثورات والانتقابات والحروب .



اعتادت محطة تليفزيون « جرانادا » البريطانية ان تقدم ، في بداية كل عام ، أشهر صحفي في بريطانيا خلال العام السابق وذلك في برنامجها الشهير « اقوال الصحف » . وتطلق عليه « صحفي السنة » .

وفي يناير ٨٢ اختارت « هارولد ايفانز » او « هاري » كما يسميه زملاؤه فانه منذ اختياره رئيسا للتحريير لأول مرة عام ٦٧ رفض ان يقال له السيد « هارولد » او السيد « هاري » !

ولكن في فبراير وقع خلاف بين « ايفانز » ونائب رئيس تحرير التايمس « شارل دوجلاس هيوم » الذي قرر الاستقالة .. ولكن « ميردوك » طلب اليه البقاء .

وكان « هيوم » يطمع في رئاسة التحرير عندما اختير « ايفانز » بدلا منه ..

وكمظهر للتحدى اعلن « شارل هيوم » ذلك فترددت الاشاعات بان خلافا نشأ بين صاحب الصحيفة « ميردوك » ورئيس التحرير « ايفانز » ولكن « ميردوك » سارع الى

نفيها . وأصدر بياناً نشر في الصفحة الأولى من التايمس
- يوم ١١ فبراير - قال فيه :

« هذه اشاعات خاطئة ، خبيثة وكاذبة ، وتخدم
أغراضاً خاصة . وأن مزايًا « إيفانز » وصفاته معترف
بها في العالم كله » .

وهذه الاشاعات شهراً كاملاً .. ثم انفجرت يوم ١١
مارس .

واتصل مندوبو الصحف الأخرى بإيفانز يسألونه
فرفض أن يرد - تليفونيا - على أحد .

ولكن في مطار لندن قال « ميردوك » :

- سلوا « إيفانز » .

فأكد بذلك صحة الاشاعة لأنه لم يسارع إلى نفيها
كما فعل قبل شهر .

ومنذ نشر النبأ في صحف لندن صباح يوم ١٢ مارس
أصبحت « التايمس » خبراً يتقدم الأخبار الأخرى في
كل صحف بريطانيا وتنشره بالعناوين الضخمة
« المانشيتات » .

في اليوم التالي - ١٣ مارس - ألقى « ميردوك » ،
من نيويورك ، بقنبلة :
قال :

« طلبت يوم ٩ مارس من « إيفانز » - ٥٣ سنة -
أن يستقيل من رئاسة تحرير صحيفة « التايمس »
وعرضت على شارل دوجلاس هيسوم منصب رئيس
التحرير » .

وأصبح على « إيفانز » أن يرد :
وكان أمامه ٣ خيارات :
- الاستقالة .

- الاستمرار وتحدي « ميردوك » .
- جمع مجلس المديرين الستة لاتخاذ قرار معه أو
ضده .

ولكن « إيفانز » اكتفى بأن يعلن أنه مستمر في عمله
كرئيس للتحريير .
أما « هيوم » فقال :

عرض على المنصب وقبلته وسأشغله عند خلوه !
وتتابعت قذائف وقنابل « ميردوك » من نيويورك ومن
إدارة شركاته في لندن .
قال :

- « إيفانز » وافق على الاستقالة ولكنه يتفاوض
الآن في شروط التسوية المالية لأنه تعاقده على رئاسة
التحرير ٧ سنوات وقد أمضى منها عاما واحدا .

وبدأت الصحف تتكلم عن أعظم كرسى لرئاسة التحرير
في العالم .

وانقسمت الصحف بين مؤيد « لايفسانز » ومؤيد
« لميردوك » حسب استقلال كل رئيس للتحريير ، ونفوذه
داخل صحيفته .

وبعض رؤساء التحرير كانوا يؤيدون زميلهم المهدد
بالفصل .

والبعض أيد صاحب الصحيفة فقد طلب منهم ذلك .
قالت « الديلى اكسبريس » المحافظة :

— لا يستطيع رئيس التحرير أن يبقى متى فقد ثقة صاحب الصحيفة .

— من حق رئيس التحرير أن يحرر الصحيفة بالطريقة التي يراها . ولكن ليس من حقه أن يستمر في منصبه .

— أن « التايمس » اعتادت أن تعكس وجهة نظر الحكومة ، ولكنها تتجنب ذلك الآن . ولا تقدم بديلا واضحا .

— « التايمس » يجب أن تتكلم لغة بريطانية واحدة ازاء الاجانب .

— اذا اراد صاحب الصحيفة أن يحولها الى اليمين فمن حقه ذلك — ان ما يتهم به « ايفانز » هو زيادة ميزانية تحرير الصحيفة وعين كثيرين وهو يرد على ذلك بأنه لا توجد ميزانية ثانية للصحيفة كما ان الادارة لم ترفض طلبا قدمه بتعيين محرر واحد أو أكثر ولم ترفض ما يريده من نفقات .

— العلاقة بين « ايفانز » و « ميردوك » أصبحت صعبة ولا يمكن اصلاحها .

— دون تخفيض ميزانية الصحيفة بعنف فانها ستفلس . ولن تكون هناك صحيفة صغيرة أو كبيرة .

وقالت الاكسبريس ساخرة من « ايفانز » :

« لو أنه مات قبل ١٢ شهرا لاعتبر أشهر صحفي في بريطانيا لانه نجح في « الصانداي تايمس » .

اما « الجارديان » اليسارية نوها ما فقالت :

— من الواضح أن « ايفانز » لن يبقى طويلا في منصبه .

- مهما أدى رئيس التحرير عمله بجدية فان احدا لن يستطيع انقاذه من صاحب الصحيفة .
- الى اى حد يستطيع رئيس التحرير ان يبقى فى منصبه اذا اغضب صاحب الجريدة .
- ما ضمانات حرية الصحافة فى انجلترا واستقلال رؤساء التحرير الآن .



وقالت « الاوبزوفر » اليمينية :

- خسرت « التايمس » ١٥ مليون جنيه خلال السنة الماضية . و « ميردوك » مستعد لاحتمال الخسارة اذا ظلت الصحيفة قوة سياسية . ومستعد ان يتقبل الصحيفة اذا ربحت ماليا ولكن ان تفقد الصحيفة نفسها كقوة سياسية ومالية ايضا فهذا ما لا يتحمله .
- ما جرى فى الايام الماضية يمثل حلقة من سلسلة « دالاس » وقد سبق نشر اعلان عن « التايمس » فى محطات المترو وفيه يظهر قيصر وهو يطعن من الخلف .. اشارة الى ان « ايفانز » يطعن من الخلف من محرريه .
- لم يستطع « ايفانز » تعبئة المحررين وراءه حول مبدأ استقلال الصحفى والدفاع عن حق رئيس التحرير فى ادارة الصحيفة وحده .
- حصل بعض الكتاب الذين عينهم « ايفانز » على مرتب ٣٠ الف جنيه سنويا مما اغضب الآخرين .
- الصحيفة افضل فى عهد « ايفانز » ولكنه ليس ساحرا . انه يحتاج الى وقت والى صبر والى فرصة اكبر مما منحها له « ميردوك » .

ان الصحف مثل ناقلات البترول العملاقة صعب ان
تغير اتجاهها فجأة .

ونشرت « التايمس » نفسها نبأ الخلاف في الصفحة
الاولى بقلم اثنين من المحررين وعرضت وجهتي النظر
كاملتين مع « ميردوك » وضده ، ومع « ايفانز » وضده
ولكنها كانت تميل ناحية « ايفانز » لانه كان لا يزال
يرأس تحريرها وهو الموعز بالنشر بطبيعة الحال .
واكدت « التايمس » نفسها ان صاحب الجريدة طلب
من رئيس تحريرها .. الرحيل !

ونشرت « التايمس » افتتاحية عن ميزانية بريطانيا
ومشاكل البلاد الاقتصادية والاجتماعية وكان المقال
يشير الى مشاكل رئيس التحرير نفسه .

قدامى الصحفيين في جريدة « التايمس » انتقدوا
« ايفانز » ..

اعترفوا بأنه صحفي عظيم ولكنهم قالوا انه ادخل
تغييرات في الصحيفة بحيث لا يستطيع احد ان يتعرف
عليها .

وقالوا ان « ايفانز » قام بتجميل وجه « التايمس »
وأصبحت تبدو أجمل ولكن « التايمس » شيء آخر غير
مجرد وجه جميل .

وقالوا ان رأى « التايمس » يتغير كل يوم بينما يجب
ان تكون ثابتة على رأى .

وقالوا ان عددا منهم استقال احتجاجا على التغيير
الذى طرأ على الصحيفة منذ جاء « ايفانز » .

والصحفيون الشبان ، وكذلك الصحفيون الذين جاء
بهم ايفانز من « الصانداى تايمس » قالوا ان المشكلة تتركز
فى أمر واحد مدى استتقلال رئيس التحرير وهل
ينبغى أن يخضع لهوى صاحب الصحيفة .. وابن حرية
الصحافة .

وكان اعنف هجوم وجه الى « ميردوك » من نائب
رئيس التحرير لشئون التحقيقات الصحفية « انتونى
هولدن » الذى عينه « ايفانز » :
قال « هولدن » :

« ان « ميردوك » يريد من الصحيفة أن تتجه الى
اليمين . وقد عارض بعض ما نشرته الصحيفة من أخبار
وآراء بالنسبة لبولندا والسلفادور وأمريكا والتفرقة
العنصرية داخل بريطانيا واضراب عمال السكك
الحديدية .

ان « ميردوك » يتدخل فى سياسة الصحيفة
وتحريرها .

وهو يريد من « التايمس » أن تؤيد « ريجان » فى
أمريكا ، و « تاتشر » فى بريطانيا .
وقيل « لايفانز » اجتمع المحررين وألق فيهم خطابا
تشرح فيه الموقف .

وكتب « ايفانز » الخطاب وفى آخر لحظة عدل عن
الخطأ كلها .

وقالت « الصانداى تايمس » التى ظل « ايفانز »
يرأس تحريرها ١٤ سنة .

انخفض عدد مؤيدى « ايفانز » وقد وافق على الرحيل

وغالبية العاملين في الصحيفة أيدوا خليفته « شارل دوغلاس هيوم » .

— اهتمام الصحفيين في الجريدة يتركز في صفحة الرأي فقد هبط مستواها تدريجيا وبذلك أصبحت الصحيفة لا تستحق الانتقاد .

وقالت « الصانداي تايمس » أيضا :

— أن المحررين يقولون أنهم ورئيس التحرير كانوا يعانون ضفوطا مستمرة من صاحب الصحيفة في الشهور الأخيرة . وقد نفى « ميردوك » ذلك .

* ما دار في الصحيفة خلال الأيام الماضية يستحق أن يكون مسلسلا يعرضه التليفزيون من ١٣ حلقة ليقرر المشاهدون من المخطيء ومن المصيب .

* ستبحث لجنة برلمانية الأمر لتقرر مدى حق الصحف وبالأذات الأجانب في إدارة صحفهم .

* أن معنويات الصحفيين تنخفض بشدة .

قال الصحفيون « لميردوك » : من حق « ايفانز » أن يستقيل طواعية .

* أن مجلس المديرين لا يعارض عزل « ايفانز » ولكنه يعارض طريقة العزل .

* أن « شارل هيوم » ينفي أنه اشترك في تدبير مؤامرة لعزل « ايفانز » وهو ليس مسئولا عن اتخاذ استقالته وسيلة لذلك .

* قد يرى مجلس المديرين أن الحل الأمثل هو اختيار رجل ثالث غير « ايفانز » أو « هيوم » لرأس تحرير الصحيفة .

وهكذا فان « الصانداى تايمس » أمسكت بالعصا من وسطها ولم تؤيد « ايفانز » تأييدا كاملا خوفا من « ميردوك » أن يطرد يوما ما رئيس التحرير الجديد للصانداى تايمس وحاولت أن تكون موضوعية بنسبة كبيرة وأن غلبها الميل لصاحب الجريدتين .



أصبح واضحا أن « ايفانز » سيضطر الى الاستقالة فان المديرين لم يجتمعوا من تلقاء أنفسهم بل ان تصريحاتهم للصحف أجمعت على ان الحل سيكون طبيعيا .

ولكن المعركة تحولت لتصبح اتهامات قدرة متبادلة .
أحد محررى « التايمس » الكبار أذاع فى الراديو حديثا قال فيه :

« هناك مذكرتان بعث بهما « ايفانز » الى « ميردوك » يومى ٢١ ، ٢٤ فبراير يقول فى أحدهما :
- اعطنى رايك فى افضل الوسائل لمناقشة ميزانية بريطانيا .

وفى المذكرة الثانية يقول :

« هذه سلسلة مقالات ستشر فى الصحيفة قل لى رايك فيها » .

وقال الصحفى الكبير :

- « ان رئيس التحرير المستقل لا يطلب من صاحب الجريدة رايه فى مثل هذه الامور .

انه لا يدافع عن استقلال الصحيفة بل يريد راي صاحبها أولا .. ويبحث عن توجيهه وارشاده فى قرارات

خاصة بالتحجير وحده . هل هذا هو الرجل الذى يجب
أن يبقى فى الصحيفة ويدافع عن استقلالها وبصونه « .
ووزع الصحفى حديثه على الصحف البريطانية التى
نشرته .

وقال انصار « ايفانز » :

« هيوم وحده الذى يعلم بهذه المذكرات والهدف منها
معرفة رأى صاحب الجريدة فى شئون تترتب عليها
التزامات مالية .

وكان واضحا ان الدفاع عن « ايفانز » ضعيف وان
الرجل حرص على ارضاء « ميردوك » والانصياع لرغباته
ولكن « ميردوك » كان يريد الانحناء التام .

استمرت المعركة ستة ايام من ٩ مارس الى ١٥ مارس .
وحرص « ميردوك » على أن يذكر ان محامى « ايفانز »
يتفاوضون على التسوية المالية لانهاء العقد والتعويض
فقد اصبح الموقف مليئا بالمرارة داخل الصحيفة مشبعا
بالاتهامات المتبادلة القدرة .

وقيل ان مرتب ايفانز . ٥ او ٥٣ او ٥٥ ألف جنيه
سنويا وأنه يريد تعويضا قدره البعض بربع مليون جنيه
وقدره آخرون بنصف المليون .

وقيل ان الضرائب فى بريطانيا سترتفع ابتداء من
٥ ابريل ولذلك فان من مصلحة « ايفانز » أن يتفق
فورا .

إذا حصل على تعويض ربع مليون فانه سيتقاضى منها
الآن ١٨٢ ألفا وبعد ٥ ابريل سيتقاضى ١٢٦ ألفا والباقي
يذهب للضرائب الجديدة .

واذا حصل على نصف المليون سيخصه منها الآن
٣٥٧ ألفا وبعد ٥ ابريل لن ينال سوى ٢٢٦ ألفا .
واكتفى « ايفانز » بأن يقول نحن الآن فى الحلقة ١١
من مسلسل « بورجيا » وسنتظر الحلقة ١٢ .
ولكن فى ١٥ مارس أى بعد حرب الايام الستة استدعى
« ايفانز » محرريه وكاميرات التليفزيون ووقف أمامها
يتلو استقالته ويقبل سكرتيره ويقول للمحررين
والصحيفة « وداعا » .

وفى اليوم التالى اجتمع مجلس المديرين ليعين
« شارل دوجلاس هيوم » رئيسا للتحرير . . وهو ابن
شقيق رئيس الوزراء السابق وقريب للأميرة ديانا زوجة
ولى عهد بريطانيا .

ونشرت الصحف ساخرة أن « ميردوك » طلب من
السيدة « مرجريت تاشر » أن يبحث « لايفانز » عن
وظيفة مناسبة وقدمت الصحف اقتراحا بأن يكون رئيسا
لهيئة السكك الحديدية لان والده كان سائق قطار !

وفى واشنطن اعلن رئيس تحرير « واشنطن بوست »
انه عرض على « ايفانز » أن يعمل معه .
ولم تتحرك صحيفة بريطانية واحدة دفاعا عن « ايفانز »
او استقلال « التايمس » وأصبح واضحا أن الصحيفة
ستسير على هوى « ميردوك » الذى حرص على أن تكون
المعركة علنية حتى يعرف الجميع أنه السيد الوحيد فى
الصحيفة وانها ستعبر عن رأيه .

وفى نفس الوقت حرص « ايفانز » أيضا على أن

تسكون المعركة علنية حتى يعرف الجميع أن التايمس
المستقلة قد ماتت وأنه آخر رؤساء تحريرها العظام !

والقريب في الامر أن ميردوك طرد قبل ذلك رئيس
تحرير « نيوز أوف ذي ورلد » الاسبوعية بعد شرائها
بفترة قصيرة .

استدعى الرجل وطلب منه الاستقالة وأعطاه تعويضا
قدره ١٠٠ ألف جنيه . وترك الرجل مهنة الصحافة
كلها .

ولكن الامر تم في ٣ دقائق ولم تعرفه لندن الا بعد
وقوعه .

و « نيوز أوف ذي ورلد » صحيفة فضائح ولذلك
فان الصحافة لم تبك لخروج رئيس تحريرها .. أما
بالنسبة للتايمس فالوضع مختلف تماما خاصة وأن
المساومات استمرت ٦ أيام كاملة .

ولقد شاعت الظروف أن يتكرر طرد رئيس تحرير
« التايمس » مرتين فليس « ميردوك » أول من طرد
رئيس تحرير « التايمس » .. بل هناك سابقة أخرى
وقعت عام ١٩١٩ .

والفرق بين الحادثين أن الاولى تمت في سرية مطلقة
.. ولم تنشر الصحف البريطانية كلمة واحدة عنها ..
تعقفت الصحف فلم تنشر غسيلها القدر امام القراء .

ومن ناحية أخرى فان رئيس التحرير المستقيل في
المرّة الاولى أبى أن يسئ الى صحيفته أو يشهر بها أو

يفضح صاحب الصحيفة .. او ينتقم منه فيشوه
الصحيفة التى احبها .

اما صاحب الصحيفة فقد خاف او مسه الخجل
فمنعه من ان يقول انه طرد رئيس تحرير «التايمس» .
وكان صاحب الصحيفة او مالكاها فى الحالة الاولى
بريطانيا .. اما « ميردوك » فانه استرالى .
واوجه الشبه فى الحالتين ان المالك مليونير ..
وصحفى ايضا .

كان اللورد نورثكليف قد اشترى صحيفة «التايمس»
من اصحابها عام ١٩٠٨ .
وفى عام ١٩١٢ طلب الى رئيس التحرير « باكل »
الاستقالة ...

و « للتايمس » فى ذلك الحين شهرة خاصة وهى ان
رئيس تحريرها يبقى سنوات فى منصبه .
« توماس بارنس » امضى فى منصبه ٢٤ سنة .
و « ديلين » ظل رئيسا للتحرير ٣٦ عاما .
اما « باكل » فانه عمل رئيسا للتحرير ٢٨ سنة .
واختار « نورثكليف » « جوفرى دوسون » رئيسا
للتحرير .

وبعد ٦ سنوات ونصف السنة أصبحت العلاقة متوترة
للفاية بين « نورثكليف » و « جوفرى دوسون » وذلك
عام ١٩١٩ .

راى دوسون انه لا يستطيع ان يعمل فى صحيفة
لا يسمع فيها الا صوت مالكاها .

وأما « نورثكليف » فقد أراد من رئيس التحرير أن
ينفذ أوامره حرفيا .

وكان اللورد صاحب طموح سياسى يريد أن يكون
مندوبا لبلاده فى مؤتمر الصلح الذى عقد فى باريس
بعد اعلان الهدنة وتوقف القتال الذى استمر ٤ سنوات
فى الحرب العالمية الاولى .

بعث « لويد جورج » رئيس الوزراء ببيان الى
الصحيفة فأمر « نورثكليف » بنشره فى صفحة داخلية
بينما أبرزت « التايمس » تصريحات وخطب ألقاها اللورد
« نورثكليف » .

وفى ذلك الحين كانت « التايمس » تنشر الاعلانات
المبوبة فى الصفحة الاولى .

وأراد « نورثكليف » مهاجمة « لويد جورج » حتى
لا ينجح فى الانتخابات فلما نجح اتهم « دوسون » بأنه
لم يهاجم رئيس الوزراء كما ينبغى .. وكما يستحق .

وعندما ألف لويد جورج الوزارة وأصبح شقيق
« نورثكليف » وكيلًا للخارجية أصر اللورد على ضرورة
الهجوم على التشكيل الوزارى ووصفه بالضعف فرفض
« دوسون » .

ويحاول الرجلان عدة مرات تسوية خلافتهما ولكن
« نورثكليف » يبعث ببرقيات ورسائل متلاحقة الى رئيس
تحرير « التايمس » ينتقد فيها سياسته .

ويطلب أن تكتب « التايمس » افتتاحيتها عن خطبة
لصاحبها فيعتذر « دوسون » .

ويصر اللورد على أن تهاجم الصحيفة رئيس الوزراء
ولكن « دوسون » لا يستجيب .

ويكون رئيس التحرير ضيفا دائما فى الحفلات الاجتماعية التى يحضرها رئيس الوزراء فيسمع بذلك اللورد فيفضب لانه يرى ان سياسة الصحيفة وتحريرها لا يجب ان يتم من خلال الحفلات وماذب العشاء .

ويزداد غيظ اللورد لانه عرف ان « دوسون » ينتقده علنا فى احاديثه التليفونية وكان اللورد يستعمل عمال التليفون جواسيس له حتى ان كبار المحررين كانوا يمتنعون عن الحديث فى سويتش الصحيفة العمومى . ولم يكن « نورثكليف » يخفى انه يفعل ذلك بل — فى لحظات صفوة — كان يقول للمحررين ما تحدثوا به فى التليفون .

ويلتقى اللورد ورئيس تحريره .

اتفجر اللورد غاضبا وقال :

— انى مصمم على تسير الامور بطريقتى .

اجاب دوسون :

— لا فائدة من الحديث بهذه الطريقة ولا اريد ان ابقى

فى « التايمس » اذا لم اكن مطلوبا .

انت تقول اسما ورمزا وشفاهة انك تؤيد رئيس الوزارة والحقيقة انك تخرجه وتدمره بهذه الطريقة ولا استطيع ان ادير صحيفتى مثل باقى صحفك .

ويتجمد الموقف حينما ولكن اللورد فى لحظة غضب يكتب لرئيس التحرير :

« اذا لم يعجبك سلوكى فأرجوك أن تتخذ طريقا من اثنين :

حاول أن تلتقى بى وجها لوجه .
أو :

أترك منصبك .
رد « دوسون » :

« انى راغب فى الاستقالة عندما يرغب أصحاب الصحيفة . واذا كان على أن انقصاد ليولى ورغباتى لاستقلت منذ زمن » .

لجأ اللورد لطريقة ماهرة ليتخلص من عقدة الذنب ..
قال :

« لا أريد انتهاء علاقة سارة اثر مناقشات حادة وكان من العدل أن تبلغنى من قبل أنك تريد الاستقالة » .

ويبعث « دوسون » باستقالة رسمية ولكنه يبقى فى منصبه حتى تم اختيار رئيس القسم الخارجى « ويكهام ستيد » رئيسا للتحرير وحتى يتسلم منصبه .

وبعد ذلك يبعث « دوسون » للصحف بنص استقالته ويطلب من الصحف عدم التعليق عليها .

وعندما يتم هذا كله يبدأ الرجلان فى مناقشة التسوية المالية .

وتمر السنوات .

ويموت « نورثكليف » .

وتتغير ملكية التابيس .

وبعد ٤ سنوات من ترك المنصب يعود « دوسون »
لرئاسة التحرير عام ١٩٢٣ فيكتب لصاحب الجريدة
شروطه قائلا :

« من حقى كرئيس للتحرير ان ارفض نشر الاعلانات
التي لا اراها مناسبة .

وان اختار الصحفيين كما اريد .

ويوافق المالك الجديد اللورد « استور » .

ويبقى « دوسون » فى منصبه ١٨ سنة و ٩ شهور
حتى عام ١٩٤١ اى انه امضى فترتين رئيسا للتحرير
مجموعهما ٢٥ سنة او اكثر قليلا .

وخلال تلك المدة يحافظ على التقاليد الصحفية كما
يرأها والامبراطورية البريطانية كما يتمناها ويكون قلمه
عاملا اساسيا فى اعتزال ادوار الثامن او دوق وندسور
العرش عام ١٩٣٦ ليتزوج السيدة المطلقة - مرتين -
التي احبها .

ويموت « دوسون » بعد اسبوعاته الثانية بـ ٣
سنوات .



والسؤال الآن ..

هل سيعود هارولد ايفانز بعد شهور او سنين .

والجواب : لا اظن .

فان « التايمس » بتقاليدها القديمة لن تعود !

جريدة .. للبيع!

اول واكثر الصحف انتشارا فى الولايات المتحدة كلها اذ توزع يوميا ١٥ مليون نسخة .
وفى ايام الاحاد يرتفع الرقم الى مليونى نسخة .
ومجموع ايرادها السنوى يصل الى ٣٥٠ مليون دولار
من الاعلانات والتوزيع فهى الصحيفة الثالثة من حيث
الايراد .

ومبتناها ثمنه - الآن - نحو ٢٠٠ مليون دولار .
وعدد العاملين فيها ٣٨٠٠ بينهم ١٥٠٠ صحفى .
وقد نالت هذه الصحيفة ٥ جوائز بولتزر وهى ارفع
الجوائز الصحفية الامريكية كما نالت عدة جوائز اخرى
بوصفها متفوقة فى الاخبار والصور والكاريكاتير
المسلسل .

هذه - باختصار - الارقام التى تعبر عن صحيفة
« ديلى نيوز » التى تصدر فى مدينة نيويورك .

ورغم هذه الحقائق فانهم يفكرون فى بيعها منذ ٤
سنوات وعرضت رسميا للبيع منذ ١٨ ديسمبر عام
١٩٨١ .

وقد تقدم البعض لشراء المبنى الذي اقيم
عام ١٩٣٠ ..

ولكن الصحيفة نفسها لم تجد مستريا حتى الآن ..
لان بالصحيفة ١١ نقابة للعمال ترفض الاستغناء عن احد
العاملين بينما يجب فصل ٤٠ فى المائة منهم حتى يمكن
الموازنة بين الايرادات والمصروفات فان الصحيفة خسرت
فى العام الماضى ١٢ر٦ مليون دولار .

وينتظر ان تبلغ الخسارة هذا العام بين ٢٥ و ٥٠
مليونا .

ونقابات العمال تعارض الاستغناء عن احد من العمال
لان هناك اتفاقا بين ناشرى ال ٣ صحف اليومية فى
نيويورك يقضى بأن الاستغناء عن عامل فى احدى الصحف
يتبعه - تلقائيا - الاستغناء عن عامل مماثل فى كل من
الصحيفتين الاخرين .

وقد دفعت الصحيفة ٦ ملايين دولار تعويضا لنقابات
العمال مقابل الاستغناء عن ٢٣٥ من ال ٤٠٠٠ موظف
وعامل الذين يشتغلون بالصحيفة .

ومن ناحية اخرى فان تجديد المطابع يحتاج الى
٦٠ مليونا .. وقد رفضت الشركة مالكة الجريدة الموافقة
على اتفاق هذا المبلغ .

واغلاق الصحيفة ليس عملية سهلة فان مكافآت ترك
الخدمة للعاملين بين ٤٠ و ٦٠ مليون دولار . والشركة
مالكة الصحيفة ملزمة بدفع جزء من هذه المكافآت قبل
الاغلاق .

ومن هنا اصبحت مشكلة الصحيفة معقدة للغاية

والحل الوحيد العثور على مشتر يملك المال .. ويملك القدرة على التفاوض ، أو ارغام ، العمال على الاستغناء عن ٤٠ ٪ منهم .

والدول العربية تتكلم كل يوم عن أجهزة الاعلام الغربية ، وعدم وقوفها وراء الحق العربي بينما اكبر الصحف الصباحية توزيعها في أمريكا تطلب مشتريا ..

وفي أغسطس ١٩٨١ أغلقت صحيفة «واشنطن ستار» المسائية دون أن تجد مشترين .

ولقد حاولت « ديلي نيوز » أن تتغلب على مشاكلها الاقتصادية منذ أكثر من عام .

أصدرت طبعة مسائية عرفت باسم « هذه الليلة » وكانت تريد أن توزع ٣٠٠ ألف كل يوم ، ولكن خلال عام انخفض التوزيع الى ٨٠ ألف نسخة .

وخسرت الصحيفة خلال عام حوالي ٢٠ مليون دولار فاضطرت الى اغلاق الطبعة المسائية والاستغناء عن ٦٣٠ صحفيا .

الآن لا تستطيع دار النشر الاستمرار في الخسارة بسبب صدور جريدة « ديلي نيوز » الصباحية التي كانوا يطلقون عليها « صخرة جبل طارق » باعتبار انها قوية لا تموت !

ويقع المركز الرئيسي لدار النشر في مدينة شيكاغو ، وهي الدار رقم ٤ في مجموع ما توزعه من صحف وايراداتها تبلغ ٣٣٥ مليون دولار سنويا .

وقد اشترى هذه الدار فريقا للعبة « البيسى بول »
بمبلغ ٢١ مليون دولار .

اما رئيس مجلس ادارة هذه الدار فمرتبه السنوى
٤.٤ آلاف دولار .. واذا احيل الى المعاش يتقاضى
١٥. ألف دولار سنويا مضافا اليها ٧٥ ألفا للقيام بوظيفة
مستشار .

واذا مات تتقاضى زوجته . ٥ ألف دولار سنويا حتى
آخر عمرها !

ويوم صدرت « ديلى نيوز » صباح السبت ٢٦ يونيو
١٩١٩ كانت تصدر فى نيويورك ٨ صحف صباحية و ١٠
صحف مسائية .

وبعد ٤٢ عاما انخفض عدد هذه الصحف الى ٤
صباحية و ٣ مسائية .

الآن تصدر فى نيويورك « نيويورك تايمس » صباحية
و « نيويورك بوست » مسائية وهناك صحيفة « وول
ستريت جورنال » التى تصدر من نيويورك وتطبع ايضا
فى عدة مدن أمريكية فى نفس الوقت .. وهذه الجريدة
تهتم بالاقتصاد فهى صحيفة لرجال المال والاعمال تحصل
بسهولة على الاعلانات .

اما جريدة « بوست » المسائية فقد خسرت ايضا ١٢
مليون دولار فى العام الماضى .

ولا تبقى سوى صحيفة « نيويورك تايمس » التى
تتمتع بمركز مالى قوى ولذلك ينتظر ان تستمر وحدها
فى نيويورك .

ومحنة الصحافة الامريكية ، وهى محنة الصحافة
فى العالم الغربى كله ، تتركز فى انتشار التليفزيون
واجتذابه للمعلنين كما ان القراء تركوا المدن المزدحمة
وانطلقوا يعيشون فى الضواحي .

ونتيجة لذلك انتقلت المحلات التجارية الى الضواحي
ايضا ، وبذلك أصبحت الصحف الكبرى عاجزة عن
الوصول الى القراء . . والى المعلنين ايضا .

وفى امريكا يجرون احصاءات على قراء الصحف .
وقد ثبت من الاستفتاء والاحصاء ان ٣٦ ٪ من قراء
جريدة « ديلى نيوز » يملكون البيوت التى يعيشون فيها
و ١٧ ٪ منهم يحصلون على دخل سنوى يزيد على ١٥
الف دولار و ١٦ ٪ من هؤلاء القراء حاصلون على
شهادات جامعية .

ورغم هذا كله فان هؤلاء القراء عاجزون عن انقاذ هذه
الجريدة .

ولقد صدرت « ديلى نيوز » فى ظروف غريبة .
كان ناشرا صحيفة « شيكاغو تريبيون » بحاربان فى
اوروبا اثناء الحرب العالمية الاولى فشاهدا اعداد جريدة
« ديلى ميرور » التى صدرت فى لندن عام ١٩٠٣ فى
نصف حجم الصحف اليومية اى فى حجم مجلة آخر
ساعة .

ورأى الناشران تقليد هذه الصحيفة فأصدرا « ديلى
نيوز » فى نيويورك ولكنهما خسرا فى السنة الاولى
٣٢٠٠٠ ر. جنيه .

واجتمع مجلس الادارة لبحث نتائج التجربة الجديدة .. وقرر أعضاء المجلس اغلاق الصحيفة ثم قاما بأخذ الاصوات على القرار .

ولولا صوت واحد لاغلقت الصحيفة فعلا .. وبعد ٥ سنوات كانت اول الصحف توزيعا في الولايات المتحدة .. ولا تزال اكبرها توزيعا حتى الآن .

تفرغ أحد الناشرين - جوزيف باترسون - « للدبلي نيوز » وانتقل من شيكاغو ليعيش مع جريدته في نيويورك .

لم يكن يصدر أمرا لمحرر على الاطلاق .. كان من عادته أن يقول لاي صحفي :
- ما رأيك في كذا ؟

وبعض الصحفيين كانوا يفهمون أن هذا أمر وعليهم الطاعة .. والبعض لا يفهم ولا يعرف .
قال للناقد السينمائي :

- الافلام المعروضة في دور السينما جيدة .. الا تعتقد ذلك ؟

قال الناقد :

- أبدا .. انها سيئة للغاية واحب أن اذكر القراء بمدى سوء هذه الافلام .. كل يوم .
ولم يدرك الناقد معنى كلمتي « الا تعتقد » و « ألا تظن » .

وفي اليوم التالي كان الناقد السينمائي ينقل الى القسم الرياضي وهو لا يعرف شيئا عن الرياضة الا أن جسمه قوى فعرض على جاك دمبسي بطل العالم في الملاكمة أن يلعبه ٣ جولات .. فوافق دمبسي .

وذهب الناقد الى المباراة وصعد الحلبة ولكن مدرب
بطل العالم خشى أن يكون الناقد ملاكاً قوياً فيهزم بطل
العالم في مباراة غير معلنة وتكون فضيحة ، فأنزل
الصحفى من الحلبة بالقوة ..

وبهذه الطريقة أصبح الناقد السينمائى .. ناقداً
رياضياً « محترماً » فى كل الاوساط الرياضية !
ولم يكن باترسون يستدعى محرراً الى مكتبه ...
أبداً .

كان يذهب لاي صحفى ليبلغه ما يريد .. ولم يكن يزور
أو يصرخ فى صحفى أبداً ..
ذهب يزور شقيقته مساءً - وهى أيضا صاحبة
صحيفة - فوجدوها تصرخ فى التليفون .
وأدرك أن المتحدث مدير التحرير ..
قال لها :

- لم تفعلين ذلك ؟

أجابت :

- أريده أن يعرف انه على خطأ .. الا تفعل ذلك .
قال :

- أبداً .. كان عليك الانتظار الى الصباح التالى ليكون
أكثر أسفاً على الخطأ ..
أى انه كان سيطرده .

ولم يكن باترسون يهتم بملابسه أبداً .
منعه يوماً حارس الباب من الدخول فقال له :
- أنا باترسون .

أجابه الحارس ساخراً :
- قل ذلك لحارس آخر .

فاضطر صاحب الجريدة الى الوقوف بالباب حتى
يجيء محرر ليتعرف عليه فيسمح له بالدخول .

وعرضت صحيفة « نيويورك تايمس » المنافسة على
احد كبار محررى « ديلى نيوز » عملا ! فضل ومرتبا اكبر
فاعتذر الصحفى وأبلغ رئيسه ، فى العمل ، مطالبا
بعلاوة .

عرف باترسون فقال :

— اطردها الصحفى .

قيل له :

— وهل هذا جزاؤه .. ان يكون وفيا لك فيطرد ؟!

اجاب باترسون :

— ان وفاء الاول يتبغى ان يكون لنفسه .. ومن

ليس وفيا لنفسه لن يكون صادقا مع صحيفته ..

واضطر الصحفى الى العمل بالصحيفة المنافسة !

أيد باترسون انتخاب فرانكلين روزفلت محافظ
نيويورك رئيسا لامريكا عام ١٩٣٢ .

وبعد فوزه قالت الصحيفة انها ستؤيده على طول
الخط عاما كاملا .. وستؤيده فترة اطول اذا استدعت
الظروف ذلك .

وقالت ان هذه ليست تضحية سريعة .

وقالت ان مهام رئيس التحرير ان يقول الحق لكل
انسان ابتداء من الرئيس الى اصغر مواطن ، وان حق
تقديم النصيحة يعتبر حقا مقدسا لرؤساء التحرير .

واختلف الرجلان بعد عام واحد فان باترسون كان يؤمن بسياسة العزلة ، ويرى ان تبتعد الولايات المتحدة عن الشؤون والحروب الخارجية .

وعندما اراد روزفلت الترشيح مرة اخرى للرئاسة اشادت الصحيفة بالرؤساء الامريكيين ، الذين اخذوا مكانهم في التاريخ ، لانهم رفضوا ان يبقوا رؤساء فترة طويلة .

وقالت لن نجدد الوعد لانتخاب روزفلت .

ومع ذلك أبدته في اعادة الانتخاب عام ١٩٣٦ .

وظلت العلاقة وثيقة بين الناشر وروزفلت حتى ان الرئيس الامريكي بعث بالقلم الذي وقع به قانون تدعيم البحرية الامريكية هدية الى الناشر الذي كان يطالب بتدعيم هذه البحرية .

ودعت الصحيفة قراءها للتبرع بانشاء حمام سباحة في البيت الابيض باعتبار ان هذه هي الرياضة الوحيدة التي يستطيع ان يمارسها روزفلت المصاب بشلل الاطفال .

وعندما غزا هتلر بولندا في اول سبتمبر عام ١٩٣٩ وقامت الحرب العالمية الثانية ابدت الصحيفة الاستعداد العسكري لامريكا ولكنها طالبت بعدم دخول الحرب .
ويوم أعلن روزفلت قانون الاعارة والتأجير لمساعدة بريطانيا قالت الصحيفة : « اننا نعطي بريطانيا شيكا على بياض . وسياخذنا للحرب دون استشارة الكونجرس . ويجب ان يطلق على هذا القانون .. القانون الذي يجعل روزفلت ديكتاتورا بدلا من قانون الاعارة والتأجير » .

وعندما أمر روزفلت البحرية الامريكية باطلاق النار على السفن الالمانية بعد هجوم غواصة المانية على سفينة امريكية قالت « روزفلت محا الكونجرس وسيمحو حرية الصحافة » .

ومع ذلك أيدت الصحيفة روزفلت عند اعادة انتخابه للمرة الثالثة عام ١٩٤٠ ثم قالت بعد ذلك ان « الرئيس الامريكي خدعنا عندما صوتنا له للمرة الثالثة » . وأراد روزفلت تجديد انتخابه للمرة الرابعة فقالت الصحيفة لا تجديد - هذه المرة - لقيصر .

واختلف باترسون مع روزفلت الى الابد . نشرت الصحيفة ان السفن الحربية الامريكية تنقل موادا بمقتضى قانون الاعارة والتأجير الى بريطانيا ، فقال أحد أعضاء الكونجرس :

- هذا كذب متعمد .

فرد باترسون بمقال :

« انت كاذب يا عضو الكونجرس هولاند » .

وكان هذا هو المقال الوحيد الذى وقع به باسمه ناشر الصحيفة طول حياته .

وقال المقال :

« نحن نعرف من أوحى لك بهذه الاكذوبة .. » من فوق !

وكان باترسون هو الذى يحدد موضوع افتتاحيات الصحيفة .. ولكن لا يكتبها ..

يفقد اجتماعات فى الحادية عشرة صباحا لمن يكتبونها ويحدد لهم موضوعاتها لمدة أسبوع مقدما .. فقليل أن

يد الكاتب هي التي تكتب ولكن العقل عقل صاحب الصحيفة .

وقد حدث وقت الصداقة مع روزفلت ان رغب الرئيس الامريكى فى نشر صفحة مجانية اعلانا عن مشروع جديد لروزفلت فقال باترسون :

— لا . . الصحيفة تعيش على الاعلانات ، ولا يمكن منحها مجانا لانسان حتى ولو كان روزفلت .

دفعت الصحيفة { ألف دولار للاعلان عنها ، قبل صدورها .

ويعتبر هذا المبلغ ضخما عام ١٩١٩ .

وباع العدد الاول ٨٨.١٥٠ نسخة .

وبعد شهر هبط الى ١٢.٢٧ نسخة .

وبعد شهرين انخفض الى ٦٣٥.٢٦ نسخة .

فكان باترسون يقف فى السادسة صباحا امام اكشاك باعة الصحف ، وعند محطات الاوتوبيس ليرى من الذى يشتري « ديلي نيوز » وكيف يلبس ، ونوع السجائر التى يدخنها . . وأية صحيفة يطالعها ، وهل يقرأ الافتتاحيات ام لا ؟

كما يتابع من يشتري الصحف المنافسة .

ويركب عربات الاوتوبيس لهذا الغرض .

ولكن باترسون لم يئأس بدأ يبحث عن سر الفشل ويعالجه . . ويطلب الى كل قارئ ان يوافيه بأسماء قراء ليعتدوا بالصحيفة مجانا لفترة ليعتادوا قراءتها .

رأى ان الصحف الاخرى لا تهتم بالصور فاهتم بها .. وتابع نشر صورتين يوميا للجرائم والمجرمين .

عندما اعدمت اول سيدة فى سجن « سنج سنج » على الكرسى الكهربائى أخفى أحد المصورين عدسة خارج حذائه . وفتشه الحراس قبل الدخول ولكنهم لم يفتنوا الى مكان الكاميرا فالتقط الصورة .

وقد وجهوا الى الصحيفة اتهام « بقله ذوق » واهدار حرية الموت والاعتداء على الحرية الشخصية فى لحظة الموت ولكن ذلك ساعد الجريدة على زيادة الانتشار .

وطلبت الصحيفة الى القراء ان يساهموا معها فى التقاط الصور الاخبارية وكانت تدفع ثمنها للصورة الواحدة بين دولار واحد و ١٥٠٠ دولار .

واشترت الصحيفة طائرة خاصة ، ثم عدة طائرات ، لنقل المحررين بسرعة الى مواقع الاحداث لتصويرها .

وطلبوا من القراء الاتصال بالصحيفة لابلاغها بالاحداث لتصويرها فور وقوعها وكانوا يدفعون مكافآت للقراء الذين يفعلون ذلك حتى ولو كانت الصحيفة تعلم بالاخبار وذلك بقصد تشجيع القراء ماليا ونفسيا ، عندما يطالعون جريدتهم فى الصباح التالى ، ويعرفون انهم الذين ابلفوها بالانباء .

اتصل بهم يوما قارئ يقول ان جنديا اوقف المرور فى اهم شوارع نيويورك لتعبيره قطة تحمل قطيطا .. فأسرع المصور ليجد ان القطة قد انتهت مهمتها فنقل بنفسه القطيط الى رصيف آخر فأسرعت الام وراء رضيعها تنقله . واوقف الجندي المرور مرة اخرى والتقطت الصورة !

وسمعوها بتحول أول رجل الى فتاة فى الدانيمارك
فطاروا اليه يلتقطون الصور والمذكرات وآراء الاطباء .
وعرفوا ان ولى عهد انجلترا - دون وندسور - سيطر
الى كندا فى زيارة فأوقفوا اليها أجمل محررة .
رآها ولى العهد فدعاها للرقص . . وفتشت الفتاة
بولى العهد ولم تتذكر صحيفتها فأرسلت فى ساعة
متأخرة من الليل برقية الى الصحيفة تقول :
- معذرة . . نسيت نفسى فقد دعانى الامير للرقص .
والتقطت الصحيفة هذه البرقية وحولتها الى قصة
نشرتها فى الطبعة الاخيرة مما أحزن الفتاة التى كانت
ترى أن رقصها أمر خاص لا يعنى القراء أو الصحيفة !
وبعد عام ارتفع التوزيع فأصبحت الصحيفة رقم ٦
فى نيويورك من ١٨ صحيفة تصدر فى المدينة .
وتتابع اغلاق الصحف .
بعد عامين سقطت أول صحيفة منافسة وذلك
عام ٢١ .
وبعد سنتين سقطت صحيفة أخرى .
وبعد ٥ سنوات اختفت صحيفة ثالثة وأصبحت
« ديلى نيوز » أول الصحف انتشارا فى نيويورك وفى
الولايات المتحدة كلها .
وبعد ٢٢ عاما قضى على الصحيفة الرابعة .
وهكذا ...

وأصدرت ملحقا يوميا خاصا عن أحد أحياء نيويورك
.. الفقيرة .

وقبل صدوره أرسلت باحثة ترى ماذا يأكل الناس ، وكيف ينفقون ، فوجدت ان معظم السكان ولدوا في دول أخرى ثم هاجروا الى أمريكا .

وعندما يتعلمون اللغة الانجليزية فان اول ما يفعلونه هو شراء الصحف ليظهروا كمواطنين أمريكيين . وفي هذا الحى الفقير . ٤ بنكا .

وانتهت الباحثة الى نتيجة هامة ، وهى ان سكان الحى عاديون ، ولكنهم يشترون وينفقون أكثر من سكان أى حى آخر فى المدينة ، فهم يكسبون كثيرا ولكن مصروفاتهم الضرورية أقل لانهم يقيمون فى عشش . وقالت الباحثة :

« الاطفال فى هذا الحى ينمون بسرعة .

يريدون أحذية وأدوات وملابس سباحة .

وهم يذهبون للمدارس والجامعات ويتعلمون الكتابة على الآلة الكاتبة .

وهم يشترون سجائر مثل غيرهم .. ويشترون كل شيء . »

وقالت الباحثة :

« الإعلانات التى توجه لهؤلاء السكان مفيدة لأصحاب

المحلات التجارية . »

ونشرت الجريدة نتيجة هذا البحث فى مجلة « حبر المطابع » التى يطالعها رجال الشركات وأصحاب المحلات التجارية .

وخفضت الصحيفة سعر الإعلانات فى هذا الملحق الذى

لا يوزع الا فى هذا الحى .

.. وكانت النتيجة تدفق الإعلانات على الجريدة لانها

اقنعت أصحاب الاموال بأنهم لا يقدمون للصحيفة منحة بل يحصلون مقابل اموالهم على فائدة .. ضخمة .
واهتمت الصحيفة بالرسوم الكاريكاتورية ..
والسلسلات التي تقدم بالكاريكاتير ..

وعندما كان الرسام يموت ، يعهدون الى آخر باستكمال السلسلة والحلقات لان الشخصية التي تنشر أهم عند القراء من الرسام نفسه .. فقد لا يعرف القراء العاديون .. اسمه .

قدموا مرة شخصية رجل يعيش رغم الرصاص ورغم حبسه أحيانا في ثلاجة فأعجب به القراء .

وفي احد الايام قيل ان الرجل رزق بطفل .. فتدفقت عليه هدايا القراء الذين ظنوا انه شخصية حقيقية .

ومرض يوما فجاءته أدوية . ووقع في ورطة قضائية فتطوع محامون للدفاع عنه !!

ووجهت الرسوم السلسلة للدعاية للطيران والخدمة العامة ولم نفعل نحن ذلك - في مصر - بالنسبة لتنظيم النسل سواء في رسوم الكاريكاتير أو القصص التي يكتبها الادباء الكبار .

واهتموا برسائل القراء وأطلقوا عليها « صوت القراء » أو « صوت الشعب » .

وكانوا يدفعون عن كل رسالة تنشر من دولار الى عشرة دولارات .

نشروا الاقوال الماثورة للقراء ، واللحظات الحرجة التي واجهتهم ، وما يحتاجون اليه ، وأغرب مدير عملت معه ، والصديق المثالي ، وكيف تمت الخطوبة ..

وساعدوا القراء على اختيار أسماء لأطفالهم .. وأفضل
سبل الرجيم !

وتلقوا في أسبوع مئات الكلاب ردا على رسالة قارىء
قال انه فى حاجة إلى حيوان أليف يؤنس وحدته .

ومن اليوم الاول اهتموا بالمسابقات .
أعلنوا عن مسابقة لاختيار ملكة جمال جوائزها
١٣٥٠٠ دولار منها عشرة آلاف دولار للفائزة الاولى .
وقدموا مسابقة لرسوم يختار القارىء عنوانها ...
وقدموا مسابقات للانزلاق على الجليد ، وأخرى عن
هواة الملاكمة أسفرت عن اختيار روكى مارشيانو وفلويد
باترسون وجولويس وغيرهم ممن أصبحوا أبطالاً
للعالم .

ونشروا مسابقات فى السباحة للسيدات ، وفى
الجولف للرجال ، وأجمل طفل ، وأجمل ممثلة ، وأحسن
ممثل ..

وخلال ٢٠ عاما قدموا ١١٤ مسابقة .
كما أقاموا حفلات للفناء والرقص فى الحدائق العامة
خصص دخلها للجمعيات والأعمال الخيرية .

اهتمت الصحيفة بتقديم الخدمات للقراء .
افتتحت فى الدور الارضى قسما للسفر وأخرى
للبنادق وثالثا للمصائب وأخرى للتجنيد .. الخ .
وكل هذه الاقسام تقدم كتيبات للقراء مجاناً ، أو
بأسعار اسمية ، وتنشر عن هذا كله فى الصحيفة .

واهتمت بالاخبار المحلية لانها ترى ان القصة المحلية
التي تقع في مدينة نيويورك تجذب القراء ، أكثر من القصة
التي تقع في أية مدينة امريكية أخرى ، أو أى مكان من
العالم .

ولم تتردد في القيام بكل الحيل ، وكل المحاولات ،
للحصول على القصص الانسانية .

في عام ٣٢ عرفوا ان الممثلة السينمائية العالمية جريتا
جاربو قررت العودة الى بلادها بعد ان رفضت تجديد
عقدتها مع شركة « مترو جولدوير ماير » فكلفوا صحفية
بأن تستقل نفس الباخرة كسائحة ، وعلموها طريقة
لارسال البرقيات بنوع من الشفرة حتى لا يفطن بحارة
السفينة أو الركاب ، أو جريتا جاربو الى وجود
الصحفية في الباخرة .

ارسلت الصحفية برقية لصحيفتها في اليوم الاول .

وفي اليوم الثاني قال لها عامل اللاسلكى :

— كنت أعمل في البحرية السويدية وقد فهمت انك
صحفية وعرفت كيف أحل الشفرة .

قالت الصحفية متوسلة :

— أرجوك لا تدع سري .

ولكن جريتا جاربو سمعت الاذاعات ، وادركت ان
صحفيا ، أو صحفية ، معها في نفس الباخرة فاعتزلت
في قمرتها طوال الرحلة بينما البحارة وال ٣٣ راكبا
يحاولون عبثا مساعدة الصحفية !

وارسلت مصورا وراء أنجريد برجمان وهي تصور
فيلمها الاول مع المخرج الايطالى روبرت روسيليني .

وزعم المصور انه يريد العمل بشركة للاعلانات ، وقد اختار هذا الفيلم لاثهار قدرته .

وصدقته انجريد برجمان فتحدثت معه لتذكر بداية غرامها بالمخرج الايطالى .

وتميزت الصحيفة بالجراة .

جرت محاولة لاغتيال الرئيس الامريكى امام قصر الضيافة « بلىر هاوس » فكتبت تقول :

« جرت ٥ محاولات لاغتيال الرؤساء الامريكيين ..

وقد تدخل القدر لصالح الرؤساء الاعضاء فى الحزب الجمهورى فقتل ثلاثة منهم وفشلت المحاولتان لاغتيال رئيسين من الحزب الديمقراطى » .

وكانت الصحيفة تشير بذلك الى أن مؤامرات الاغتيال نشأت بين الديمقراطيين .. او كأنها تمنى موت الرؤساء الاعضاء فى الحزب الديمقراطى .. أسوة بالجمهوريين .

وهى الصحيفة التى ابرزت اسماء محرريها .

كانت أخبار الجرائم توقع باسم « محقق » .

وأخبار الاقتصاد توقع باسم « تاجر » .

ولكنها نشرت اسماء المحررين وان اكتفت - فى

البداية - بلقب الصحفى فقط .

ثم نشرت الاسم كاملا بعد ذلك .

وعندما قتل مجرم اسمه « ابن سام » ٤٤ فتاة فى

نيويورك وقبض عليه اقتحم اثنان من مندوبى الصحيفة

شقيقته - المفلة بامر النيابة - للحصول على صور ومعلومات .

واشترى رسائل صديقته السابقة حتى قيل ان الصحيفة أصبحت جزءا من الخبر لا مجرد متابعة ومراقبة له ، وانها عبثت بحقوق المتهم الذى لم تثبت ادانته بعد .

ولكن توزيع الصحيفة ارتفع ٣٥٠ ألف نسخة فى تلك الايام .

ويقال ان « ديلى نيوز » هى السبب فى تحول مدينة نيويورك من مدينة للصحف المسائية الى الصحف الصباحية . فقد اهتمت الجريدة بالمرأة فى طهى الطعام ، والاتيكييت ، والتجميل ، ورعاية الاطفال ، والموضة ، والديكور ، والصحة العامة ، فكانت المرأة تقرأ الصحيفة قبل خروجها لعملها ولذلك لا تحتاج لصحيفة مسائية . ولكن الحقيقة ان التليفزيون ببرامجه المسلية ونشراته الاخبارية المسائية هو السبب الاساسى .

وانشأت الصحيفة فوق مبناها قسما للارصاد الجوية ولكنها رفضت ان تنشر تنبؤات هذا القسم وقدمت تنبؤات هيئة الارصاد الجوية الحكومية .

ولما سئلت الصحيفة عن السبب قالت ان الناس يعتمدون على هذه التنبؤات فى السفر وشحن البضائع ، واغلاق السفن والزراعة وغيرها .

ويستطيع الناس مقاضاة صحيفة على نبوءاتها

الخاطئة ، ولا يستطيعون مقاضاة الحكومة ، اذا اخطأت
هيئة الارصاد الرسمية !

مات باترسون عام ١٩٤٦ .
نعته الصحيفة فى كلمات قصيرة جدا فى افتتاحيتها
قالت :

« مات جوزيف باترسون رئيس تحرير هذه الصحيفة
والرجل الذى أنشأها فى ٢٦ يونيو عام ١٩١٩ .
وستجدون قصة وفاته فى صفحة الاخبار .

وسيلذل الذين تركهم ، أقصى جهودهم ، ليجعلوا
صفحة الافتتاحيات ، والصحيفة ، كما أرادها أن تكون
.. وهو ما كان ينبغي فى الحياة » .

بدأ البحث عن خليفته ليشرف على « ديلى نيوز » .
وكان الورثة ثلاثة .

الابن : وهو ضابط سابق فى الجيش يعمل محررا
صغيرا فى الصحيفة .

والارملة : وهى تعمل أيضا محررة لشئون المرأة ،
وتتولى اختيار القصص المسلسلة للصحيفة .

والابنة : وهى أقرب لابيها تشاركه هواية الطيران
والصيد وتقدم عرضا للكتب فى صحيفة أبيها حتى
أصدرت ، مع زوجها ، صحيفة أخرى .

ولكن الابنة اختلفت مع أبيها بشأن سياسة الصحيفة .

ولكن الاب جعل البت فى شئون الصحيفة من

اختصاص مجلس الادارة الذي يضم أسرته وآخرين أيضا .

أما الثروة وقدرها ٩٥ مليون دولار فقد وزعها على أسرته وسكرتيه أيضا .

وكانت مهمة السكرتيرة ان تكتب خطابا يوميا لوالدة باترسون يوقعه دون أن يطالعه .

وفى هذا الخطاب يعبر لأمه عن حبه الشديد لها !

ومشكلة الصحيفة التي يصدرها فرد انها تصبح من صنعه وحده .. هو موجهها وفيها يضع جهده وعقله وقلبه .. وبعد وفاة مؤسس الصحيفة يحسار رئيس التحرير الجديد عندما يواجه مشكلة ..

فى كل لحظة يسأل نفسه :

- لو كان صاحب الجريدة حيا ما الذى يفعله فى هذه الحالة .

ومعظم الصحف التي أسسها أفراد ماتت بعد وفاتهم لان الصحفي يحب أن تكون الصحيفة تمثالا له .. وقليل من الصحفيين يتركون صحيفة فيها أجهزة منتظمة تعمل تلقائيا وليست فى حاجة دائما ، ومتجددة ، الى رايه .

ولقد أنشأت محطة للتليفزيون مثل صحف أمريكا الاخرى التي رأت أن تملك التليفزيون لانها لا تستطيع منافسته .

وعاشت الصحيفة ٣٦ عاما بعد وفاة صاحبها ، ولكنها لم تستطع مواجهة مجتمع متغير ومن هنا واجهت المصير الذى لقيته صحف نيويورك الاخرى .. أن تجد مشتريا . او تموت !

العمال يصعدون صحيفة

رات ادارة الصحيفة ان احد مراسليها غير كفء ،
وغير منتج أيضا ، فقررت الاستغناء عنه وأبلغته
بذلك .

علم الصحفيون بذلك فاحتجوا وطالبوا ببقاء الصحفي
فرفضت الادارة أول الامر ، ولكن الصحفيين هددوا
بالاضراب ومنع اصدار الصحيفة .

اضطرت الادارة للخضوع ولكنها رأت ألا تتراجع علنا
حتى لا تفقد هيبتها فعرضت حلا وسطا وهو أن تقدم
للمحرر المفصول تعويضا قدره { . . . } جنيه مقابل أن
يعلن أنه طرد من عمله .

أخذ الصحفي هذا المبلغ ثم خرج لزملائه يقول :

— لقد سمح لي بتقديم استقالة ..

أي أنه استقال .. ولم يطرد !

اجتمع الصحفيون وقرروا التضامن مع زميلهم
وقالوا :

— لن نسمع باستقالة هذا الصحفي .

وهددوا بالاضراب .

وجدت ادارة الصحيفة نفسها فى موقف خرج فاعطت
للصحفيين مهلة حتى الساعة والنصف مساء للعودة
للعمل .. فلما لم يعودوا اصدرت الادارة قرارا بفصلهم
جميعا .

غادر الصحفيون مقر الجريدة وانتقلوا الى « البار »
المجاور مقتنعين ان الادارة ستخضع لهم فى نهاية
المطاف .

ولكن ١٢ من معاونين عادوا لمقر الصحيفة وساعدوا
على صدورها فأطلق عليهم الصحفيون « الدسطة
القدرة » نسبة الى الفيلم الشهير الذى يحمل ذلك
الاسم .

وفى اليوم التالى حلت المشكلة باعادة الصحفيين الى
العمل عدا زميلهم المفصول .

كان ذلك فى ١٨ مارس عام ١٩٧١ فى مقر صحيفة
« سكوتيش ديلى نيوز » التى تصدر فى مدينة جلاسجو
فى سكوتلندا شمال انجلترا .

وهى صحيفة اصدرها فى مايو عام ١٩٢٩ اللورد
بيفر بروك الذى كان يفخر بأصله الكندى .

والغريب فى الامر ان اللورد تومسون الكندى -
الذى اصبح بعد ذلك مالكا لصحيفة التايمس - بدأ
امبراطوريته الصحفية فى اسكوتلندا ايضا عندما اشترى
صحيفة « سكوتسمان » التى تصدر فى مدينة ادنبرة .

لم تكن هذه هى الازمة الاولى او الاخيرة فى تاريخ
صحيفة « سكوتيش ديلى اكسپريس » .

مساء يوم ٢٧ سبتمبر من نفس العام - ١٩٧١ - قدم
رسام الكاريكاتير لوحته اليومية المعتادة .

فى الرسم يظهر الزعيم السوفييتى بريجنيف يرتدى
ملابس الرهبان وهو ينزل من طائرة تشيكوسلوفاكية
يقود موكبا من الشاحنات العسكرية ، دبابات وعربات
مدرعة واسلحة .. فى مطار مدينة « بلغاست » عاصمة
ايرلندا الشمالية .

وكتب على الطائرة انها تابعة للخطوط الجوية
الايرلندية .

واوحت اللوحة بأن الجيش الجمهورى الايرلندى
يعمل لمصلحة الشيوعيين وهم الذين يوجهونه .

وجاءت اللوحة فى وقت غير مناسب ، فقد انفجرت ،
فى ذلك الوقت ، المظاهرات فى مدينة جلاسجو تؤيد
الجمهوريين الايرلنديين ، وجرى صدام فى الشوارع
بين رجال الشرطة والمتظاهرين . واستطاع احد
المصورين ان يلتقط ، وينشر ، صورة لاحد المتظاهرين
وهو يمزق ، بموس حلاقة ، ملابس شرطى .

وكان هناك خوف من ان تنتقل عدوى الاضطرابات
من ايرلندا الى اسكتلندا . وكان موقف الصحيفة ضد
المتظاهرين وضد الايرلنديين فتلقت خلال الاسبوع الاخير
٦٩ مكالة تهديد بنسف الصحيفة ووضع القنابل فى
مبناها .

وجد رئيس نقابة الصحفيين الفرعية ، احد العاملين
بالجريدة ، ان الرسم سيثير مشاعر الناس وقد يؤدى
الى هجوم على الصحيفة فاقترح ان ينشر مع الرسم

كلمة من الجريدة او من العاملين فيها ، تقول ان لوحة الكاريكاتير لا تعبر عن رأى الصحيفة .
رفض رئيس التحرير ..

وقدمت الادارة من لندن اقتراحا آخر وهو نشر تلك الكلمة فى اليوم التالى . ولكن نقابة الصحفيين الفرعية رفضت ذلك .

وهددت بمنع صدور الصحيفة .

واجتمع الصحفيون وقاموا بالتصويت على قسرار بالاضراب فأيدته ٢٩ وامتنع أحدهم عن التصويت .

وابلغ القرار لادارة الصحيفة فى جلاسجو ومركزها الرئيسى فى لندن بأنه لابد من نشر بيان مع الكاريكاتير من الصحفيين العاملين يقولون أنهم غير مسئولين عن النشر .

لم تدعن ادارة الصحيفة للتهديد فمنع الصحفيون صدور هذا العدد .

وفى اليوم التالى اجتمع الصحفيون فى مدينة جلاسجو فأبدوا أسفهم لوقف زملائهم المضربين . وقالوا أنهم لا يقرون أبدا أن يعطى الصحفيون سلطة الرقابة على ما تنشره الصحيفة وأن يسلبوا هذه السلطة من مالك الصحيفة او رئيس تحريرها .

وصدر القرار الجديد بأغلبية ١١٩ ضد ١٧ .

ولكن الصحافة البريطانية كلها خافت على مستقبل الديمقراطية من ديكتاتورية بعض الصحفيين واطلقت عليهم اسم « مافيا منتصف الليل » او « عصابات منتصف الليل » اشارة الى أنهم الذين يعملون فى الصحف بعد

منتصف الليل عندما يعود كبار المسئولين الى بيوتهم ولا
تبقى الا هذه .. العصابات !

ونسى الذين وجهوا الاتهام ان الصحفيين انفسهم
الذين اضربروا .. والصحفيون انفسهم الذين انتقدوا هذا
الاضراب واسفوا لوقوعه .

ومرة اخرى ، لم تكن هذه هي الازمة الاخيرة .
خلال عام اضرِب عمال الصحيفة ٥٦ مرة اى بمعدل
مرة او اكثر ، كل اسبوع .

وفى ٤ مرة هبط توزيع الصحيفة نتيجة تأخير او
توقف الطبع .

وخسرت الصحيفة مليون جنيه خلال عام واحد ..
وبعد ان كان توزيعها ٦٦٠ ألفا نسخة يوميا أصبح
٥٧٠ ألفا .

وتأثرت صحف اللورد « بيفر بروك » فى جميع أنحاء
بريطانيا لاسباب كثيرة .. فقد ارتفعت نفقات اصدار
الصحف خلال ٤ سنوات من ٩ مليون جنيه الى
٧٥ مليوناً .

وهبط ثمن السهم فى هذه الصحف من ١٣٣ قرشا
الى ٣٧ قرشا فحسب .

وتوقفت البنوك عن اقراض « بيفر بروك » واصبح
مستقبل كل صحفه مهددا بالخطر .

ولم يكن بيفر بروك وحده يعانى .

ان صناعة الصحف فى انجلترا تأثرت خلال ال ١٥
عاما السابقة فان التليفزيون جعل عدد القراء يهبط ،

كما انخفضت ايرادات الصحف من الاعلانات التي تحولت
عن الورق الى الشاشة الصغيرة .

وفي تلك الفترة ماتت في انجلترا ٣ صحف يومية هي
« نيوز كرونيكل » و « ديلي هيرالد » و « ديلي سكوتش » .
ولم يكن امام « بيفر بروك » الا اتخاذ اجراءات عنيفة
للتوفير فعرض على كثيرين مكافآت مقابل الاستقالة .
وأخيرا قرر يوم ١٨ مارس ١٩٧٤ اغلاق صحيفته
المسائية في جلاسجو .. ولكنه كان حريصا .. باع اسم
هذه الصحيفة قبل اغلاقها لمنافسه بمبلغ ٢٧٥.٠٠٠ ر.٢
جنيتها !

وقرر نقل صحيفته الصباحية « سكوتش ديلي
اكسبريس » الى مدينة مانشستر لتصدر منها .
وأعلن ان القرار ينفذ بعد ١٤ يوما .
وكان معنى ذلك ان يتعطل ١٨٠٠ عامل .
رأى العمال ان ينشروا في آخر عدد من الصحيفة
بيانا يقولون فيه :

« لا نريد ان نخيب أمل القراء . لن يكون هذا هو
العدد الاخير من هذه الصحيفة . التي كانت كبيرة يوما ما .
ستصدر صحيفة أخرى تعكس فكر القراء . وقد تم
الاتصال بالحكومة والاتحادات العمالية ورجال الصناعة
للحصول على تأييدهم .

ورد الفعل يعتبر مشجعا » .

رفضت الصحيفة نشر البيان ولكن العمال اصرروا
فوافقت الادارة ولكنها لم تطبع سوى ٣٠٠٠ نسخة
فقط !

وهكذا صدر العدد الاخير من صحيفة « سكوتش ديلي اكسبريس » يوم ٢٨ مارس عام ١٩٧٤ .
ويوم صدوره أصيب الصحفيون بجنون ..
مصور صحفي مشى عاريا في الصحيفة وفي الشوارع ..
يكي ! وكثيرون شربوا حتى الثمالة لينسوا !

راى .. هـ من العمال أن يشكوا فيما بينهم شركة ،
او جمعية تعاونية . لاصدار صحيفة جديدة بدلا من تلك
التي أغلقت .

وقدم كل عامل بين ٥٠٠ و ٦٠٠ جنيه مساهمة في
هذه العملية . وهذا المبلغ هو مكافأة نهاية الخدمة التي
حصل عليها كل عامل .

وأصبح لديهم نحو ربع مليون جنيه لا يكفي لاصدار
الصحيفة .

عرضوا الامر على وزارة الصناعة فرفض مستشارو
الوزارة منح أى قرض للعمال . ولكن وزير الصناعة
العمالى « تونى بن » عارض راى مستشاريه ووافق على
منح العمال قرضا قدره ٢٠٠.٠٠٠ ر.ا جنيه .

ولكن الوزير اشترط ان يجمع العمال مبلغا مناسباً
حتى يوافق على القرض .

وبدا العمال يكتبون للاتحادات العمالية فى دور النشر
والطباعة وكل الاتحادات العمالية بصفة عامة . ولكن
الجميع اعتذروا وتخلوا عنهم . ولم يساهم فى الصحيفة
الا اتحاد عمال السكك الحديدية بمبلغ ٥٠٠٠ جنيه .

وقالت الاتحادات : اموالنا لاغراض معينة ليس من

بيئها تشكيل شركات . وأعلن البعض أنهم لن يساهموا
إلا إذا ساهمت الحكومة .. بل أن بعض الردود كانت
معادية .

وهكذا أدرك العمال أن زملاءهم تخلوا عنهم وأن
الطبقة العاملة ليست متضامنة في المشروع الجديد .

ولجأوا إلى « بيفر بروك » الذي لم يجد مشترين
لمطابعه ومبانيه فأقرضهم وقدم ضمانات لتقرضهم
البنوك .

ووافقت بعض البنوك على اقراضهم ما دامت الحكومة
قد وعدت بمساعدتهم .

واضطر العمال إلى طرح بعض أسهم الشركة الجديدة
للجمهور مقابل ٢٥ جنيهًا للسهم الواحد .

وحدد العمال يوم ٢٨ مارس عام ١٩٧٥ للاجتماع
النهائي فأما أن تقدم الشركة ، أو الجمعية التعاونية ،
أو يعلنوا هزيمتهم .

وكان اليوم .. الجمعة .. عطلة دينية .. والبنوك
لا تفتح إلا يوم الثلاثاء التالي ومطلوب من العمال ٤٧٥
الف جنيه منها ٢٠٠ ألف من مكافآت نهاية الخدمة بعد
انسحاب عدد من العمال من المشروع ١٦١ ألف جمعت
من بيع الأسهم ومن جهات متعددة وبقي مبلغ ١١٤ ألف
جنيه .

وعندما بدأ الاجتماع لم تكن الموافقة النهائية على
قرض وزارة الصناعة قد وصلت .. ولكنها جاءت برقيا
خلال الاجتماع .

ومع ذلك ظل المشروع يعاني العجز وقدره ١١٤ ألف
جنيه .

وتدخل « ماكسويل » فى آخر لحظة .
و « ماكسويل » كان عضوا فى مجلس العموم خلال
دورة برلمانية واحدة .

وفى أول خطاب له فى المجلس أطل فتاخر خطاب
هارولد ولسون رئيس الوزارة وبذلك لم تستطع الصحف
المسائية نشره فغضب ولسون .

وسقط « ماكسويل » بعد ذلك مرتين فى الانتخابات .
وهو أساسا مهاجر من تشيكوسلوفاكيا غير اسمه
عدة مرات وأصبح مليونيرا . ويريد صحيفة تدافع
عنه ، وعن سمعته ، ومشروعاته ، ويريد أن يرتبط
بالطبقة العاملة .

وفى اللحظة الأخيرة وأمام كل العمال قدم « ماكسويل »
شيكا بمبلغ ١٠٠ ألف جنيه مساهمة فى الشركة .
ووعده بدفع ال ١٤ ألف جنيه .

وسرا اشترط أن تصدر الصحيفة عدة طبعات طول
اليوم ولا تكتفى بأن تكون صباحية وأن يكون ناشرا
للصحيفة وشريكا فى ادارتها .

ووافق العمال ، ولم يكن أمامهم إلا أن يوافقوا أو
يهزموا ، ولكنهم بعد ١٠ أيام عدلوا عن اعطاء سلطة النشر
لماكسويل !!!

أخذ الجميع يهتفون :

« أصبحت لنا صحيفة .. أصبحت لنا صحيفة » .

وظهر « ماكسويل » فى التليفزيون يكذب قائلا :

— لم أفرض شروطا على العمال !

حدد يوم ٥ مايو ١٩٧٥ لصدور العدد الاول وقد

اطلقوا على صحيفتهم اسما جديدا هو « سكوتيش ديلي نيوز » .

وخلال تلك الفترة أجرى العمال تجارب على المطابع التي ظلت معطلة ١٤ شهرا ليكتشفوا نقصا كبيرا فيها .
وقيل لهم ان الصحيفة لا يمكن ان تصدر بحجم صغير - اي مثل مجلة آخر ساعة - بل تصدر بحجم الصحف العادية لان تحويل المطابع الى الحجم الصغير يتطلب ١١٦ الف جنيه .. وشهورا طويلة من الاعداد .

وبدا العمال يجرون تجارب على الصحيفة الجديدة بعد ان اختاروا لها رئيسا للتحريير - مرتبه ١٥٠ جنيها كل اسبوع - ومحررين راتبهم ٦٥ جنيها اسبوعيا .

وكان الحماس يملأ قلوب الجميع باعتبار ان الصحيفة تمثل صرخة احتجاج عملية وفعالة ضد مجتمع لا يرى - في بطالة العمال - رذيلة ، كما ان العاملين جميعا يرون ان اصدار صحيفة عملية تستحق المجازفة .
وصدر العدد الاول ..

ضفطت على زر المطبعة السيدة التي اشترت اول سهم في الصحيفة .

قال رئيس التحرير وهو يقدم جريدته للقراء :

« ستكون صحيفة براءة وليست تافهة .

مسئولة لا مزهوة .

تقدم آخر الاخبار المحلية والقومية والعمالية بأسلوب جميل ، عنيف ، ولكن بلا اثاره .

صحيفة عندها حاسة التقدير والتنسيق .

صحيفة تهتم بالرياضة وبالعاب الاقليات ولكنها

لا تقتنع أبدا بأن أصبح قدم متورم للاعب كرة يستحق
اهتمام وعطف الأمة !

ستنظر للرياضة بحسب وباحترام للموهوب والبطل .
ولن تنسى أبدا أن الرياضة تسلية وهى ليست أهم مافى
الحياة .

صحيفة سياسية تعكس ، قدر الامكان مشاعر الناس
فى اسكوتلندا .

فلسفتنا الى يسار الوسط .
وستكون منبرا مفتوحا للنقاش فى السياسات والآراء
المعارضة .

ولن نجعل الملل يتسلل الى القراء بجدل عقيم ..
ان هواء الحرية المتجدد سينبعث من كل صفحات
الجريدة . وسنقدم اهتمامات كل الاعمار من أطفال
المدارس الى المحالين للمعاش . ولن نخجل انسان من
عرض هذه الصحيفة على أسرته ، ولن يخفيها عنهم .
أما الشباب الذين يعتمد عليهم مستقبل هذا البلد
فستوجه له عناية خاصة .

وهدفنا ان يجد كل قارئ هذه الجريدة مسلية
ويستمر فى شرائها لانه يحبها ويثق فيها ، فهى صحيفة
للشعب .. يحدث فيها نفسه .. او يتحدث الى
نفسه » .

أما العنوان الرئيسى فى الصحيفة - المانشيت - فهو
« عظيم ان تعود الى الحياة » .

وهو يروى قصة انسانية مثيرة عن فتاة اصببت فى
حادث تصادم . وقيل انها ماتت . ولكن بعد وصولها

الى المستشفى فى مدينة جلاسجو عادت الى الحياة واصبحت عارضة للأزياء .

واحتفظوا بالفتاة طول الليل فى مبنى الصحيفة حتى لا تحصل الصحف المنافسة على القصة أو تصور الفتاة . وقالت الصحيفة « هذا ينطبق علينا أيضا ، فنحن عدنا للحياة » .

وفى كل الصفحات كانت هناك اشارة الى وقوف العمال على اقدامهم مرة أخرى .

واخذت الصحيفة فى عددها تهنىء نفسها وتنظر الى الورااء فى غضب عن معركة ال ١٤ شهر التى خاضها العمال حتى استطاعوا ان يصدروا صحيفتهم .

ومن اليوم الاول هاجمت ملكة انجلترا وامبراطور اليابان الذى كان يزعم زيارة لندن . وعارضت دخول بريطانيا السوق الاوربية المشتركة .

وفى اليوم التالى هاجموا رئيس صناعة الصلب وطالبوا باستقالته .

وهاجموا الشركات لان عمال البترول فى بحر الشمال يتعرضون للموت كما ان الحكومة لا تقدم للعمال المعلومات التى تضمن لهم الامن أو تحذرهم من المخاطر .

وفى الايام التالية ابدوا كل العمال المضربين فى كل الشركات . فان الصحيفة ، كما أعلنت ، كانت الى يسار الوسط ولم تكن شيوعية بحال من الاحوال .

كان سعر الصحيفة ٦ قروش بينما ثمن الصحف المنافسة ٥ قروش فحسب .

باع العدد الاول ٢٦٠ ألف نسخة ونفذت كل اعداده .
ووصل التوزيع فى الاسبوع الاول الى ٣٣٠ ألفا .
ولكن المشكلة كانت فى الاعلانات .
كان مقررا أن تمثل الاعلانات ٧ ٪ من مساحة
الصحيفة .

وحدد سعر الصفحة ٧٠٠ جنيه .
ولكنها صدرت بعد أن وزعت الشركات ميزانياتها
الاعلانية على الصحف ، كما أن الصيف هو فصل الكساد
الاعلانى .

ومن ناحية أخرى فإن الشركات الكبرى رفضت أن
تعلن فى صحيفة تتجه الى يسار الوسط !
وقال مدير الاعلانات للعمال :

— الصحيفة تصدر للحصول على قراء .. وعلى معلنين
أيضا . الصحيفة تباع للقراء وتباع أيضا للمعلنين .
وقالت هذه الشركات :

« نحن شديدو الحساسية للاضرابات فاذا ايدتموها
ستموتون منذ البداية » .
وقالت الشركات :

— اننا نجتمع مع مديرى اعلانات الصحف الاخرى
فى نفس النادى .. ونحن واياهم نتنفس الهواء الاجتماعى
ذاته .. اما انتم !

ولكن العمال كانوا يرون أنه عندما يحدث تعارض
بين المبدأ والعلاقات التجارية فإن المبدأ ينتصر !

قبل صدور الصحيفة سئل ١٨٠ ألف قارئ :

— هل تتعهد بشراء الصحيفة ٣ شهور متصلة .

فقال ١٥. ألف قارئ ..

ب. نعم .

ولكن التوزيع بدأ ينخفض حتى وصل الى ٢٠٠ ألف نسخة في الاسبوع التالي فان الصحيفة لم تستطع اختراق سوق الشباب .. رغم انها كانت تصدر ٥ طبعات كل يوم .

ورئيس التحرير لم يكن حازما بدرجة كافية .. كانت الصحيفة مجرد اقسام كل منها يمثل فكرا مختلفا . وكان مطلوبا من رئيس التحرير أن يضع بصماته في كل سطر ، او في كل عامود ، او في كل صفحة .. ولكن افتقاره للحسم اضيف اليه انه لم يكن صاحب رؤية بعيدة .

ولم تستطع الصحيفة أن تلتزم بخطها السياسي في الاخبار بل التزمت بسياستها في التعليقات والمقالات فحسب .

وكانت لجنة العمل التي تشرف على الصحيفة مؤلفة من ١٦ عاملا .. تجتمع ٥ مرات في اليوم الواحد ، وقراراتها تتغير وتتبدل عقب كل اجتماع .

وتتدخل اللجنة في تحديد سعر « الساندوتشات » في الكانتين ، وهل تقدم دعما له ام لا .. وتتدخل ايضا في كل شيء .

ولم يثق العمال الا بمن يرتدى ملابس العمال فان تاريخ العداء بين الادارة والعمال كان مريرا في صحيفة اللورد بيقر بروك .

وكان العمال يفخرون بأنهم يملكون صحيفة وانهم يستطيعون ادارتها وانهم يكتبون ما يريدون بالاسلوب الذى يرونه لائقا ، لا كما يرى مالك اية صحيفة ، وايضا يقررون ما ينشر حسب تفكيرهم لا كما يود الجمهور .

وقيل للعمال :

— انتم تقرررون السياسة العامة ولا تقرررون طريقة ادارة العمل .

ولكنهم لم يحددوا ابدا الفرق بين السياسة والادارة . وقال لهم مدير الاعلانات :

— اذا اردتم الحصول على اعلانات من الشركات اكذبوا .. لا تذكروا ارقام التوزيع الحقيقية . كل مدير صحيفة يحسن طبخ ارقام الاعلانات كما يريد .

هذه اكاذيب بيضاء .. او اكاذيب سوداء .. او اى نوع من الاكاذيب .. قولوها لتنجحوا .

ولكن العمال لم يكونوا مدربين على التجارة . ولم يتحركوا بدافع سياسى او تجارى بل لخلق نموذج يحتذى فى الاشراف على وسائل الانتاج هدفهم توفير فرص العمل لهم أولا واخيرا !

نتيجة نقص الاعلانات وهبوط التوزيع أصبحت الجريدة تخسر نحو ٣٠ ألف جنيه كل اسبوع ولم يبق لديها الا نصف مليون جنيه نقدا بعد ان أنفقت الباقي على الورق والسيارات والتليفونات والاجور والمحامين والرعاية .. الخ .

وقيل ان السبب فى هبوط التوزيع ان حجم الصحيفة

لا يشجع القراء على شرائها وهم يستقلون المواصلات صباحا ولذلك تباع الصحف المنافسة ذات الحجم الصغير .. وانخفض التوزيع بالفعل إلى ٧٠ ألف نسخة .. فانها كانت تفقد ١٠ آلاف قارئ كل يوم .

وفي ظل هذه الظروف انذرهم « ماكسويل » بأنه يجب أن يعود للإشراف على التوزيع والإعلان . ووعدهم بتقديم أموال تساعد على الاستمرار فترة أطول لأن ما لديهم لم يكن يكفيهم إلا لفترة قصيرة .

وافق العمال ولكن ماكسويل لم يقدم لهم سوى ٢٥ ألف جنيه واشترط أن يطرد كل المديرين الذين عارضوا إشرافه فاستقالوا .

وعلى الفور قرر « ماكسويل » تخفيض سعر الصحيفة إلى ٥ قروش ليزيد التوزيع ، في الوقت الذي رفعت فيه الصحف المنافسة سعرها ٦ قروش .

واستطاع ماكسويل أن يجعل حجم الصحيفة صغيرا على نفس المطابع خلال ساعات ولم يتكلف ذلك شيئا على الإطلاق ولكن العمال .. كانوا يجهلون !

وارتفع توزيع الصحيفة بين ١٥٠ و ١٨٠ ألف نسخة كل يوم .

ولم يصبر بيفر بروك على العمال . انذرهم وطالبهم بسداد القروض بعد أن رأى أن مصير الصحيفة هو الفشل كما توقعت إحدى جامعات اسكوتلندا منذ البداية .

ولم تخف الصحيفة هذا الإنذار بل انها نشرته تحت

عنوان ضخيم يقول :

« بيقر بروك يقوم بفسارة على أموالنا .. وهذه فضيحة » .

ولكن النشر جاء بعكس ما هو مطلوب .

رفض كل التجار اقراض الصحيفة . ورفض اصحاب السيارات ومحطات البنزين والتاكسيات وكل الموردين شيكات الصحيفة وأصروا على سداد الفواتير .

ونشرت صحيفة « الصانداى اكسبريس » الاسبوعية مقالا اتهمت فيه « ماكسويل » بأنه ضرب أحلام العمال . وبدأ الكل يطالبون بأموالهم .. وكان الاستمرار مستحيلا .

عقد العمال اجتماعا عاما يوم ٢٠ أكتوبر ١٩٧٥ أعلن فيه أنه تقرر تعيين « مصطفى » للجريدة .

وتعاقب العمال يخطبون فطالبوا شعب اسكوتلندا ونقابات العمال بحل المشكلة دون جدوى .

ومر أحدهم « بطبق » يجمع فيه المال فجمع ٥٠٠ جنيه للصحيفة .. وذهبوا الى « ماكسويل » فأعطاهم ١٠٠ جنيه .

وخطبت محررة المرأة فقالت :

— لن نرغم على الخروج من المعركة وسط قسوى الصحافة الرأس—مالية ولدينا العزيمة . صحيفتنا ستستمر . أبرقوا للحكومة لتمد مهلة سداد القرض .

قولوا للجميع :

« انقذوا جريدة سكوتيش ديلي نيوز » .

ووافقت الحكومة تحت الضغوط الى مد المهلة اسبوعا واحدا .

وفي ٦ نوفمبر أعلن رئيس العمال أنه مضطر لاغلاق الشركة .

وماتت الصحيفة التي كانت رمز احتجاج ضد « بيفر بروك » .. ولكنه كان احتجاجا تكلف ثمنا غاليا .

والجدير بالذكر انها كانت تباع عند اغلاقها ١٥ ألف نسخة وانها كانت الصحيفة رقم ٣ في اسكوتلندا وتسبق صحيفتين اخريين في جلاسجو وصحيفتين في اسكوتلندا ..

كان تعليق مدير صحف بيفر بروك :

— العمال استطاعوا اصدار صحيفتهم ب ٥٠٠ عامل فقط بينما كنا نصدر نفس الصحيفة ب ١٨٠٠ عامل وهذا يدل على اننا تحملنا البطالة المقنعة .. زمنا طويلا .

وكان الهدف من التعليق القاء اللوم على العمال في فشلهم مرتين :

الاولى في اصدار صحيفة يملكها راسمالى .

والثانى : اصدار صحيفة يملكها العمال انفسهم .

وكان خطؤهم انهم لم يدربوا على الادارة .

وعادوا بعد ٦ شهور يقفون في الطابور يبتفون تأمين البطالة .. من الحكومة !

صحيفة.. للجيب

أصدرت صحيفة « وول ستريت جورنال » الأمريكية طبعة يومية لها في أوروبا وبذلك تكون أول صحيفة أمريكية تصدر من نيويورك تطبع وتوزع في ٣ قارات في وقت واحد : أمريكا وأوروبا وآسيا .

وهذه الصحيفة هي أغلى الصحف الأمريكية ، ثمنها - ٣٥ سنتا - أي ٢٥ قرشا تقريبا - في ٥٦ صفحة .

تصدر ٥ أيام في كل أسبوع اذ تعطّل مع اغلاق الاسواق المالية لأنها صحيفة اقتصادية في المقام الاول .. فان اسمها يدل على ذلك لان « وول ستريت » هو الشارع الذي تقع فيه سوق الاوراق المالية في نيويورك .

وهي الصحيفة الوحيدة التي توزع في كل انحاء الولايات المتحدة في وقت واحد .

انها تصدر في نيويورك .. ومع ذلك اصدرت عام ١٩٢٩ طبعة في سان فرانسيسكو .. والآن توجد لها ١٣ مطبعة متفرقة في الولايات المتحدة الأمريكية المختلفة .

انها ترسل من نيويورك صورة لكل صفحة عن طريق

القمر الصناعي الذي يرتفع ٢٢٣٠٠ قدم فوق الكرة الأرضية فتتلقاها محطات استقبال أرضية فى مناطق الطباعة المختلفة ، لتطبع وتوزع فى وقت واحد .

وتتم هذه العملية فى دقائق .. أما التكاليف فلا تتجاوز ٧ ٪ من تكاليف انشاء مطبعة فى كل منطقة وأجور عمالها .

ان عدد العاملين فى محطة الاستقبال ١٥ متفرغين واثني لبعض الوقت ويدخل ضمن هؤلاء « جناينى » وسكرتيرة المدير .

ومعروف ان الصحف الامريكية كلها محلية .. أى لكل ولاية صحفها ، وبذلك تكون « وول ستريت جورنال » هى الصحيفة القومية الوحيدة فى الولايات المتحدة .

ومن ناحية أخرى فهى اكبر الصحف الامريكية انتشارا اذ يصل توزيعها الى مليونى نسخة كل يوم .

وفى عام ١٩٧٦ اخذت الجريدة تطبع فى نفس الوقت فى « هونج كونج » باسم طبعة « آسيا من وول ستريت جورنال » لتوزع فى الشرق الاقصى .

اما الطبعة الاوربية فتجمع موادها فى هولندا .. وتطبع فى بروكسل ، وتوزع فى كل عواصم اوربا والشرق الاوسط .

وتعطى اهتماما خاصا لانباء هذه الدول .

وقراء هذه الصحيفة تتروح أعمارهم بين ٣٥ و ٥٥ سنة ، والمشترون فيها يبلغ دخلهم فى المتوسط ٥٢ الف دولار سنويا . فهم الذين يملكون القدرة على الشراء .. ولذلك تتدفق الاعلانات على هذه الصحيفة وسعر الاعلان فيها أعلى من باقى الصحف الامريكية لاسباب

كثيرة أهمها أن الصحيفة توزع في كل الولايات ..
ولذلك فإن الصحيفة والشركة التي تصدرها ترباحان
نحو ٤٠ مليون دولار سنويا .

وتبلغ قيمة أسهم شركة « داو جونز » في السوق
٩٠٠ مليون دولار وهذا هو رأسمال الشركة في الوقت
الحاضر .

بدأت فكرة هذه الصحيفة عام ١٨٨٠ .
اثنان من الصحفيين تركا عملهما وذهبا الى مدينة
نيويورك .. الاول اسمه « شارلز داو » كان يغطي أسعار
شركات المناجم يكتبها على أكرام قميصه ويسرع بها الى
المكتب الذي يعمل به ويوزع الأسعار على الزبائن .

والثاني « ادوار جونز » الذي انضم الى زميله .
ثم استقال الاثنان ليؤلفا شركة عرفت باسمهما وهي
شركة « داو جونز » التي أنشئت في بدروم بلا نوافذ
قرب بورصة نيويورك .

وصدر العدد الاول من « وول ستريت جورنال » في
٨ يوليو ١٨٨٩ في ٤ صفحات منها أسعار الأسهم وأخبار
اقتصادية ورياضية .

وحمل العدد الاول مباراة الملاكمة الشهيرة التي
خاضها « سوليفان » للاحتفاظ بلقبه بعد ٧٥ جولة في
مباراة واحدة .. ففي تلك الايام كانت المباريات ..
طويلة .. طويلة .

وفي نهاية القرن باع الصحفيان الشركة والصحيفة
الى « كلارنس بارون » .

والى هذا الرجل يرجع الفضل الى تطور الصحيفة وشهرتها .

كان صحفيا يملئ الاخبار على جيش من السكرتارية فى وقت واحد .

... يملئ اخباره ومقالاته عندما يستيقظ صباحا ثم من الحمام .. وهو يحلق ذقنه .. بل كان يملئ مقالاته وهو يلعب البوكر .

وكان صديقا للملكة « مارى » ملكة رومانيا .

راى « بارون » ان مهمة الصحفي ان يفسر للقراء كل عمليات الاستثمار سواء تمت على موائد القمار فى لاس فيجاس ، او فى آبار البترول فى البحرين .

ورأى ان واجبه تقديم أسعار الذهب فى زيورخ ، والماشية فى الارجنتين ، وأسعار الاراضى والمزارع فى أمريكا ، وتقلبات أسعار سوق الاوراق المالية ومضارباتها .. وما وراء هذا كله .

ورأى ان صحيفة اقتصادية لا ينبغى ان تتجاهل تفاعل المال والسياسة .. ولا بد من أنباء الجرائم ، والحروب ، والسينما ، والمسرح ، والكتب ولكن الاقتصاد يسبق هذا كله .

وكانت الاخبار المالية مهمة فى الصحف وتنشر بطريقة غبية فقدمها بطريقة افضل .

ووجد ان مهمة محرر الصحيفة ان يربط الاحداث الدولية المتباعدة ويبين تأثيرها على سوق المال .
ان ما يجرى فى بورصة باريس قد تكون له علاقة

بجريمة قتل غامضة فى شارع ضيق باستانبول ، ويناد
للقمار ، أو بصحفى يساوى بيونس ايرس .

وهذا كله قد يؤثر فى سوق الاوراق المالية فى
نيويورك .

ومهمة المحرر ان يتنبأ بالتغيرات .. ارتفاعا ، أو
هبوطا ، فى أسعار المواد الخام حتى يقدم خدمة للقارىء .

قبل قيام الحرب العالمية الاولى بدا سباق التسلح
بين الدول الكبرى فى أوروبا .

وتأثر الاقتصاد الأمريكى نتيجة الاقبال على المعادن ،
التي يصنع منها السلاح ، فارتفعت الأسعار وزاد
الرواج .

ورأى « بارون » ان يسافر الى أوروبا لمراقبة الاحوال،
على الطبيعة .

فى فينا وجد رجال البنوك يستمتعون بالرييح ...
والصحفيين بالمقاهى يحتسون القهوة التركية ، ويتبادلون
الاشاعات عن بلاط الامبراطور « فرانز جوزيف » .

وفى باريس وجد الناس منتشين بالسعادة .

ووجد أن تجار السلاح قد زادوا معروضاتهم فبدأ
الطلب يقل ..

وفى كل مكان لم يحس بخطر الحرب فكتب فى
صحيفته ينصح المساهمين فى شركات المعادن ببيع
أسهمهم وشراء أسهم شركات البترول فى المكسيك
وسومطرة وخليج الأطلسى .

وقال « بارون » ان أسعار اسهم المعادن ستتنخفض
حتما ..

وصح ما توقعه ..

بدا سباق التسليح يخف .

واخذت الاسعار تتهاوى ..

وفى الاسبوع الاخير من يوليو عام ١٩١٤ اغلقت
بورصات فيينا ، وبروكسل ، وبودابست لمنع المزيد من
الانهيار ..

وقبل نهاية الشهر كانت بورصات أوروبا قد اغلقت .
وفى ٢١ يوليو تلقت بورصة نيويورك نبأ عاجلا بأن
بورصة لندن اغلقت بينما ظلت مفتوحة حتى خلال حرب
نابليون .

واصيب سوق الاوراق المالية فى نيويورك بالرعب
فاخذت الاسعار فى الانهيار السريع المفاجيء .

وحاول الخبراء وقف تدهور أسعار اسهم شركة
الصلب الامريكية حتى لا تؤثر على باقى الشركات ..
ولكن بغير نتيجة ، فان أوامر البيع كانت تتساقط على
السמاسة كالطر ..

واغلقت البورصة فى موعدها العادى وبدأت
الاجتماعات بين المسئولين لبحث الموقف .

قال السماسرة ان المساهمين الاوربيين فى الشركات
الامريكية يملكون أسهما قيمتها ٢٥٠ مليون دولار وقد
طلبوا بيعها .. واذا تم ذلك فان الانهيار الاقتصادى
الكامل لامريكا .. محتوم .

وعلى ذلك تقرر اغلاق بورصة نيويورك لأول مرة منذ
عام ١٨٧٣ .

بقيت البورصة مغلقة ٩ شهور .. اى حتى أبريل
عام ١٩١٥ ، فقد قامت الحرب واصبحت الولايات
المتحدة اكبر مورد سلاح للطفاء .. وبذلك ارتفعت
الاسعار .

ان هذه الصحيفة تدور حول مركز واحد : المال ..
وكل الفضائح السياسية وغيرها تبدأ وتنتهى -
عادة - بالمال .

ولم يتردد « بارون » فى لقاء الضوء على الفضائح
المالية مهما كان الثمن .. وايا ما تكون شخصية المتهم
.. ومهما كلفه ذلك من جهد ومتاعب .. ومشاكل .

ولد شارلز « بونزى » فى ايطاليا .. وهاجر الى
امريكا وعمره ١٧ سنة اشتغل بكل الاعمال .. قام
بغسل الصحون .. ورقى جرسونا ، ثم عمل كاتباً
وأخيراً ، وبسبب خياله الخصب أصبح مليونيراً ..
قال لاصدقائه :

- اكتشفت وسيلة للاستثمار تجعلكم اغنياء .. درست
نظام اذونات البريد فى امريكا وأوروبا . واستطيع ان
اضمن لكم ربحاً يصل الى ٥٠ ٪ على اموالكم خلال
٥٠ يوماً .

صدق بعض الاصدقاء فاستأجر مكتباً - من حجرة
واحدة - فى مدينة بوسطن يوم ٢٠ ديسمبر عام ١٩١٩ .
وفى اليوم الاول جمع ٢٥٠ دولاراً من الزبائن ، الذين
يريدون الثراء دون القيام بعمل .

وبعد ستة أسابيع ، رد لهم أموالهم مضافا إليها ١٢٥ دولار هي الأرباح التي وعدهم بها .
انتشر النبا وبدأ الناس يطرقون باب « بونزى » ..
كلهم يحلمون بالثراء ، ليشتروا قصورا فى إيطاليا أو اليونان أو .. فان معظم الحالمين من المهاجرين ..
وكان « بونزى » يقدم للزبائن القهوة والحلوى .
وتدفق الناس حتى كونوا صفوفًا طويلة .. وكان يجمع المدخرات مؤمنا بأنه سيضاعفها خلال ستة شهور .

وفى ربيع عام ١٩٢٠ كان « بونزى » قد جمع ربع مليون دولار كل يوم .. وملأت الأموال ادراج المكتب و ١٢ سلة مهملات وبلغ ارتفاعها سقف الحجرة .

واضطر لتعيين ١٦ كاتبًا لتلقى الأموال . وفتح ٥ مكاتب فى ولايات أمريكا لقبول الاستثمارات .

وفى أقل من ٨ شهور ، جمع ١٠ ملايين دولار .
وأصبح اسمه مشهورا فى أمريكا كلها . واشترى عقارات ضخمة فى بوسطن ، وشركة السمسة التى عمل فيها ساعيا ، وسار من عمالة سوق الأوراق المالية وصديقا لرجال السياسة .

وعندما يغادر السيارة أمام مكتبه الجديد يحيط به الإيطاليون والاييرلنديون واليهود يتوسلون إليه قائلين :
— خذ أموالنا .

وفى صيف ١٩٢٠ قرر « كلارنس بارون » صاحب جريدة « وول ستريت جورنال » القيام بتحريات لاثبات أن « بونزى » لص وأفاق ومزور .

والنصاب عادة يهرب من مندوبى الصحف ولكن

« بونزى » استقبل محررى « الجورنال » وأشار الى حقائب مليئة بالمال وقال :

— هذه هى الارباح سأوزعها على أصحابها .

ولكن الصحيفة أخذت تبذر الشكوك حول « بونزى » وكتبت تقول أنه من المستحيل تحقيق أرباح بهذا الحجم من أذونات بريد ثمن كل منها ٦ سنتات .

وجد « بونزى » أنه ينبغي أن يرد فأقام دعوى ضد الصحيفة مطالبا بتعويض ٥ ملايين دولار من تهمة القذف ضده ..

أوفد « بارون » أحد مندوبى الصحيفة الى باريس — مقر اتحاد البريد الدولى — لمعرفة عدد أذونات البريد التى أصدرها الاتحاد خلال عام .

وجد الصحفى ان هذه الاذونات لا تتجاوز قيمتها مليون دولار خلال عام .. وبالتالي لا يستطيع « بونزى » أن يحقق من هذا المبلغ الارباح الضخمة التى يدعيها ..

قال « بونزى » ردا على الحملة الصحفية : « لا أجمع أرباحى من هذه الاذونات .. انها ستار فقط ولا أريد أن يعرف الناس كيف أصل الى هذه المكاسب كلها .

وما دام الزبائن يحصلون على أرباحهم خلال ٥٠ يوما فليس لأحد أن يحاسبنى » .

خاف الناس على أموالهم فاتجهوا الى مكاتب « بونزى » لاسترداد أموالهم فأعادها اليهم كاملة .

ولم يتوقف « بارون » وصحيفة « الجورنال » عن الهجوم على « بونزى » .

وبعثت الصحيفة بعض المراسلين الى مونتريال ومعهم

صور « بارون » يعرضونها على أولئك الذين عمل معهم في كندا قبل انتقاله الى أمريكا .

.. تعرف أحد رجال الشرطة على « بونزى » وقال انه كان يعمل فى بنك . وقد حكم عليه ٣ سنوات بتهمة التزوير ..

وجدت الحكومة الامريكية انها لا تقدر على الاستمرار فى الوقوف موقف المتفرج ازاء رجل يبدو من تصرفاته انه افاق .

وخلال يومين من نشر قصة مونتريال ، قبض على « بونزى » ، وأودع السجن ، فتجهر الناس وهاجموا السجن معتقدين ان الحاكم سيرد اليهم أموالهم .. وارادوا قتل « بونزى » لولا حماية الشرطة له . وقد تبين انه خدع ٤٠ ألف مساهم استولى منهم على ١٥ مليون دولار ولم يجدوا معه عند القبض عليه سوى مليوني دولار .

ولم يستطع « بونزى » ان يحدد مدى الاموال التى سرقها لانه لم يكن يحتفظ بدفاتر بل كان يرد الاموال والارباح الى بعض المستثمرين القدامى بأموال المخدوعين ... الجدد .

اضطر « بونزى » الى الاعتراف بجريمته ف قضى بسجنه ٥ سنوات .

وكان يستطيع الهرب والافلات من السجن لانه لم يفكر فى الحصول على الجنسية الامريكية .

عاش « بارون » حتى بلغ الثالثة والسبعين .. بقي اياما فى غيبوبة اثناء مرضه الاخير .. ولما افاق منها التفت الى سكرتيرته قائلا بصوت هامس :

— ماهى آخر الاخبار على آلة التيكروز الآن .
.. ثم مات .

وكان ذلك عام ١٩٢٨ .

وقد تزوج من ارملة ام لابنتين فورثتا وزوجاهم—
الصحيفة وشركة « داو جونز » التى تتولى نشر أسعار
الاسهم فى بورصة نيويورك حتى الآن .

وعندما اقبلت الازمة الاقتصادية العالمية عام ١٩٣١
انخفض عدد المشتركين فى آلات التيكروز ، التى توزع
اسعار الاسهم ، فاضطرت الشركة الى توزيع نكت
وفكاهات على هذه الآلات .

اما الصحيفة فوجدت ان مستقبل الاوراق المالية غير
مضمون فاهتمت بتوسيع نطاق عملها وزيادة جاذبيتها
للقراء فتحولت الى جريدة اقتصادية واجتماعية ايضا .
ولم يتدخل الورثة بل تركوا الصحيفة والشركة
للخبراء المختصين يديرونها .

يوم هاجمت اليابان ميناء « بيرل هاربور » عام ١٩٤١
وأفرقت الاسطول الأمريكى نشرت « الجورنال » فى
الصباح التالى مقالا فى الصفحة الاولى قالت فيه :
« الحرب مع اليابان تعنى ثورة صناعية فى الولايات
المتحدة » .

واكتفت الصحيفة بكتابة اخبار الغزو اليابانى للفلبين
وسقوط « سنغافورة » فى فقرات صغيرة فى الصفحة
الاولى .

ولم تبرز انباء القتال فى كل الجبهات بما فى ذلك
غزو الحلفاء لأوروبا . انها رأت ان توجه اهتمامها ،

واخبارها ، وتعليقاتها ، وافتتاحياتها للجبهة الداخلية ..
ونقص المواد والرقابة على الاسعار والتوزيع بالبطاقات
والقوى العاملة وكل ما يفيد القراء .

وجدت الصحيفة ان واجبها الاساسى خلال الحرب
الا تعامل قراءها كمديرى شركات ورجال اعمال واموال
بل عاملتهم على انهم مستهلكون ولذلك ابرزت ما يهمهم
واسرهم .

وفى الاسبوع الاول للحرب لفت الرقيب نظر رئيس
التحرير الى انه نشر صورة ضخمة لتل من اطارات
السيارات القديمة .

وقال الرقيب ان هذه دعوى للتخريب .

كما لفت الرقيب نظر رئيس التحرير ايضا الى مقال
نشر يتضمن معلومات هامة قد تفيد العدو .

قال رئيس التحرير :

— ولكن كل المعلومات جاءت من دائرة المعارف
البريطانية .

قال الرقيب الذى لا يراجع الصحيفة قبل النشر :

— المسئولون الالمان قد لا يقرأون دائرة المعارف
ولكنهم يطالعون الصحف .

ولقد قامت اليابان بارسال بالونات تحمل القنابل الى
الشاطئ الغربى لامريكا مستفلة فى ذلك التيارات
الهوائية .

وسقطت بعض القنابل على اهداف ثانوية ولكن
الصحيفة ، وغيرها ، امتنعت عن النشر ، فلم تعرف

اليابان مدى نجاح او فشل التجربة فتوقفت عنها .
وخلال الحرب فرضت الصحف الامريكية على نفسها
رقابة اختيارية . واستطاعت « الجورنال » أن تحصل
على سبق عالمي وهو انتاج اول قنبلة ذرية في امريكا ،
وفي العالم كله .

ولكن الصحيفة - بسبب الرقابة الاختيارية - امتنعت
عن نشر النبا .

وقد امتنعت السلطات الامريكية من تجنيد مديري
تحرير الصحف حرصا على استمرارها على العكس مما
فعلته بريطانيا - ولكن هذه السلطات جندت المحررين ،
فاضطرت الصحيفة الى أن تطلب من معاهد الصحافة
اسماء الخريجات الاوائل واستعانت بهن خلال الحرب .
وسباسة الصحيفة تتركز في الحرية الاقتصادية
او الاقتصاد الحر .

وكانت « وول ستريت جورنال » اول صحيفة في
امريكا تعارض اشتراك الولايات المتحدة في حرب فيتنام ،
وذلك عام ١٩٦٨ عندما كان ذلك الاتجاه غير مقبول من
الامريكيين .

وتؤمن الصحيفة بأن قراءها ليسوا متبحرين في علوم
المال ولذلك تكتب ببساطة وبلا تعقيد ولا تنشر اصطلاحات
فنية الا اذا شرحتها في كل عدد .

وهي تختار المحررين الشباب عقب تخرجهم من
الجامعة مباشرة ، قبل الاشتغال بالصحافة ، او العمل
بسوق المال .

انها تحرص فقط على أن يكون الصحفي الشاب ممن

يحسنون الكتابة ، اما الخبرة فيكتسبها من خلال عمله ..

فالصحيفة ترى ان « النصاب » يبدأ من القاع ، ويتعلم ، ولذلك فان الصحفي ايضا يستطيع ان يتعلم من الصحيفة ومن السوق .

وهي تقول للمحررين الجدد :

« احرصوا على ان تكون الجريدة جذابة للمائة الف قارئ الذين لم يشتروا الصحيفة ، او لم ينتظموا في قراءتها حتى الآن .

والسبيل لذلك اخبار بلا اخطاء ، وموضوعية كاملة ، وعدم تحريف للأنباء » .

وفي كل صباح يتناول رؤساء الاقسام القهوة في مكتب رئيس التحرير . ويبدأون عملهم بنقد العدد الصادر ذلك الصباح . ويضعون افكار الموضوعات والاخبار التي ينبغي على الجريدة متابعتها والاهتمام بها .

ومعظم الانباء التي تنشر في الصفحة الاولى في اليوم التالي ، هي عادة نتاج هذا الاجتماع الصباحي .

وقد عهد الى محرر واحد بكتابة كل اخبار الصفحة الاولى سنوات طوال .
قيل له :

— يجب ان تكون هذه الصفحة متميزة او فريدة بين الصحف . ويجب ان يجدها القراء مسلية . مفيدة .
يسهل فهمها .

وعليك ان تقدم لهم اخبارا لا يجدونها فى اى مكان آخر .

وقد تفوق هذا الصحفى واسمه وليم كيربى - واصبح بعد ذلك رئيسا لمجلس الادارة ١٢ سنة .

وقد بدأ حياته مندوبا .. او مخبرا صحفيا تنبأ بالازمة الاقتصادية العالمية - التى وقعت فى الثلاثينات - فترك امه شيكا موقعا عليه برصيده الصغير فى البنك .. وقال لها :

- عندما اطلب اليك سحب الرصيد فقومى بذلك فوراً ..

وفى احد الايام اتصل بها تليفونيا وقال لها :

- اذهبى الى البنك واسحبى الرصيد .

قالت الام :

- كله ؟

اجاب بالايجاب ..

واستمر فى عمله ثم عاد الى البيت فى المساء وسأله امه :

- اين الدولارات ؟

قالت الام :

- فى مرآة المصعد وجدت انه لابد من ذهابى الى الكوافير . وبقيت هناك حتى فات الوقت واغلقت البنوك .. لا تغضب سأذهب غدا .

قال بحسرة :

- فات الوقت .. لقد أغلق البنك الى الابد .

وبعد ست سنوات تمت تصفية البنك واسترد
رصيده .

وقد التزم « كيربي » خلال الـ ١٢ عاما التي أمضاها
رئيسا لمجلس الادارة بأن يخطر الصحيفة بمكان وجوده
خلال الاجازة القصيرة التي يحصل عليها حتى يمكن
الاتصال به فى اى وقت .

ومنطقة فى ذلك يقول بأنه ما دام القرار النهائى له ،
وهو أعلى سلطة ، فيجب أن يكون تحت تصرف الصحيفة
فى اى وقت ليصدر ذلك القرار . . عند الحاجة اليه .

وشعار الصحيفة التي تطبقه دوما هو :

« لا يوجد وقت مناسب للقيام بأى عمل . . ولذلك
علينا انتهاز الفرص » .

فى مايو عام ١٩٥٤ نجح مندوب الصحيفة فى مدينة
« ديترويت » مركز صناعة السيارات ، فى الحصول
على صور موديلات عدد من سيارات الشيفروليه التي
ستنتجها شركة « جنرال موتورز » عام ١٩٥٥ قبل ازاحة
الستار عنها رسميا .

تلقت الصحيفة هذه الصور ونشرتها فى صفحتها
الاولى مع وصف كامل لها .

و « جنرال موتورز » احدى الشركات العشر الكبرى
فى أمريكا . . وغضبها يعنى زئير عدد من الشركات
التي تنتج لها ، قطعا ، أجزاء من السيارات . . أو قطع
الغيار .

وفوجئت الصحيفة بقرار من « جنرال موتورز » بالغاء

جميع اعلاناتها ، وتبع ذلك قرار مماثل من الشركات
الآخري المتعاونة ، أو المتضامنة ، معها .

وهكذا فقدت الصحيفة في يوم واحد مبلغ ربع مليون
دولار سنويا . وهو رقم كبير بمقاييس تلك الأيام كما
حجبت الشركة الاخبار عن الصحيفة .

ولم تستطع الجريدة المالية والاقتصادية ان تتجنب
نشر انباء صناعات السيارات ، واخبار الشركة فاتفقت
مع وكالة انباء « اسوشيتد برس » على موافاتها بكل
شيء .

وفي نفس الوقت حرصت على كتمان نبا الخلاف ،
او المعركة السرية بين الصحافة والشركة ، او بين
استغلال الاعلانات وحصيلتها للضغط على الصحف .
ولكن النبا تسرب للصحف الآخري التي نشرته في
منتصف يونيو .

ووجد مؤيدون للشركة ، ومناضرون للصحافة .
واثرت حرية الصحافة التي وجدت لها انصارا ..
وخصوما ولكن من رجال الصناعة !

وعندما أحست الصحيفة انها ربحت معركة الرأي
العام ، وخسرت أموال الاعلانات ، فكرت في عقد مؤتمر
صلح ، أو مؤتمر سلام ، فدعا كيربي رئيس الشركة التي
تصدر الصحيفة ، رئيس « جنرال موتورز » الى اجتماع
في مدينة ديترويت يوم ٧ يوليو .

في هذا الاجتماع قالت الصحيفة بلسان ممثلها :
- نريد ان نكون أصدقاء للشركة .. وفي نفس
الوقت ، نكره ان نخسر أموال الاعلانات .
ولكننا لن نسمح لاحد بأن يملأ علينا ما ننشره ،
وما لا ننشره .

قال كيربى :

— لو خضعنا لكم فان اثنين من كبار محررى الصحيفة يستقيلان احتجاجا على نفوذ المعلنين على الصحيفة .. وتعويض الاعلانات ممكن ولا يمكن ايجاد بديل لصحفى كبير .

وشرحت جنرال موتورز موقفها قالت :

— لا نريد أن نحد من حرية الصحافة ولكننا نحرص على حماية تصميماتنا .

وانتهى الامر الى اتفاق على تبادل الخطابات بين الطرفين لشرح وجهة نظرهما للجمهور .

وظلت صيغة الخطابات محل جدل بينهما خمسة أيام كاملة ثم نشرتها الصحيفة يوم ١٣ يوليو ... واستأنفت الشركة مد الصحيفة بالاعلانات .. ولكن التوتر بين الطرفين ظل قائما حتى شهر سبتمبر عندما أقيمت مأدبة غداء فى نيويورك جمعت كبار المحررين ومديرى الشركة .

وانتهى « الحادث » الى صيانة سرية موديلات السيارات .. ولكن الشركة ربحت كثيرا من الضجة اذ أصبح موديل الشيفروليه فى تلك السنة موضع اهتمام الجمهور كما زاد توزيع الصحيفة الاقتصادية المتخصصة التى لا يقرأها ، عادة ، سوى رجال المال .. والاعمال .

المثل الشائع يقول :

« الكلب لا يعض أذن أخيه » .

والمقصود بذلك أن أصحاب المهنة الواحدة لا يهاجم بعضهم بعضا .

ولكن الصحفيين - فى كل مكان - يتبادلون الهجوم .. ويعيشون على ذلك .

ولم تشذ « وول ستريت جورنال » عن هذه القاعدة، بل أنها تتماذى وتهاجم أصحاب الصحف أنفسهم .. ويعنف .. وفى الصفحة الاولى .

فى ١١ أغسطس عام ١٩٧٢ بدأت « وول ستريت جورنال » سلسلة مقالات ضد « شاندر » صاحب جريدة « لوس انجلوس تايمز » وهى من أكبر الصحف الأمريكية .

و « شاندر » له صديق يدعى « بارك » .

درس الاثنان معا فى الجامعة وعندما تخرجا أصبح بارك مضحك الصحفى الكبير ..

وقد أسس « بارك » شركة للتنقيب عن البترول فى عام ٦٤ .

وطلب « بارك » من زميله ناشر جريدة « لوس انجلوس تايمز » أن يساعده فى البحث عن مستثمرين يساهمون فى الشركة .

ولان الناشر « شاندر » له أصدقاء كبار فقد استطاع ان يجد هؤلاء المساهمين ، وبذلك جمع « بارك » ٣٠ مليون دولار من أموال المساهمين ورأى « شاندر » أن يرد الجميل لصديقه الذى ساعده فى عام ١٩٦٤ حتى عام ١٩٦٨ فأعطاه ١٠٩ آلاف دولار نقدا كما قدم له - مجانا - أسهما قيمتها نحو ٣٠٠ ألف دولار .

وعرفت لجنة حكومية فى سبتمبر عام ١٩٧١ أن الشركة خدعت المساهمين . وأنها لم تكتشف كميات

ضخمة من البترول .. فبدأت - اللجنة - التحقيق .
وأدرك المساهمون أنهم خدعوا فاجتمع مجلس الإدارة
وقرر طرد « بارك » من الشركة .. وأقام دعوى مدنية
ضده بتهمة فيها بالتزوير والنصب .. الخ .

ولم تكتب الصحيفة (لوس انجلوس تايمز) كلمة
عما يجرى فى هذه الشركة ، مع أن صاحب الجريدة
يعرف كل الحقائق .

وعندما بدأ أحد محررى « الجورنال » فى يوليو
١٩٧٢ تحريات عن شركة « بارك » عرف « شاندلر »
أن الصحيفة تزمع نشر فضيحته قام - سرا - برد
ما أخذ من مبالغ وأسهم .
قالت « الجورنال » :

« أن معارف اغنياء لناشر من امريكا فقدوا الملايين وأن
« شاندلر » فتح الابواب فى الدراسة للحصول على دعم
مالى » .

وكتبت « الجورنال » كل ما تعرف .
ولم تستطع الصحف الامريكية الاخرى أن تبقى
صامته وهل تجد امامها فضيحة كبرى .
التقطت القصة « نيويورك تايمز » .. وكل « الكلاب »
الصحفية .

واضطر « شاندلر » لان يذكر فضيحته .. فى
صحيفته .. ولكن من وجهة نظره .. ودفاعا عنه .

واستمرت اللجنة الحكومية تحقق فى الامر ، حتى
اضطر شاندلر الى الاستقالة من كل مجالس ادارات
البنوك .. واحتفظ برئاسة مجلس ادارة صحيفته .

ونجح « شاندلر » عن طريق نفوذه فى حفظ
التحقيقات بالنسبة اليه .. ولكن ما نشرته «الجورنال»
حظم - مؤقتا والى حد ما - سمعته .

ونال أحد محررى الصحيفة جائزة بوليتزر - أعلى
الجوائز الصحفية الامريكية - عن مقالين ضد قرينة
الرئيس الامريكى السابق « ليندون جونسون » .

وقد نشر المقالان و « ليندون جونسون » يجلس على
كرسى الرئاسة فى البيت الابيض .

قال الصحفى ان قرينة « جونسون » ظلت تحتفظ
بامتياز احدى محطات الاذاعة بعد تولى زوجها منصب
لرئاسة .

وقيمة هذه المحطة ١٧٥٠٠ دولار ، ولكن لجنة
المواصلات الاتحادية جاملت المحطة التى تملكها حرم
الرئيس فأصبحت المحطة امبراطورية اذاعة كاملة .

وفى عام ١٩٦٧ نال اثنان من محررى الصحيفة
جائزة « بوليتزر » أيضا .

نشر الصحفيان عدة مقالات ازاحا فيها الستار عن
الصلة بين عصابات المافيا فى امريكا واصحاب كازينات
القمار فى جزر الباهاما .

قال الصحفيان ان حكومة جزر الباهاما تتألف من
رجال بيض يحكمون شعبا اسود .. وهؤلاء البيض لهم

روابط قوية مع عصابات المافيا عن طريق أحد رجال المال فى « وول ستريت » .

وذكرت الصحيفة اسم المالى الأمريكى الكبير ..
وكان نشر تلك الفضيحة مقدما ، أو مبررا للانقلاب ،
الذى وقع فى جزر الباهاما وأدى الى انتهاء حكم البيض
وتولى السود الحكم .

وبذلك أصبحت « وول ستريت جورنال » اول صحيفة
أجنبية تمهد لانقلاب فى غير بلدها !

وأضى محرر فى « الجورنال » خمس سنوات يطالع
الملفات ويجمع المعلومات حتى استطاع الوصول الى الطريقه
التي حصلت بها الشركات الامريكية على امتياز التنقيب
عن البترول فى ليبيا والدور الذى لعبته « شركة الين »
الامريكية فى هذا المجال .. وما صاحب ذلك من انحراف
وتزوير ورشوة .

ونجح محرر آخر فى كشف التلاعب فى صندوق
اتحاد عمال المناجم الامريكيين مما أدى الى تغيير كل
قيادات الاتحاد .

طاف المحرر بوزارة العمل الامريكية وكل شركة تساهم
فى الاتحاد .

ووجد الصحفى ان كل شركة تدفع . ٤ سنتا عن كل
طن من الفحم .

ومن الولايات عرف الصحفى انتاج كل شركة .
وبهذه الطريقة حدد المحرر الرقم الذى تساهم به

الشركات فى الاتحاد .. اى ايرادات الاتحاد وتبين له ان الارقام التى يعلنها تقل عن ايراداته الحقيقية .

وقد اشترت الصحيفة صحفا اخرى لانها وجدت ان ٩٤ ٪ من ارباحها تأتي من مصدر واحد وهو جريدة « وول ستريت جورنال » مما يعرضها فى اى وقت لهزة أو كارثة نتيجة المنافسة أو لعوامل اقتصادية طارئة .

وتصدر الصحيفة مجلة اسبوعية اقتصادية اسمها « بارون » .

وفى عام ١٩٧٩ انشأت محطة تليفزيون فى احدى الولايات .. للمشاركين فقط .

وتعمل هذه المحطة ٢٤ ساعة كل يوم تقدم خلالها الاخبار السياسية والمالية والرياضية أيضا .. كما تقدم الاعلانات التجارية .

وعدد المشتركين ٢٤ ألفا .

ويستطيع أن يتصل بالمحطة عن طريق الضغط على ازرار خاصة فيعرف معلومات معينة يريدونها مثل اسعار الاسهم التى يمتلكها .

ولكن المحطة تقدم للمشاركين أيضا اخبارا عن الافلام المحلية والاكاذيبونات فى المحلات التجارية ودليلا للمطاعم .

وتقدم المحطة - ٣ مرات يوميا - رسائل خاصة

للمشاركين مدة كل منها ١٥ ثانية تهنئهم فيها بأعياد ميلادهم وبعض الخدمات الخاصة .

وفى ابريل عام ١٩٨٢ قامت بأغرب حملاتها .

كتب مدير التحرير « لورانس اودونيل » مهاجما اللجنة التى تمنح جائزة « بوليتزر » .

قال انه أحد اعضاء هيئة التحكيم فى اختيار الجوائز لافضل التحقيقات الصحفية المحلية فى الولايات المتحدة .

وقد قررت اللجنة بالاجماع منح الجائزة لصحفي اسمه « كين ويلز » يعمل فى صحيفة « ميامى هيرالد » لانه كتب سلسلة من المقالات عن الجفاف فى جنوب فلوريدا .

ولكن اللجنة العامة لبوليتزر رفضت هذا الاقتراح واختارت محررا آخر فى صحيفة (كانساس سيتى تايمز) غطى انباء انهيار فندق « حيات » فى المدينة . وقال مدير تحرير « الجورنال » ان هذا القرار اصابنى بالجنون .

ولكن رئيس تحرير جريدة « ميامى هيرالد » غضب وقال ان جريدة « وول ستريت جورنال » عرضت على « كين ويلز » العمل فيها وهذا هو سر تزكيته للجائزة .

وقال رئيس التحرير :

« لا يجب ان تكون لجنة التحكيم لجنة لتجنييد الصحفيين .. ان هذا عمل لا اخلاقى » .

انها تقول للقراء المتهم برىء .
وتقول للقراء امتنع عن الشراء .. او امتنع عن البيع
.. خوفا على مصالح القراء .

قال رئيس مجلس ادارة الصحيفة انه فى غمرة
النشوة بالنجاح قال يوما لزوجته وهما يتنزهان :
- انا افضل صحفى فى أمريكا .
قالت الزوجة وهى تتنهد :
- قاتل الله الفرور !
اجابها وهو يبتسم :
- اذا لم اقتنع بذلك فهل يمكن ان يقتنع به غيرى !!

ملك الشيكولاتة يقتل صحيفة

الساعة الرابعة بعد الظهر ..
كان صحفي يجلس على آلتة الكاتبة يعزف بأصابعه
على حروفها آخر قصة .. وآخر مقال .. وآخر خبر .
وأجراس التليفونات تدق ..
— محرر يتكلم من فيينا .. انه فى طريقه الى
موسكو ، ولكنه توقف فى النمسا ليلتقط قصة تصلح
للصحيفة .
ومحررة تتكلم من باريس .. حديثها عن المرأة ..
عن الفد ..
ومحرر يتكلم من بعيد .. انها اول اجازة له منذ
اشتغل بالصحافة وهو يريد أن يخرج لسانه .. لزملائه
ليقول أنه سعيد بالاجازة .
وفى داخل المبنى يروح ويجىء شاب صغير .. هذا
يومه الاول فى الصحافة . وهو كبير الامل فى المستقبل
.. وكبير الثقة بنفسه ، وبالجريدة التى يعمل فيها ..
وبالحياة .
آلات التيكتر — التى تنقل اخبار وكالات الانباء من كل
مكان من العالم — تدق فى كل لحظة لتحمل الاخبار

السعيدة والحزينة معا فى تتابع .. كالحياة .. بل هى الحياة ذاتها ..

وهذا صحفى عجوز سيترك العمل بعد اسبوع .
امضى فى الجريدة صباحه وشبابه .. بدأ من اول السلم وهو ينظر الى كل مكتب .. الى الجدران .. يستودعها شبابها .. وحياته .. انه حزين لانه سيفادر هذا المبنى .. ان الشقاء يزحف الى قلبه . لا يرى حياة له الا فى العمل الذى أخذ كل وقته وكل حيويته .. وكل قلبه .. ماذا سيفعل بعد اسبوع .. انه يريد للأيام السبعة أن تتمهل بل تتوقف .

ان الصحيفة فى هذا الوقت ليست خلية نحل فحسب .. انها ضجيج .. سباق مع الزمن ومع الاحداث .
وتدق اجراس التليفون لجميع المحررين فى وقت واحد .

هناك اجتماع فى مكتب رئيس التحرير .. الآن .
- ومن يحضر هذا الاجتماع ؟
- الكل ..

ويزحف الصحفيون الى مكتب رئيس التحرير ..
يجلس وسط حجرته يعلو وجهه الجمود .. اختفت ابتسامة الترحيب المعتادة .. وجهه يخفى كل انفعال .. بعض الصحفيين يجد مكانا يجلس فيه . والبعض لا يجد مكانا للوقوف ، ورئيس التحرير لا يعتذر كعادته .. امامه أوراق يطالعها أو يعيد قراءتها .. وتنتقل عدوى الصمت من رئيس التحرير الى الجميع .
شهدت هذه الحجرة اجتماعات كثيرة سابقة .. اجتمع الصحفيون فى هذا المكان لناقشة مستقبل بلادهم

.. ومستقبل العالم .. اعلان الحرب .. موت الملك ..
انقسام في الحزب الذي تؤيده الجريدة .. أزمة سياسية
ولكنهم كانوا في كل اجتماع يتكلمون ويناقشون .. كانت
اجتماعات صاخبة مملوءة بالحياة والتفاؤل مهما كانت
المناسبة حزينة . ولكن صوت رئيس التحرير يقطع
الذكريات ليعلن :

« ابتداء من الغد ستوقف صحيفتنا «النيوزكرونكل»
عن الصدور .

لن تصدر صحيفتنا غدا .. انها ستندمج في جريدة
« الديلي ميل » .
لم يتكلم أحد ..

كان رد الفعل في العيون والقلوب .
الصمت الذي ساد منذ دقائق تحول الى اسى .. الى
مرارة .. يأس وغضب تحول الى هزيمة ..
واستمر رئيس التحرير يتكلم .. على وتيرة وحيدة .
نجاح في اخفاء انفعاله .. انه يستكمل ابغض رسالة
يمكن أن يكلف بها رئيس تحرير في يوم من الايام .
قال :

« الصحيفة تخسر باستمرار .. اعلاناتها قلت .
وتوزيعها أصبح نحو مليون وربع مليون نسخة . وهذا
رقم ضعيف لأن صحف لندن توزع أربعة أو خمسة
ملايين نسخة كل يوم .

ثمن بيع الصحيفة سيذهب لتعويض المحررين .
وصاحب رأس المال لن يأخذ قرشا واحدا .. كل
الثمن للمحررين .. ولكن ماذا سيفعل الثمن وقدره نحو
مليونى جنيه للمحررين .

ان الرجال الذين اخفوا عواطفهم خلال سنوات طويلة
من الحياة الصحفية عجزوا عن اخفاء انفعالاتهم ذلك
اليوم ..

تحول البعض الى بوفيه الصحيفة الذي أصبح -
فجأة - بغير عمال . فقام احدهم بصنع العجة التي لم
يأكلها أحد ، لان كل طعام كالجيفة النتنة في حلق الكتاب
والمحررين .

والذين تحولوا الى البار المجاور ليحتسوا القسح
المعتاد من الجعة رأوا من نافذة البار مشهدا لم ينسوه
.. الى اليمين صحيفة « الديلي ميل » التي اشترت ،
وانتصرت ، وتموج بالحياة .. وإلى يسار النافذة مبنى
آخر يغلفه الحزن .. مبنى قاتما .

ولم تمس شفاه الصحفيين قطرة واحدة من الجعة .
وجاء سكرتير التحرير المسائي مبكرا عن مواعده ليلتقي
بالمسؤول عن الصحيفة فعرف انه لن تكون هناك صحيفة
غدا أو بعد غد .. ولن تدور المطبعة ولن ينطق بائع
بكلمة « النيوز كرونيكل » كل صباح .

ويجمع سكرتير التحرير أوراقه ويخرج من سلسلة
مفاتيحه مفتاح مكتبه ويضعه في قفل المكتب ثم تدور
عيناه في فراغ حول المبنى .. حول المكان كله .. وهو
لا يبصر شيئا . يسرع بمفادرة المكان تحيط به ذراعان
تساعدانه على الوصول الى الباب .

وينظر صحفي آخر الى المبنى الصامت .. من يصدق
ان الآلات التيكر يمكن أن تتوقف .. من يصدق ان الموت
يمكن أن يزحف الى جريدة توزع ملبسون وربيع مليون
نسخة كل يوم ولها قراء مخلصون .

وينتشر نبأ الوفاة ويذحف مصورو التلفزيون الى دار الصحيفة ليسجلوا الحدث الضخم « وفاة النيوز كرونيكل » ولينقلوا كلمات الضحايا .

ويذاع النبأ .. فى الاذاعة والتلفزيون وتدق اجراس التليفونات من جديد .. هذه قارئة تقول :

— لماذا لم تعلنوا النبأ منذ زمن .. ما الذى منعكم من ان تقولوا انكم فى حاجة الى مال ؟
وقارىء آخر يقول :

— ماذا تستطيع ان افعل لكم ؟

وعشرات التليفونات ومئات البرقيات ، ولكن هذا كله لا يجدى بالنسبة للصحفيين الذين اصبحوا بلا جريدة يكتبون لها .. انهم اضحوا جيشا بلا سلاح .. جيش تقاتل مقدمته بينما المؤخرة او القيادة استسلمت .. ان الجيش الذى انتصر فى كل معركة خاضها هزم فى المعركة الوحيدة التى كان يجب ان ينتصر فيها .. انها معركته هو .. معركتهم هم .

ولكن ..

ما الذى جعل من وفاة « النيوز كرونيكل » مأساة فى شارع الصحافة .. ومأساة عالمية ؟

السبب انها جريدة مختلفة عن معظم الصحف .. كانت جريدة حزب الاحرار فى لندن ولكن آراء محرريها تسبق وتتقدم آراء الحزب .

كانت جريدة كل خبر ، فيها ، وكل مقال ، له رسالة .. مهمة .. له هدف مقدس .

ولدت فى ٢١ يناير عام ١٨٤٦ وبعد ثلاثة أسابيع من صدورها تولى رئاسة تحريرها واحد من المع كتاب انجلترا هو شارلز ديكنز .. الذى كان يسرع بالصحيفة - عقب طبعها - الى زوجته لتكون اول قارئة لها .

وبعد صدور الصحيفة مباشرة دخلت اول معركة .. حزب المحافظين يحكم انجلترا .. وأصدر المحافظون قانونا مشهورا اسمه « قانون القمح » وبمقتضاه فرضت ضريبة على استيراد القمح فخاربت « النيوز كرونيكل » قوانين القمح واسقطتها بعد ثلاثة ايام واسقطت معها حكومة المحافظين .

وكانت هناك ضرائب على المعرفة . فالصحيفة - بعد صدورها - تختم أعدادها واحدا واحدا بمعرفة موظف مخصوص لتدفع الصحيفة ضريبة عن كل عدد فخاربت « النيوز كرونيكل » الضرائب على المعرفة .

وفى الوقت الذى كانت فيه صحف انجلترا تعارض « ابراهام لنكولن » وتعارض حركة تحرير العبيد فى امريكا كانت « النيوز كرونيكل » - وحدها تقف مع لنكولن ..

وارتفع توزيع هذه الصحيفة عام ١٨٧٠ من ٥٠ الفا كل يوم الى ١٥٠ الفا خلال اسبوع واحد لان الافكار التى تنادى بها صحيفة الاحرار تتحقق فى اليوم التالى ..

كانت الصحيفة من نوع لم تألفه بريطانيا .. صحيفة

راى .. وصحيفة خبر .. وصحيفة تضع المبادئ قبل التجارة وقبل ارقام التوزيع .

عند العدوان الثلاثى على بورسعيد وقفت قبل اية صحيفة فى انجلترا تهاجم ايدن وتحمل على العدوان ..

وادمى موقفها الى انخفاض توزيعها بمقدار السدس ولكنها لم تتراجع ، وتراجع ايدن .

وظلت الصحيفة محتفظة بمبادئها . ولكنها لم تستطع ان تنافس صحف لندن او ان يصل توزيعها الى اربعة او خمسة ملايين فانخفضت اعلاناتها . واصبح من الضرورى اعتماد اموال ضخمة للنهوض بها .

ولكن صاحبها المليونير لورانس كادبورى صاحب اكبر مصانع الشيكولاتة فى بريطانيا - وقد بيعت الصحيفة لايه بعد انقسام حزب الاحرار فى لندن وان احتفظت بسياستها المستقلة رغم ذلك - راي كادبورى الا يرصد الاعتمادات الكافية لانقاذ الصحيفة . وفكر فى بيعها على ان يذهب الثمن كله لتعويض المحررين ، او لمنحهم المكافآت عن مدة خدمتهم .

وخلال تسعة عشر شهرا اخذ « مليونير الشيكولاتة » يتفاوض سرا مع جريدة « الديلى ميل » لتشتري الصحيفة .

وبطبيعة الحال لم يهتم « مليونير الشيكولاتة » - بتحسين الصحيفة او بتجديدها او بتقديمها فقد شغلته صفقة بيع عن عملية الانقاذ ، وان حرص خلال هذه الشهور الطويلة على اخفاء النبأ عن المحررين وعن الصحافة كلها .

ولكن النبا تسرب الى الصحف واخطأ بعضها في معرفة اسم المشتري .

وبقيت مصانع الشيكولاتة بينما اغلقت صحيفة الاحرار !

ونشر في الاسبوع الذي اغلقت فيه الصحيفة انها ستباع لجريدة الجارديان فاتصل احد محرريها اى محرر « النيوز كرونكل » « بمليونير الشيكولاتة » بعد منتصف الليل ليقول له :

— امامى الطبعة الاولى من جريدة منافسة وهى تقول اننا سنبيع للجارديان .

ورد المليونير :

— لقد اخطأوا مرة اخرى .

وكان الخطأ الوحيد فى اسم المشتري لا فى صفقة البيع !

ولكن احد محررى « النيوز كرونكل » استطاع ان يعرف موعد بيع الجريدة واسم المشتري .. وكان هذا آخر سبق صحفى .. لقد استطاع ان ينتصر على مالك الصحيفة نفسه !

وقصة هذا السبق الصحفى غريبة .

عرف المحرر ان احدى المطابع الصغيرة طبعت منشورا اصدرته ادارة « الدبلى ميل » ووجهته لمعهدى توزيع الصحف فى انجلترا كلها وفيه تقول لهم :

« ابتداء من الغد سلموا لمشتركى - النيوز كرونكل - « الدبلى ميل » بدلا منها لان « النيوز كرونكل » اندمجت فى « الدبلى ميل » .

واستطاع المحرر ان يحصل على نسخة من هذا المنشور . وبقي مع رئيس قسم الاخبار امام المطبعة حتى شاهد المنشورات تخرج فى ظروف مقفلة مساء الاحد لتوضع فى صناديق البريد فتصل الى اصحابها صباح الاثنين . وتنقل ابتداء من الثلاثاء .

وذهب رئيس قسم الاخبار الى رئيس التحرير ليريه المنشور — وكان رئيس التحرير يعلم المأساة قبل ذلك بخمسة أيام — فطلب من الصحفي أن يتكتم الامر لان انتشار النبأ معناه انهيار الجريدة من تلقاء نفسها فى اليوم التالى ، وعدم اتمام صفقة البيع وبالتالي عدم اعطاء المحررين مكافآتهم .

وتكتم رئيس قسم الاخبار النبأ وبقي يعمل — وقلبه — تعتصره المأساة المقبلة — وعمل ، ليكون آخر عدد من الجريدة ، جديرا بها وبكفاحها ، ١١٤ عاما و ٩ شهور وكان صمت الصحفي وعمله أروع ما حوته قصة الصحيفة أو قصاصاتها .

واقول قصاصات ، لان قصاصات أى صحيفة ، هى فى الواقع تنبؤات قد تؤيدها أحداث التاريخ وقد تكذبها وتنبؤات « الكرونيكل » كانت حقائق فى معظم الاحيان . انها الجريدة التى كتبت عام ١٩٢٢ : « ضعوا عيونكم على هتلر » .

وهى التى طالبت تشمبرلين بالألا يستسلم للنازية وان يحاربها .

وهى أول صحيفة اهتمت بالراديو فخصصت محررا لآخباره .

وهي التي تكلمت عن سيارات الفولكس واجن -
الضفدعة - قبل أن تنشر في أوروبا . وقالت ان محررها
المستول اختبر بنفسه هذه السيارة وتأكد من حسن
صنعها وقوة احتمالها .

وعندما كانت صحف لندن تسرف في توزيع الجوائز
والهدايا على القراء ، بقيت الكرونيكل وحدها في معزل
عن سباق استرضاء القراء لانها تقدم للقارئ رسالة
الحق . والقارئ مستعد أن يدفع الثمن لشراء هذه
الرسالة .

ان كل جريدة عبارة عن الصحفيين الذين يعملون
فيها ..

وكل صحفي في « الكرونيكل » كان صاحب رسالة
ومستعد للموت في سبيلها .

أحد محرريها يموت في طائرة الجنرال « ونجت »
في جنوب شرق آسيا في الحرب العالمية الثانية .

ومحرر آخر تخرق جسده عجلات دبابة المانية .
... وثالث يقنبلة .

ورابع يتقدم جيوش الألمان .. كلما دخل الألمان بلدا
سبقهم بالخروج منه ..

وفي بلجراد قال له أصدقائه :

- أسرع .. أمامك دقائق لتهرب معنا ..

أجاب :

- ولكن يجب أن أبعث قصتي الى الصحيفة أولا .

وبقي يملأ النبا ، حتى اعتقلته قوات العاصفة ،

قمات في معسكر للاعتقال ولم تنشر الصحيفة رثاءه في صفحة ، بل في سطور قليلة لان الصحيفة كانت تصدر اثناء الحرب في ٤ صفحات فحسب ولا مكان ، في هذه الصفحات ، لرثاء المحررين !

وعكست قصاصات الصحيفة تاريخها كله بل ان الاحتفاظ بهذه القصاصات كان عملا رائعا لامين المكتبة .

كان في المخبأ عندما احس بقبلة - اثناء الحرب الثانية - على مبنى الصحيفة فغادر المبنى . وصعد الى الدور الرابع ليشاهد النيران تلتهم الستائر وبعض الكتب . وتكاد تمتد الى الافلام والصور والقصاصات فامسك بيديه الستائر المشتعلة والقها من النافذة ايضا وتبعها ببعض الافلام فانقذ باقى المكتبة واحرق يديه !

كانت صحيفة من نوع غريب .. كل رجالها جنود حتى عمال التليفون .. محرر يتكلم من فيينا بالتليفون وحوله جنود المان يصوبون المسدسات على ظهره . ولكنه يملأ الرسالة وعامل التليفون يلتقطها بلا تلعثم وبلا سؤال عما يتهدد المراسل من اخطار فقد كان المهم بالنسبة للكل .. الخبر وليس صاحب الخبر .. ومشكلته او متاعبه .

هاجمت الصحيفة تشرشل في وقت من الاوقات . ولكن عندما اعتزل تشرشل رئاسة الوزارة في انجلترا يوم ٥ ابريل ١٩٥٥ . كان عمال الطباعة مضربين في لندن .. وراى تشرشل الا يودع الناس بخطاب في الراديو . فاعد رئيس التحرير الصفحة الاولى من الصحيفة وكلها عن تشرشل . ولم يكن هناك عامل طباعة واحد فقام المحررون بجمع حروف الطباعة واعداد « بروفة »

للصفحة الاولى . وارسلوا النسخة الوحيدة لتشرشل
في بيته . وكان العنوان الكبير للصفحة « المانشيت »
هو :

« اختفى بلا خطـاب في الاذاعة . ولم يظهر في
البرلمان . ولا توجد صحف تسجل الحادث »

وقيل ان تشرشل لم يتأثر في ذلك اليوم الا من تلك
اللغة الانسانية التي أهدتها له الصحيفة في يوم بلا
صحف ، فكان القارئ الوحيد للصحيفة وللتحية التي
وجهت اليه يوم اعتزاله رئاسة الوزارة .

ولكن هذا التاريخ الطويل كله لم يمنع اغلاق الصحيفة
او قتلها في الوقت الذي كان محرروها ينتظرون معجزة
.. يتربون مهلة ٢٤ ساعة فقط ، تدخل خلالها الصحيفة
الى المطبعة لتظهر في اكشاك الصحف يوما آخر ولكن
المعجزة لم تتحقق ابدا .

والجدير بالذكر ان التنبؤات الجوية في آخر عدد
للصحيفة تقول « يوم عاصف » ..

وتنبؤات محرر سباق قالت « هذا يوم المصير » اي
يوم فوز جواد اسمه « المصير » .

والحقيقة انه كان يوم المصير للصحيفة وللمحررين
جميعا .

سئل ملك الشيكولاتة كادبوري :

— ألم يكن ممكنا رصد اموال من اسرة كادبوري لا تقاذ
الصحيفة ؟

قال الرجل الذى تجاوز الثالثة والسبعين :
- كان لى ولدان أحدهما مات فى يوليو عام ١٩٥٠
فى مولان بفرنسا وهو يقسود سيارة سباق والآخر
لا يزال على قيد الحياة .

كنت أعد الاول ليتولى ادارة الصحيفة والثانى ليدبر
مصنع الشيكولاتة ومات الاول فماذا أفعل ؟

... لقد قضى موت الابن على صحيفة وعلى مئات من
الصحفيين !

والغريب انه كان من الممكن انقاذ « النيوز كرونيكل »
لو ان صحف لندن رفعت أسعارها لتستطيع « النيوز
كرونيكل » ان تغطى خسائرها . ولكن صحف لندن لم
ترفع أسعارها الا بعد مصرع « الكرونيكل » .
ومن الغريب أيضا انه يوم مات « الكرونيكل » قالت
بعض صحف لندن ان الديمقراطية فى بريطانيا ماتت يوم
قتلت « الكرونيكل » .

ولكن صحيفة « الميرور » قالت بعد يومين ان
الديمقراطية لن تموت بموت أى صحيفة . ولكن سيكون
أصعب على الديمقراطية أن تعيش بعد مقتل هذه الجريدة
العظيمة !

وبعد ..

كنت أحب هذه الجريدة كانت دائما معنا فى كل
معاركنا .. وكانت حبي الكبير فى لندن .

وذهبت أزور مبناها فى « بوفرى ستريت » فى لندن
فى أول زيارة لى بعد مصرع هذه الجريدة فوجدت جريدة
أخرى تشغل المبنى .

« ان رئيسة الوزراء لم تتحدث عن الخيانة ولكننا نقولها :

ان حرية الراى من تقاليدنا القديمة . ولكن هذه الحرية ترتبط بالمسئولية وما قاله بيتر سنو - المعلق التليفزيونى - عن معاركنا البحرية يعتبر خيانة .

اننا فى حرب . والمواطن البريطانى اما مع بلده ، او هو عدوها .

ان رسام الكاريكاتير فى جريدة « الميرور » يضعف الروح المعنوية للناس ولو فعل ذلك فى « بوينس ايرس » لأعدمه الجنرالات قبل أن يلتمس العفو والمغفرة .

ان قراء صحيفة « الميرور » يشترون صحيفة لا تؤمن ببلدها . ولا تخدم شعبها .

وهكذا انفجرت علنا الازمة بين « مرجريت تاتشر » والصحافة والتليفزيون . . فان رئيسة الوزراء تريد التأيد لان البلاد تحارب بينما ترى الصحف انها يجب ان تقول الحقيقة وان تعارض الحكومة ، وتعارض فكرة الحرب ذاتها اذا رأت ذلك .

ولقد عارضت صحيفتان يوميتان - منذ البداية - الحرب ضد الارجنتين بسبب جزر فوكلاند .

الاولى : جريدة « الجارديان » - المستقلة اليسارية - التى قالت انه لا داعى للحرب من اجل هذه الجزر البعيدة .

ونشرت الصحف كاريكاتيرا عن بحار من سفينة غارقة

تعلق بحطام قطعة من الخشب وقال الرسام : « ارتفع
ثمن السيارة أخيرا » . . أى أن سيادة بريطانيا على
الجزيرة تكلف أرواحا وضحايا .

وقالت الجارديان : « لم يحدث الآن شيء الا غرق
السفن والشباب والمعارضة البرلمانية للحرب تتزايد .
واخذ الراى العام الاوربى يتحول ضد انجلترا ومفتاح
الموقف فى يد الحكومة الامريكية التى تستطيع ، مع
العالم ، منع الحماسة » .

اما جريدة « الديلى ميرور » المؤيدة لحزب العمال
فقالته « الحرب التى ينبغي أن تدخلها السيدة تاتشر
ليست ضد الارجننتين بل ضد البطالة لان عدد العاطلين
اكثر من ثلاثة ملايين » .

وهاجمت الصحيفة اعلانات وزارة البحـرية
التي تطلب مجندين وقالت ان الاعلانات تدعو الشباب
الى التطوع لمشاهدة العالم وتفريهم بأنهم سيحصلون
على أجور عالية ونزهات بحرية وذكرت أمهات القتلى فى
السفن البحرية البريطانية - التى أغرقتهـا صواريخ
الارجنتين ان أبناءهن اردن المال والسفن لا الموت .

وانتقدت الصحيفة العسكريين الذين وضعوا السفن
فى مرمى الصواريخ الارجنتينية وقالت « هناك أشياء
أهم من عناوين الحرب المجيدة فى الصحف المؤيدة
لرئيسة الوزراء » .

اما المعلق التليفزيونى « بيتر سنو » فقدم البلاغات
العسكرية للطرفين المتحاربين مما أغضب رئيسة الوزراء
فانتقدت موقف الصحف والتليفزيون فى مجلس
العموم .

واضطر رئيس هيئة الاذاعة والتليفزيون لان يصرح بأن « هذه الحرب تختلف عن كل الحروب الماضية اذ يوجد للصحف البريطانية والاذاعة والتليفزيون مندوبون يعملون في دولة العدو - الارجنتين - ولذلك تقدمهم . ونحن لا نريد ان نشترك في حرب الكلمات . ولا نريد ان تكون الحقيقة هي الضحية الاولى في هذه الحرب . ومن حق الشعب في ظل الديمقراطية ان يعرف كل شيء .

ان مسئوليتنا خطيرة وعندما ننقل اخبارا سيئة للناس فلماذا يكون الوسيط هو الموم » .
وامتنعت صحيفة « الجارديان » عن نشر كلمة واحدة ضد بيان رئيسة الوزراء .

أما جريدة « الديلي ميرور » فطالبت بوقف اطلاق النار وقالت « يجب أن يوزع مع كل عدد من صحيفة « سان » تحذير كذلك الذي يوضع في علب السجائر يقول :

« قراءة هذه الصحيفة يمكن أن تضر بعقلك » .
استمرت الصحف البريطانية تكتب عن حرب فوكلاند .. بعضها يؤيد ، وبعضها يعارض .
وبقى الصحفيون خلف خطوط العدو ...

الصحفيون البريطانيون - بأعداد كبيرة - في الارجنتين يجرون أحاديث مع المسؤولين ويقدمون صوراً وأفلاماً للارجنتين وهي تحارب بلادهم .

وتقبض الارجنتين على بعض الصحفيين الانجليز
وتتهمهم بالحصول على الاسرار العسكرية .. اى انهم
يتجسسون .

وبقى اثنان من الصحفيين الارجنتينيين فى لندن
يكتبون لصحف « بوينس ايريس » عاصمة « العدو » .
وظلت الاتهامات توجه للاذاعة والتليفزيون البريطانى .
وكذلك لبعض الصحف لانهم يذيعون معلومات عسكرية
تفيد الارجنتين .

بل ان الصحف لم تكتف بذلك كان محرروها العسكريون
ينتقدون أخطاء بلادهم وخطتها العسكرية .

وانتقد الجيش البريطانى - ايضا - ما تفعله الصحف
والتليفزيون قائلين ان السبب فى هزيمة الولايات المتحدة
فى حرب فيتنام يرجع الى الافلام التى يقدمها التليفزيون
الامريكى كل ليلة عن فيتنام مما جعل الروح المعنوية
لامريكا كلها .. تتدهور .

وكان رد الصحف والتليفزيون انهم فى مجتمع حر
لا بد ان تقدم فيه الحقائق مهما كانت مؤلمة .

ولم ينخفض توزيع هذه الصحف نتيجة الحملات
التبادلة . ولم يطرد المعلق التليفزيونى من عمله . ولم
يعتقل او يحاكم ، لان الدنيا تغيرت عما كانت عليه
عندما وقفت الصحف البريطانية ضد حكوماتها المتعاقبة
وهى تحارب .

وللصحف البريطانية تاريخ طويل فى معارضة الحكومة
اثناء الحرب .

اشتعلت الحرب العالمية الاولى فى ٢٣ يوليو ١٩١٤ ،
واختير « كتشنر » المعتمد البريطانى فى مصر وزيرا
للحربية اثناء وجوده فى اجازة بانجلترا .

واجه الجيش البريطانى هزائم كثيرة اثناء اشتراكه
فى القتال فى فرنسا نتيجة نقص السلاح فان بعض المواد
الاولية اللازمة لذلك كانت تجىء من الولايات المتحدة .

والرحلة بين نيويورك ولندن كانت تستغرق - قبل
الحرب العالمية الاولى - ٢٠ يوما فأصبحت تستغرق
شهرين كما أن الشحنات من ليفربول الى لندن تصل
فى ٥ اسابيع .

ولم تكن مصانع السلاح مستعدة وكتشنر مقتر
ولا يريد الانفاق على شراء السلاح . ولم تصدر بريطانيا
الا فى ١٥ مارس عام ١٩١٥ القانون الذى يجيز للدولة
الاستيلاء على المصانع الخاصة وتحويلها لانتاج السلاح .
وخلال فترة اقامته فى مصر والسودان أصبح كتشنر
صامتا ، ديكتاتورا ، واكتسب طباع « ابو الهول » كما
يقولون .

وفى ١٤ مايو ١٩١٥ نشرت صحيفة « التايمس » فى
الصفحة الاولى مقالا تحت عنوان « الحاجة الى قذائف
.. درس من فرنسا » .

وكانت قد بدأت معركة بين القوات البريطانية
والالمانية فأطلق الانجليز كميات ضخمة من قذائف
المدافع على الخطوط الالمانية وظنوا أن القنابل حطمت
دفاع الالمان ولكن القنابل لم تحقق النتائج المطلوبة وبقيت

دفاعات الالمان قوية والقوات سليمة فى الخنادق ..
وجه الانجليز بمقاومة شرسة أدت الى قتل واصابة
١١٥٠٠ جندي وضابط بريطاني .

كان اللورد نورثكليف يملك صحيفتى « التايمس »
و « الديلى ميل » اى فى يده نصف توزيع صحف
لندن .

وفى ٢٠ مايو دخل اللورد مكتبه فى جريدة « الديلى
ميل » وكتب افتتاحية عنوانها « فضيحة القنابل ،
حماقة كتشنر » .

فى هذا المقال وجه الكاتب - لان المقال بغير توقيع -
هجومًا عنيفًا لنقص القنابل .

وطالب المقال بخروج « كتشنر » من الوزارة .
وصف سكرتير « نورثكليف » صاحب الصحيفة بأنه
كان شاحب اللون بعد كتابة المقال .

عرض « نورثكليف » مقاله على رئيس التحرير فقال
له :

- ستسجن .

قال نورثكليف :

- لا يهمنى .

- سينخفض توزيع الصحيفة .

- هذا شئ يجب أن افعله .

وعرض « نورثكليف » المقال على سكرتير التحرير فقال
له :

— انك تحطم معبود الجماهير .. وستغضب الناس .
رد « نورثكليف » :

— هذا الرجل يخسر الحرب .

وحمل اللورد صورة من مقاله الى امه فنصحته ببعض
تعديلات فأجراها تليفونيا .

وصدرت الصحيفة فى اليوم التالى فثار المقال ضجة
عنيفة .

* منعت « الدبلى ميل » من دخول اندية القوات
المسلحة .

* وقام ٣٠٠٠ عضو فى بورصة لندن باحراق نسخ
« الدبلى ميل » وهتفوا بحياة « كتشنر » وسقوط
« نورثكليف » .

* وفى بورصة « ليفربول » مزقت الصحيفة وارسلت
القطع الممزقة الى اللورد .

* وفى بورصة الفحم تكرر ذلك .
وذهب الصحفيون الامريكيون الى « نورثكليف »
يسألونه فقال :

— أعلم انهم قد يصادرون ممتلكاتى . وقد يرسلوننى
الى « البرج » الذى يعدم فيه السجناء ولكنى كتبت
الحقيقة .. ان أبناءنا لا يجدون القنابل .

ومدحت صحيفة « وستمنستر جازيت » ما قام به
رجال البورصة .

وقال بعض الوزراء « الامة تجد الصحف الجديدة
بها ، والتي تستحقها !

ولكن مهما قامت الامبراطورية بأعمال سيئة فانها ليست الى الدرجة التي تستحق فيها نورثكليف !
وكان توزيع الصحيفة ، ٣٨٦٠٠٠ نسخة كل يوم فاذا بها خلال ايام تفقد ٢٣٨ ألف قارئ .
واضطر شقيق « نورثكليف » الى الاستقالة من المنصب الحكومى الذى يشغله .
ولم يستطع « اسكويث » رئيس الوزراء تعيين الشقيق الآخر للورد فى منصب وزارى .
ولكن بعد ٤ ايام - فى ٢٥ مايو - أعيد تشكيل الحكومة فأصبحت ائتلافية تضم وزراء من حزب المحافظين بعد ان كانت قاصرة على حزب الاجرار .
وانشئت وزارة للخبرة توليها « لويد جورج » الذى اسندت اليه رئاسة الوزارة بعد ذلك .
وبقى « كتشنر » لانه كان معبود الجماهير حتى غرق فى سفينة فى ٦ يوليو عام ١٩١٦ .
والغريب فى الامر ان « نورثكليف » هو الذى كان يطالب بتعيين كتشنر وزيرا للحربية !
وقيل ان سر الحملة يرجع الى الالم الذى احس به نورثكليف عندما سمع بوفاة ابن شقيقه الشاب فى الحرب ، والى انه ذهب الى « كتشنر » وطلب منه ان يختص صحفه بالاخبار فهدده بالسجن وانهى المقابلة وأيا ما يكون السبب فان « الديلى ميل » أصبحت جريدة الجنود !

تولى « ونستون تشرشل » رئاسة الوزارة وزعامة حزب المحافظين يوم ١٠ مايو ١٩٤٠ أثناء الحرب

العالمية الثانية .. وهي وزارة ائتلافية تضم وزراء من
حزبي المحافظين والعمال .

وكانت صحيفة « الديلي ميرور » وزميلتها
الاسبوعية « سانداي بيكتوريال » تطالبان بأن يتولى
تشرشل رئاسة الوزارة ليستطيع أن يقود البلاد الى النصر .
وما أن تحقق ذلك حتى بدأت الصحيفتان تهاجمان
تشرشل .

نشرت « البكتوريال » افتتاحية انتقدت فيها بقاء معظم
الوزراء القدامى أعضاء الحكومة السابقة وقالت « لماذا
احتفظ تشرشل بأفراد العصاة القديمة » .

وانتقدت « الميرور » وزير الاعلام « داف كوبر »
الذي أرسل ابنه الى أمريكا بينما مهمة الوزير اقناع
الناس بأن انجلترا آمنة !

وهاجمت « البكتوريال » استمرار الوزراء الشيوخ
قائلة « كسب نابليون أعظم انتصاراته ضد الإيطاليين
وعمره ٢٥ سنة وكان الاسكندر الأكبر قائدا كبيرا في
سن ال ١٦ ومات وعمره ٢٣ عاما . « ولف » فاز في
المعركة التي أدت الى الاستيلاء على كندا وعمره ٣٢ عاما
ايضا . أما ولنجتون فقد انتصر في معركة ووترلو ضد
« نابليون » وهو في السادسة والأربعين » .

وبعد ٥ شهور من تولى تشرشل الوزارة وقع الخلاف
النهائي ، أو الفراق ، بينه وبين الدار التي كان يكتب
في صحفها ، وباللات « البكتوريال » اثناء الحرب
العالمية .

في ٣ أكتوبر ١٩٤٠ أجرى تشرشل تعديلا في وزارته

ولكن « البكتوريال » لم تعجب بهذا التعديل فكتبت تقول : « التعديل لعبة حزينة ، بقي وزراء فاشلون لانهم من حزب المحافظين . وتم تجاهل آخرين لم يدخلوا الحكومة لانهم ليسوا بارزين في حزب المحافظين . ان توازن القوى قائم .

اقرا يا مستر تشرشل كلماتك التي كتبتها بنفسك من قبل . انك تقول :

« في الحرب كل شيء مختلف فلا مكان للتسويات . الدولة لا تتحمل الانقسام والتردد والتمزق في قيادتها التنفيذية » .

لقد استقر السلام في مجلس الوزراء بصفة مؤقتة ولكن الثمن يدفعه الرجال الشجعان في ساحة القتال . يا مستر تشرشل لقد حذرت نفسك .

ويفضب تشرشل فيجمع مجلس الوزراء يوم ٧ أكتوبر عام ١٩٤٠ مناقشة عدة مسائل بينها « المقالات الهدامة في الصحف » .

ويقرر المجلس تأجيل نظر الموضوع لدراسته . وفي ٨ أكتوبر وقف « تشرشل » في مجلس العموم يهاجم الصحف « الشريرة » !

وفي اليوم التالي اجتمع مجلس الوزراء . قال « هروبرت موريسون » وزير الداخلية ان الاتصال باتحاد اصحاب الصحف يجب ان يكون بصفة ودية لا للتهديد .

رد « تشرشل » بان المقالات تهدد خطير للبلاد وانه مصمم على ايقافها ويريد الحماية من وزارة الحرب .

قال « اتلى » الذى أصبح رئيسا للوزارة فيما بعد :
يجب ان نفرق بين امرين هل هذه محاولة هدامة ام هي
صحافة غير مسئولة .

وقال « موريسون » : لابد من تجنب مناقشة مثل
هذا الموضوع فى مجلس العموم والا حدث انقسام فى
صفوف الاحزاب .

وتحدث « بيفر بروك » - الوزير الصحفى - ضد
الصحيفتين فقال انهما يسيئان للصحف بصفة عامة وأن
اتحاد اصحاب الصحف يتمنى اتخاذ اجراء ضدهما .
ويستطيع الاتحاد الاضرار بهما ماليا ومضاعفة تكاليف
اصدار الصحف مثل عدم توزيعها فى قطارات الصحافة .
واخيرا اتفق على ان يقوم وزيران بالاتصال باتحاد
الصحف .

اجتمع اللورد « بيفر بروك » بثلاثة من اصحاب الصحف
وابلفهما أن الرقابة على الصحف - حتى الآن - اختيارية
وأن الحكومة ستضطر الى فرض رقابة اجبارية .
وقال ان سلوك الصحيفتين هدام ولا تعترض الحكومة
على النقد ، ولكنها تعترض على النقد غير المسئول .

وابلغت « الميرور » بالامر واتفق على ان يقوم سيسل
كنج رئيس مجلس الادارة وبارثليميو رئيس تحرير الميرور
بمقابلة « كليمنت اتلى » .

تم الاجتماع يوم ١٢ اكتوبر .

قال اتلى انه يعبر عن رأى مجلس الوزراء كله فى ان
ما تكتبه الصحيفتان يعرقل الجهود الحربية .

حاول رئيس التحرير المصالحة بينما أصر « سيسل كنج » على أن يطلب من اتلي تقديم أمثلة للمقالات الهدامة فقال اتلي أنه لا يتذكر .

قال « سيسل كنج » :

— نحن الذين أبعدنا « تشمبرلين » رئيس الوزراء السابق من الحكم . نحن لا البرلمان ولا الأحزاب اننا اتخذنا أعنف موقف ضده وأتيننا « بتشرشل » الى الحكم .

قال اتلي : هذه مبالغة .

قال كنج : أن « تشرشل » لم يعترض عندما ضربنا تشمبرلين « بالشلوت » ولكنه يعترض عندما نحاول اصابة تشرشل نفسه .

واستمرت المقابلة ٢٥ دقيقة بغير نتيجة .

واجتمع مجلس الوزراء يوم ١٦ أكتوبر . فقال « اتلي » ان الصحفيين وعدا بمزيد من الحرص في المستقبل .

وفي ٤ نوفمبر عرضت على مجلس الوزراء مذكرة من وزير الداخلية خاصة بمتابعة أسهم الصحفيين ومن يملكهما فتبين أنه لا يوجد فرد بالذات يملك حصة من الاسهم تمكنه من السيطرة على الصحفيين .

وكان مجلس الوزراء قد طالب بتقصي الحقائق لعله يجد عنصرا معيناً يؤثر في سياسة الصحافة ..

— ونامت المشكلة .. شهرين .

ولكنها عادت الى الظهور في يناير ١٩٤١

كتب الصحفي « كاستاندر » مقالا في « الديلي

ميروز « عن التعهد بديل الوزاري الذي يزعم تشرشل
اجراءه .. »

« لماذا يرقى « بلتزر » وكيل الخارجية ليصبح وزيرا
للتعليم .

هل يصبح الرسام افضل عندما يتحول الى سمكري .

هل تتحسن حرفة « السمكرة » نتيجة لذلك .

واشار الى المناصب الستة التي تقلب فيها ايدن ثم
قال :

« ان كل مواهب بريطانيا في هذا الفريق الوزاري ان
كلا منهم يترك وظيفة ، ولكن الوظائف لا تتركهم في
النهاية .

كل منهم قام بعمل الآخر . الكل يعرف الكل .
وشعارهم « احفظ العمل في الاسرة » حك « ظهري وانا
احك ظهرك » .

ولكن هذه اللعبة تنتهي الى نهاية واحدة وهي عزف
الموسيقى الجنائزية .. موسيقى جنازتنا .. نحن » .

وجد « تشرشل » ان الحل الوحيد في المصالحة .

بعث يوم ٢٥ يناير عام ١٩٤١ رسالة شخصية الى
« سيسل كنج » قال فيها :

« آسف اذ ارى الصحف التي كانت لي بها علاقة
صداقة ، وتلقيت منها تأييدا كبيرا في الماضي تتابع مثل
هذا الخط . وقد كتبت اليك في ظل علاقتنا القديمة » .
رد الكاتب « كاساندرا » على تشرشل في رسالة

شخصية « خلال السنوات الاربع الماضية كنت اعتبر نفسي من فريق « تشرشل » وارى فى ذلك شرفا لى . واعتذر « كاساندرا » « لتشرشل » الذى استمر يكتب « لسيسل كنج » .. قال تشرشل :

« هناك لؤم وخبث وكراهية فيما تكتبه الصحيفتان . هذه حكومة قومية .

ان الصحيفتين تهينان وزيرا بعد الآخر بدعوى صيانة المجهود الحربى .

وينبغى الاحتفاظ ببعض الكراهية للعدو .

ان اكبر مجموعة من القراء تمتلىء - نتيجة لذلك - بالمرارة وعندما تقع اية كارثة يتحول هؤلاء الى انهزاميين ويطالبون بالاستسلام للعدو .

انى اعلم ان ذلك ليس هدفك او هدف كتاب الصحيفة .. ولكن هذه هى النتيجة حتى ولو كانت غايتك عكس ذلك تماما .

وفى نفس الشهر - يناير ١٩٤١ - عطلت الحكومة صحيفة « الديلى وركر » الناطقة باسم الحزب الشيوعى البريطانى .

وهذهات الازمة مؤقتا ...

وفى مارس ١٩٤٢ وقع الزلزال ..

نشر « فيليب زيك » رسام الكاريكاتير لوحة فى جريدة « ديلى ميرور » تبين بحارا بريطانيا فى سفينة طوربيد غارقة وقد تعلق بالحطام .

وكتب تحت اللوحة « صدر بلاغ رسمى يقول : ارتفع
سعر البترول بمقدار بنس واحد » .
وكان هدف « زيك » أن يقول للجمهور خففوا من
استهلاك البترول لأنه يكلف البحارة أرواحهم .
وبالفعل طلبت محطات البنزين صورة من هذه اللوحة
لتقول للمستهلكين :

— لا تسرفوا في استعمال البنزين .
وجد أعضاء المجلس أن المعنى الوحيد لما يقوله الرسام
هو أن البحارة يموتون ليكسب الرأسماليون .
وفي اجتماع المجلس تناوب الوزراء الحديث عن
اللوحة فقال الوزراء متتابعين « هذا رسم خبيث . قاس .
محزن . مرعب » .

وفي ٢٠ مارس ١٩٤٢ استدعى رئيس تحرير الديلى
ميرور وزميل له لمقابلة « هيربرت موريسون » وزير
الداخلية الذى أبلغهما أن مجلس الوزراء قرر بالاجتماع
توجيه انذار للصحيفة . ويعقب هذا الانذار عند أول
مخالفة — تعطيل الصحيفة .

وقال موريسون :
— ان رئيس التحرير غير الوطنى ، وحده ، الذى
يسمح بنشر مثل هذا الرسم .
وقال :

— لن نذكركم مرة أخرى . بل سنعمل بسرعة
مدهشة .

وفي نفس اليوم كرر « موريسون » هذا التحذير
في اجتماع علنى لمجلس العموم .

ثارت ضجة بين الاعضاء .. مؤيدين ومعارضين ضد
انذار الصحف أو تعطيلها .

وتوقف الامر عند هذا الحد .. فلم تنذر الصحيفة
بعد ذلك ، ولم تعطل ..

وتغير الموقف العسكري بعد شهور فقد انتصرت
بريطانيا في معركة العلمين ولم يعد التوتر يسود قلب
تشرشل وعقول الوزراء .

ولم يعرف ابدا السر في موقف الحكومة البريطانية
ضد هذا الرسم الكاريكاتيرى .

قال البعض ان تشرشل يغضب من النقد .

وقال آخرون ان « تشرشل » كان يعلم فى ذلك
الحين بان بريطانيا على أبواب الهزيمة فقد وقع الانذار
للصحيفة فى مارس ١٩٤١ ، وقبله بشهر وقع حادث
٤ فبراير فى مصر ، عندما فرضت حكومة على الملك
فاروق تلك الفترة كانت الأعصاب البريطانية الرسمية
مشدودة ...

اما الرسام « فيليب زيك » فانه كان يهوديا ولا ينتظر
منه ان يكون مساندا للامان بينما هتلر يضطهد اليهود .
وثبت من الاوراق والمستندات الالمانية التى ضبطت
بعد الحرب ان المانيا قررت اعتقال كل مديرى الديلى
ميروور اذا دخل الالمان لندن .

وفى عام ١٩٤٥ قام « زيك » برسم اللوحة التى اتخذها
حزب العمال شعارا له والتى ساعدت على انتصار حزب
العمال على المحافظين .

يومها قال « هيرت موريسون » معتذرا « لزيك » .
- ان ازمة الكاريكاتير كانت خطأ ..

والتقى « تشرشل » بأحد النواب قرب مجلس العموم
وكان « زيك » يصاحب النائب الذي قدمه لرئيس وزراء
بريطانيا السابق .

وعندما سمع تشرشل الاسم قال :

- مستر « زيك » .. اعتقد انى مدين لك باعتذار ..
اعتبر انه قدم اليك !

اعلن « جمال عبد الناصر » تأميم قناة السويس فى
٢٦ يوليو ١٩٥٦ وقرر ايدن - سرا - اعلان الحرب
ضد مصر .

واخذت الصحف البريطانية تنشر اتياء تحركات
القوات البريطانية فى البحر المتوسط وقبرص فأصدرت
وزارة الدفاع امرا بمنع نشر هذه التحركات وكان ذلك هو
القرار الوحيد الذى يحظر النشر فى الحرب التى اشتهرت
بعد ذلك بحرب السويس عام ١٩٥٦ .

ولم تفرض رقابة على الصحف ، سواء اختيارية
او اجبارية ، فى آخر حرب اشتركت فيها بريطانيا قبل
فوكلاند .

وفى « حرب السويس » كانت اول الصحف التى
وقفت ضد ايدن وحكومته هى « المانشستر جارديان »
التي تصدر فى مدينة مانشستر .

بعد يومين من تأميم مصر للقناة نشرت « الجارديان » :
« ان بنحسب عرض تمويل السد العالى جعل من المحتوم

على « جمال عبد الناصر » أن يرد بتحد . أن الديكتاتور يحيا بسـمـعته .. وحتى يجب أن يضرب بطريقة استعراضية .

ومن السخف سحب المرشدين من القناة بل يجب أن نبحث كيف نقلل من اعتمادنا على القناة .

وبعد ٥ أيام من تأميم القناة كتب « وادسورث » رئيس تحرير « الجارديان » افتتاحية بغير توقيع قال فيها :

« لا مبرر لاستعمال القوة الا اذا اغلق « جمال عبد الناصر » القناة . فى هذه الحالة فقط نتدخل .

ان عبد الناصر لم يبلغ معاهدة ١٨٨٨ التى تنص على حرية الملاحة فى القناة وهذه المعاهدة ليس فيها نص عن ملكية القناة .

ومعاهدتا ١٩٣٦ و ١٩٥٤ لم تغيرا هذا الموقف .

ان ما فعله « عبد الناصر » ليس مبررا للعمل العسكرى الا اذا اغلق القناة واستولى على القواعد البريطانية هناك ، أو اعتدى على جيرانه .

واذا أرسلنا قواتنا الى السويس فان ذلك يدمر ما بقى يقال عن بريطانيا من انها حامية القانون الدولى . وسيحطم الاسم المتحدة . ويشير غضب ثلاثة أخماس العالم ضدنا .

وظلت الصحيفة تكتب مؤيدة مبدا « المفاوضات أولا » وتقول انه لا مبرر للعمل العنيف ضد مصر ما دامت القناة مفتوحة ، كما ان القوة لن تبقىها كذلك .

وظلت « الجارديان » وحدها تعارض استخدام القوة بينما باقى الصحف اما مؤيدة لذلك أو محايدة أو مترددة .

اجتمع المستأون في صحيفة « الديلي ميرور » لبحث سياسة الجريدة بعد تأميم القناة فكان « سيسل كنج » مؤيدا للقوة والحرب أما كادليب - الذي خلف بعد ذلك كنج في رئاسة مجلس الادارة - فقد أيد القوة اذا اقرتها الامم المتحدة والكومنولث والولايات المتحدة .

وانتصر رأى « كادليب » .

وفي ١٠ اغسطس بدأت « الديلي ميرور » تنضم للجارديان فقالت تحت عنوان « أزمة السويس .. سياسة عاقلة لبريطانيا » : « حماقة ان تقدم بريطانيا وحدها على الحرب ضد الراى العام العالمى . ويجب على بريطانيا الالتزام بالعمل الجماعى الدولى » .

وفي ١٤ اغسطس اندفعت « الميرور » ضد الحرب . قالت تحت عنوان « رسالة لايدن . لا حرب ضد مصر » :

« اذا سمح ايدن لنفسه بأن يتدفع فى أعمال حمقاء نتيجة كلماته الشجاعة فانه سيجد نفسه فى موقف لا يحل الا باستقالته كرئيس للوزارة » .

وفي اليوم التالى كان وزير الدفاع البريطانى يجتمع برئيس القسم الخارجى الاستير هيلدرنجتون فى صحيفة « الجارديان » ويبلغه أن بريطانيا لن تحارب .

وأدرك « هيلدرنجتون » أن الوزراء مستاءون من موقف الصحيفة ضد الحرب . وخاصة وأنها تعلن باستمرار أن « ايزنهاور » الرئيس الأمريكى ووزير خارجيته « دالاس » لا يؤيدان بريطانيا .

واستمرت الصحيفتان « الميرور » و « الجارديان » تطالبان بعدم دخول الحرب .

قالت الميرور : « حرب ضد مصر معناها حرب ضد كل الدول العربية .. وهى عملية طويلة ومكلفة . ان العمل البوليسى فى السويس يتطلب الاستيلاء على مصر كلها وهذا يحتاج الى عدة فرق » .

وردت الجارديان على قعقة السلاح ونشرت حديثا « لجيتسكيل » زعيم المعارضة يطالب فيه بعدم استخدام القوة .

قالت ان الذى تطالب بالحرب هى الصحف التى طالبت بالتسوية السلمية مع هتلر .

وقد اذاعت هيئة الاذاعة البريطانية هذا الحديث فطلب « ايدن » وضع قانون باشراف الحكومة على ال « ب . ب . ب . سى » .. ومنع تعليقات الافراد فى الاذاعة .

وضع مشروع القانون وادخلت تعديلات عليه . ولكن لم يصدر نتيجة تطور الاحداث .

وفى ١٠ سبتمبر كتب وادسورث آخر افتتاحية له فقد كان مريضا وعلى شفا الموت .

قال :

« لا عجب ان الناس خارج بريطانيا يظنون ان الانجليز فقدوا عقولهم مادامت الصحف تطالب باستخدام القوة . نريد ان نتجنب حربا تنشأ بمبادرة منا .

هذه هى السياسة التى يجب ان تتبع بدلا من ان نطبق القانون الدولى بايدينا » .

سيقال ان كل شئ نشأ عن اخطاء الصحف وان ايدن ضحية صحافة بلا قلب لم تحسن عمدا تفسير كلماته .

ولا يكفي أن يتحقق الحرب أو السلام بنسب على
السياسة الشخصية لرئيس الوزراء .

وفي ١١ سبتمبر نشرت « الميرور » عنوانا باللاتينية
وهي أول مرة تفعل ذلك .

يقول العنوان : « إذا لم تكن هناك خصافة » .
وهو شعار أسرة ايدن فقد طالبت الصحيفة بالخصافة أي
بالعقل لا الجنون .

ووضح من ذلك أن الصحيفتين تتنافسان ضد
الحرب .

واستمرت « الجارديان » تنشر أخبار أزمة السويس
في الصفحة الأولى منذ ٢٦ يوليو عدا يوم واحد هو
٤ أكتوبر .

في ٢٩ يوليو هاجمت القوات الإسرائيلية مصر
فوجت بريطانيا وفرنسا أندارا لمصر .

وفي ٣١ أكتوبر بدأت القوات البريطانية والفرنسية
تضرب مطارات مصر .

وفي ٥ نوفمبر بدأ غزو بور سعيد .

كانت « الجارديان » أول صحيفة تعارض الانذار
البريطاني ..

وكان هيلدرنجتون - ٣٦ سنة - قد تولى رئاسة
تحريرها فكتب افتتاحية من ألف كلمة قال فيها أن
الانذار عمل أحمق لا مبرر له . أنه يصب البترول على
النار . ولا أحد يعرف أي انفجار سيعقب ذلك . والأمل
في أن يطفىء هذا الانذار النار لا يتجاوز واحد على

عشرين وسيقود بريطانيا لحرب مباشرة مع مصر وربما العالم العربى كله .

ما حقنا فى الهجوم على بلد آخر .

الانذار ، اذا نفذ ، اى تتدخل بريطانيا وفرنسا لفصل القوات المتحاربة المصرية - الاسرائيلية ، يعتبر عدوانا واضحا ولا يوجد فى ميثاق الامم المتحدة ما يبرر التدخل العسكرى ، والتصرف السليم الوحيد هو سحب قوات اسرائيل عن طريق الامم المتحدة » .

ونشرت الصحيفة يوم ٢ نوفمبر رسالة من الفيلسوف الكبير « برتراند راسل » يقول فيها « جريمة بريطانيا وفرنسا فى مصر تجعلنى اشعر بالخجل من بلادى . واملئ الوحيد ان تتدخل الولايات المتحدة لوقف القتال وانقاذنا من النتائج السيئة التى ترتبت على جنون الحكومة » .

ترددت « الديلى ميور » يوما بعد الانذار البريطانى ولكنها اندفعت مؤيدة لمصر يوم ٢ نوفمبر .

وترددت صحف اخرى يومية وهى « الديلى هيرالد » - جريدة العمال - « والنيوز كرونكل » - صحيفة حزب الاحرار - فلم تعلقا الا يوم ٤ نوفمبر .

وترددت « الديلى تلجراف » المؤيدة لايدن يوما ثم يوما ثم اندفعت مؤيدة .

اما « الديلى ميل » فقد بقيت حائرة ..

ففى تلك الايام الحاسمة كانت صحافة بريطانيا فى مفترق الطرق خاصة وان بلادها تقاتل .

وعلى اية حال فان صحف بريطانيا عندما قامت الحرب انقسمت تماما ..

وقفت مع مصر { صحف يومية و { صحف أسبوعية
هى « بيول » الناطقة باسم حزب العمال « وبكتوريال »
الصادرة عن الديلى مرور .

أما أبرز الصحف الأسبوعية التى وقفت مع مصر يوم
{ نوفمبر فهى « الاوبزرفر » ومجلة « الاكونومست » ..
والاثنتان محافظتان .

أما الصحف اليومية المؤيدة للحكومة فهى ٦ ، و {
صحف أسبوعية . باختصار كانت الصحف المؤيدة
للحكومة أكثر . ولكنها لم تكن متقدمة كثيرا على الصحف
المؤيدة لمصر أو بعبارة أدق التى تعارض الحرب كوسيلة
لحل الازمة .

هاجمت « الميرور » ايدن يوم ٢ نوفمبر .

وفى { نوفمبر قالت « الميرور » : بينما تقذف بريطانيا
مصر بالقنابل فان روسيا انتهزت الفرصة لقتل الحرية
فى بودابست .

ان ممارسة الضغط الاخلاقى على روسيا قد ضاع
عندما تحدى ايدن الامم المتحدة .

ان اطلاق صفارات الانذار فى مصر اطلق صفارات
الامان لروسيا لتغزو المجر .

فان روسيا هاجمت المجر ونشرت « الجارديان »
كاريكاتيرا لخروشوف وهو يقود دبابة بينما ايدن يستعد
لقيادة قاذفة قنابل ويلوح لخروشوف بيده قائلا :
- وانا ايضا !

توقف القتال .

كتبت « الميرور » يوم ٧ نوفمبر بعنوان « العودة الى

العقل « : » نحمد الله على انه لن يكون هناك مزيدا من القتلى . ان هذه الحرب أضاعت القيسادة الروحية لبريطانيا . »

وفي يوم ٢٠ نوفمبر كتب « جيمس موريس » مراسل الجارديان من قبرص لان الرقابة في قل ايبب منعت ارسال برقيات .

قال « ان الطيارين الفرنسيين قادوا الطائرات الفرنسية وهاجموا القوات المصرية في سيناء وضربوها بقنابل النابالم . »

وفضحت الصحيفة التواطؤ بين فرنسا وبريطانيا واسرائيل واستمرت تفضحه .

وفي اليوم التالي ٢١ نوفمبر ايدت « الموند » الفرنسية انباء التواطؤ وتبعتها « فرانس اوبزرفاتور » الفرنسية ايضا وكذلك التاريخ كله ..

خسرت صحيفة « الديلي ميرور » ٧٠ ألف قارئ نتيجة معارضتها ايدن في حرب السويس . وخسرت الجارديان ٣٠ ألف قارئ في مدينة مانشستر التي تصدر فيها ولكنها كسبت ٧ ألف قارئ معظمهم في لندن .

وكان نجاح الصحيفة في لندن مقدمة لانتقالها من « مانشستر الى لندن وأصبح اسمها « الجارديان » بدلا من مانشستر جارديان . »

واثبت هيدرنتون بهذا الموقف انه يصلح رئيسا للتحريير !

الصحافة.. وغرام الملوك

لندن عام ١٩٣٦ .
قبل أن يموت « جورج الخامس » ملك إنجلترا التفت
الى الواقفين حول فراش الموت .. وسألهم :
— كيف حال الامبراطورة .. يعنى الامبراطورية
البريطانية — التى كانت أيامها تحتل ربع اراضى العالم
تتحكم ربع سكانه ..
ثم راح الملك فى غيبوبة .
وبعد ساعات اذيع بلاغ رسمى جاء فيه ان روح الملك
تمضى نحو النهاية .
وفى منتصف ليلة ٢٠ يناير ١٩٣٦ اعلنت الاذاعة
البريطانية ان « جورج الخامس » مات فى سلام .
ولكن الامبراطورية البريطانية لم تكن أيامها فى سلام .

احتفل فى قصر سان جيمس بتنصيب ولى العهد ملكا
لإنجلترا تحت اسم « ادوارد الثامن » .
وكان عمره يومها ٤١ عاما .
وهو أول ملك أعزب يجلس على عرش إنجلترا منذ
١٧٦ عاما .
حضرت سيدة مجهولة حفل تنصيب الملك الجديد .

وكان عدد كبير من المسئولين يجهلون اسمها .
ولكن أشقاء الملك الثلاثة كانوا يعرفون حقيقة السيدة
« واليس وارفورد سيمبسون » .. ويعلمون عن يقين -
ان اخاهم الملك مولع القلب بتلك السيدة الامريكية ..
وان هذا الحب أفزع الملك الراحل الذى خاف أن تتحطم
الامبراطورية بسبب هذا الحب الفريب .. وما يعترضه
من عقبات .. والظروف التى أحاطت به .. من كل
جانب .

« واليس » ابنة موظف أمريكى صغير .
تزوجت لأول مرة سنة ١٩١٦ من ضابط بحرى اسمه
« ايرل دينيفيلد سينسر » .. وكان سكيرا وهى مفلسة .
قاست واليس كثيرا من زوجها ثمانية أعوام وانتهى
الزواج ، الى الطلاق !

وخلال سنوات الزواج .. وعلى وجه التحديد فى
سنة ١٩٢٠ التقت « واليس » « بادوارد الثامن » ايام
كان وليا للعهد فى حفلة راقصة اقيمت فوق ظهر سفينة
حربية .. ولكنهما لم يتبادلا كلمة .

وعندما التقى الملك « بواليس » بعد ذلك قال لها :

- اذكر وجهك .. أين رايتك قبل اليوم .

وعبثا حاول ان يتذكر فان معظم النساء اللائى قابلهن
ولى العهد فى تلك الحفلة .. على ظهر السفينة كن
زوجات لكبار الضباط .

تركت « واليس » امريكا بعد الطلاق .. وسافرت
لانجلترا حيث التقت بزوجها الثانى وهو انجليزى اسمه

«ارنست سيمبسون» .. تعرفت به اثناء وجوده في امريكا .

ونشأت صداقة بين « واليس » وبعض الدبلوماسيين الامريكيين الذين قدموها بدورهم لبعض الانجليز .. وبينهم « ثلما فيرنيس » .. التي كانت صديقة شخصية لولى العهد .. واضطرت للسفر الى امريكا فطلبت من صديقتها « واليس » ان تهتم - في غيابها - بولى العهد !

جلس ادوارد الثامن على العرش .

وظل ستة شهور - هي فترة الحداد الرسمي على ابيه - يلتقى بأسرة « سيمبسون » في حفلات خاصة .

وبعدها .. في ٢٨ مارس ١٩٣٦ دعا سكرتيريه وزوجاتهم الى مأدبة عشاء .. ووجد السكرتيريون السيدة « واليس » تجلس على رأس المائدة .

وبعد شـهرين دعا الملك رئيس وزرائه « ستانلى بولدوين » الى مأدبة عشاء .. ومرة أخرى كانت « واليس » تجلس على رأس المائدة .. ولاحظ رئيس الوزراء أن « سيمبسون » كان مدعوا وان صديقتها السيدة رافراى كانت هناك .. وان الملك ظل طوال المأدبة يتحدث الى واليس بينما انفرد زوجها بالحديث مع مدام « رافراى » .. وقد تزوجها سيمبسون بعد ذلك !

ولم يقل « ستانلى بولدوين » رئيس الوزراء وزعيم حزب المحافظين شيئا عن « واليس » .. كل ما كتبه في مذكراته يومها ان « واليس » سيدة لطيفة .

ولم يهتم رئيس الوزراء بما جرى امامه فان زوج
« واليس » كان معها .. وهو الذى يجب ان يهتم ..
اذا اراد !

ولكن رئيس الوزراء ضاق بالامر عندما صدر بلاغ
كبير الامناء فى اليوم التالى عن مأدبة العشاء . قال
البلاغ ان رئيس الوزراء حضر المأدبة مع قرينته وان
السيد « سيمبسون » حضر المأدبة مع قرينته .
وكان البلاغ هو أول بيان رسمى يسكاد ينطق بأن
بأن صاحب الجلالة يحب !
اندفع الملك فى حبه .

وكان اندفاعه هذه المرة علنيا وواضحا .
دعا « واليس » الى رحلة غرام فى البحر المتوسط ..
فى يخته الخاص .

وفى سالزبورج تلتقط عدة صور للملك وصديقه
نشرت احداها صحيفة « الديلى سكتش » البريطانية ..
وتكون هى الصورة الاولى والاخيرة التى تنشرها صحافة
لندن للعاشقين ..

ويعود الملك وصديقه الى لندن .. فتستقبلهما
الصحافة فى فتور .

كانت صحف امريكا اول من تكلم .. عن غرام صاحب
الجلالة .

ان حب الملك الذى تجاوز الاربعين تحول ، فى صحافة
امريكا ، الى فضيحة ، او مجموعة فضائح .. أصبح مادة
للاثارة ، للتوزيع ، للبيع .

أصبحت قصة « ادوارد وواليس » فى كل جريدة ،

وصورهما على غلاف كل مجلة .

* قالت صحيفة « نيويورك صانداى نيوز » : ان الاسرة المالكة البريطانية تعسانى الفيظ وتكتمه ، لان « ادوارد الثامن » يحب سيدة امريكية اسمها مسز « واليس سمبسون » تزوجت مرتين وطلقت مرة !

* وقيل ان منزل مسز « سمبسون » اصبح من ممتلكات التاج البريطانى .. يطوف حوله رجال البوليس لمنع الناس من الاقتراب منه .

وحدث ان اعترض رجل على هذا المنع فقال له كونستابل البوليس :

- ابتعد والا صادفتك متاعب شديدة !

* وحتى الهدايا لم تسلم من التعليقات والمبالغات ..

قيل ان الملك اهدى صديقه قلادة ثمنها ١٢٥ ألف دولار ، وان هدايا اخرى فى الطريق ستسلم الى السيدة قيمتها نحو مليون دولار .

واكثر من ذلك قيل ان الملك قبل مغادرة فيينا اهدى مسز « سمبسون » كميات كبيرة من الجوارب الحريرية والملابس الداخلية .. وكل النمسا تعرف ذلك !

* وزاد الجنسون الامريكى فبدأت الصحف تنشر الاخبار مشفوعة بالصور .

مسز « سمبسون » ترافق الملك عند زيارته لفيينا لاستشارة طبيب اذن .

مسز « سمبسون » ترافق الملك فى القطار الى لندن .. مسز « سمبسون » ترافق الملك فى كل مناسبة .

* بدأت العناوين تتجه الى الاثارة « المرأة التى تحسدها الامبراطورية البريطانية » و « المرأة التى يتكلم عنها العالم كله » .

* اخذت الصحف تنشر يوميا تفاصيل دقيقة عن تاريخ حياة مسز « سمبسون » .

ووضعت فى قطارات السكك الحديدية اعلانات صارخة تدعو الاهالى لشراء هذه الصحيفة أو تلك المجلة لمعرفة القصة الحقيقية للحب الملكى !

* ولم يكتف الامريكيون بهذا كله ، بل ان الصحف اخذت تبعث بمراسليها الى كل انجليزى يقيم فى الولايات المتحدة أو يزورها زيارة عابرة ، رايه فى قصة الحب .

اذا أراد الزائر ان يتخلص من الاجابة لحقته الاسئلة ، فاذا امتنع عن الجواب نشر نبأ اجابته أو امتناعه أو امتعاضه على حد سواء .

* هذه هى مجلة « نيويورك وومان » أى « المرأة فى نيويورك » ترى ٣ احتمالات للموقف :

ان يطلب « ايرنست سمبسون » الطلاق من زوجته لانها خانت عهد الزواج المقدس .

أو ..

يظل « سمبسون » راضيا عن الوضع الحالى لانه يريد ان يستمر مستمتعا بعطف صاحب الجلالة « ادوارد الثامن » .

أو ..

يبقى « سمبسون » عاجزا لا يستطيع ان يفعل شيئا فالقانون في بريطانيا يمنع القذف في حق جلالة الملك ..

ولذلك فان قضية الطلاق لن ترفع ، وسيبقى الحال على ما هو عليه .

* ومجلة تايم تسميها « الملكة واليس » .

* تنشر صحف امريكا صورة الملك وصديقه ، معا ، بملابس الاستحمام .

تملا الاعلانات عن المجلات التي تنشر صور الغرام الملكي كل عربات السكك الحديدية ودور السينما في امريكا .

كل هذه الطبول التي تدق معلنة ان الملك يحب بينما السيدة « واليس ايرنست وارفيلد سمبسون » لا تزال زوجة شرعية رسمية للسيد « ارنست سمبسون » !!

اجتمع اثرومان رئيس تحرير جريدة « يوركاشير بوست » بزميله « جوفري دوسون » رئيس تحرير جريدة « التايمس » وسأله :

- متى تبدأ صحف انجلترا الكتابة عن الملك وصديقه .

اجاب « دوسون » :

- سأقول لك في الوقت المناسب .

وقال « دوسون » في مذكراته :

« كان رئيس الوزراء لا يدرى ماذا يفعل بالنسبة للصحافة ، فهي عالم مجهول بالنسبة له ، ولذلك لم يستطع ان يقدم لها أية نصيحة .. وكان حائرا ..

هل يشرح الوضع فى الصحف . وهل ستكون اداة فى يده ام يضع ثقته فى مجلس العموم ؟ وكان واضحا ان رئيس الوزراء يثق دوماً فى مجلس العموم .

ولكن اصحاب المكتبات البريطانية التى تستورد صحف امريكا ومجلاتا عمدا الى « حذف » كل ما تنشره هذه المجلات عن الملك وصديقه خوفا من محاكمتهم بتهمة القذف .

ولعل الخوف من الاتهام بالقذف فى حق الملك ، او صديقه ، هو احد العوامل التى دفعت الصحف البريطانية الى عدم الخوض فى هذا الموضوع . . وان لم يكن العامل الوحيد .

اجتمع « ماكنزى كنج » رئيس وزراء كندا بكل من « ستانلى بولدوين » و « جوفرى دوسون » رئيس تحرير « التايمس » .

قالا له : اخبر الملك بما تنشره الصحف الامريكية وعدهما « ماكنزى كنج » بانه سيتكلم وسيكون عنيقا قاسيا مع الشاب الصغير . . يعنى صاحب الجلالة . وانتظر « بولدوين » و « دوسون » - فى قلق - عودة رئيس وزراء كندا من المقابلة الملكية .

وعاد « ماكنزى كنج » . . وكان شيئا لم يكن . قال انه وجد صاحب الجلالة انسانا آخر . . حديثه حالم ، وكلماته خيالية ، ينطق حرفا ثم يشرح . . وقال « ماكنزى » : لم استطع الا ان اقول له ان شعب كندا يحب صاحب الجلالة !

ولكن « جوفرى دوسون » رئيس تحرير « التايمس »
- لم يستطع أن يترنث طويلا ..

تلقى فى ٢٥ اكتوبر ١٩٣٦ رسالة من قارىء مجهول
انجليزى يقيم فى ولاية نيوجرسي بأمريكا قال فيها :

ان تصرفات الملك نفسه تمرق وحدة الامبراطورية .
ويخالجنى شعور بأنه اذا استمر ادوارد الثامن جالسا
على العرش ، فان الشعور سينمو فى البلاد بضرورة
قيام الجمهورية .

ومن الصعب على رجل يقيم بعيدا عن مركز الحوادث
ان يقترح علاجا ، ولكن لن يسعدنى شيئا اكثر من ان
اسمع ان ادوارد الثامن قد اعتزل العرش ، وتركه لولى
العهد قبل ان يتطور الامر ويصبح واجبا تغيير النظام
نفسه بدلا من استبدال ملك بملك !

ولم يتردد « جوفرى دوسون » .. بل حمل هذه
الرسالة وقصاصات الصحف الامريكية التى ارفقت بها
الى « الكسندر هاردنج » السكرتير الخاص للملك ، كما
حمل نسخة منها الى « ستانلى بولدوين » رئيس
الوزراء . وبقيت الرسالة فى درج السكرتير وهو يخشى
ان يطلع الملك عليها فيتالم ..

وفى يوم ١٣ نوفمبر غادرت الرسالة درج « هاردنج »
لتستقر بين يدى الملك مع خطاب جرىء من سكرتيره
قال له فيه :

« ان صمت الصحف البريطانية ازاء صداقتكم لواليس
سميسون لن يستمر ..

ان رئيس الحكومة وكبار الوزراء يجتمعون اليوم لبحث الاجراءات التى يتحتم اتخاذها لمواجهة الموقف الذى تزداد خطورته .

ولا شك ان جلالتم تعلمون ان استقالة الحكومة - وهو امر لا يمكن استبعاده - سيؤدى الى ايجاد شخص آخر قادر على تشكيل الوزارة والحصول على تأييد مجلس العموم . وعندى من الاسباب ما يجعلنى اعرف ان الشعور السائد بين أعضاء المجلس هو عدم تأييد أى رئيس حكومة جديد .

ولذلك فالحل البديل هو حل مجلس العموم واجراء انتخابات عامة جديدة ستدور كلها حول موضوع واحد هو « قلب جلالتم وحب جلالتم » !

واقترح السكرتير الخاص على صاحب الجلالة ان يأمر بترحيل السيدة « واليس » بعيدا .. بعيدا .. ولم يرد الملك على خطاب سكرتيره .

ولم يستقل السكرتير بعد ان رفض الملك ان يبادله كلمة واحدة فى هذا الموضوع - نحو شهرين - حتى اعتزل العرش .

قال الملك ادوارد الثامن فى مذكراته التى نشرها بعد اعتزاله العرش تحت عنوان « قصة ملك » ..

حدد يوم ٢٧ اكتوبر لنظر قضية الطلاق .. وعلمت الصحف الامريكية بالنبا فنشرته بالخط العريض ، بل وذهبت الى اكثر من هذا .. فقالت ان الملك سيتزوج « واليس سمبسون » بعد الحكم بطلاقها من زوجها القديم .

اما الصحف البريطانية فكانت لا تقرن اسم «واليس» باسمي كما كانت تفعل الصحف الامريكية ولم يكن هذا عن جهل من الصحفيين الانجليز عن علاقتي بها .. فقد كانوا يعرفون كل شيء .. وانما لان الصحافة البريطانية رغبت في الاحتفاظ بهيبة القصر الا تدع .

ورأيت بعد ان أصبح الحكم بالطلاق على الابواب ان تظل الصحافة البريطانية محتفظة برزانتها ، وان تضبط اعضابها ، لتقف في وجه الصحف الامريكية التي تنشر يوميا انباء هذا الفرام الملكي .

وقررت ان اتصل بالصحفيين البريطانيين اتصالا مباشرا ، ورأيت ان اطلب العون من اثنين من كبار اصدقائي الصحفيين هنا لورد بيفر بروك صاحب « الديلي اكسبريس » و « الصنداي اكسبريس » و « الايفنج ستاندارد » .. وسير « ادموند هارمورث صاحب « الديلي ميل » و « الايفنج نيوز » .

اتصل الملك تليفونيا بمنزل الصحفي اللورد «بيفر بروك» في لندن فقبل له : اللورد في امريكا .

— وكاد الملك ان يجن فانه كان يعتمد على اثنين من المحافظين اولهما اللورد « بيفر بروك » وهو من اصل كندي ..

وتشرشل — وكان ايامها عضوا في مجلس العموم ورفض « بولدوين » ان يعطيه منصباً وزارياً .

ووصل « بيفر بروك » الى نيويورك واستقبله مندوبو الصحف في الميناء يسألونه عن علاقة الملك « بواليس » فأجاب بأنه لا يعرف شيئاً وتهرب من الاسئلة .. وقال انه قادم في اجازة لشئون اخرى ..

واتصل الملك تليفونيا - من لندن - بكل مكان يحتمل أن يزوره « بيفر بروك » في « نيويورك » حتى وجده في جريدة « الديلى نيوز » الامريكية ، وهى الجريدة التى تفننت فى ابراز اخبار « واليس » ، والتى قالت ان فى عروقها تجرى دماء الهنود الحمر الامريكيين ، والتى نشرت ان « واليس » ليست من عامة الناس لان أحد أقاربها كان حاكما لولاية امريكية قبل ثلاثين عاما ..

قال رئيس مجلس ادارة جريدة « الديلى نيوز » للورد « بيفر بروك » .

- تليفون لك ..

قال بيفر بروك ..

ومن المتحدث ..

قال رئيس « الديلى نيوز » وهو يتسهم ..

- من صاحب الجلالة !

وسمع « بيفر بروك » الملك يتوسل اليه ويرجوه العودة فورا ..

والجدير بالذكر ان رئيس جريدة « الديلى نيوز » راعى التقاليد الصحفية فلم ينشر المكالمة او يشر اليها ..

يوم عاد « بيفر بروك » الى لندن دعاه الملك للعشاء فى نفس اليوم ليسأله الراى .. وكان جواب « بيفر بروك » :

- طاوعنى .. تراجع .. ان « بولدوين » سيبحث ببرقيات « مسممة » الى دول الدومنيون .. انت فى فنج ..

حاسب .. حاذر !

قال الملك في مذكراته :

« جاء لورد بيفر بروك الى القصر في ١٦ أكتوبر ..

شرحت له كل المشكلة بصراحة تامة ..

قلت له :

لا افكر في أن اطلب اليك أن تستغل نفوذك لوقف نشر
انباء مثيرة عن الطلاق .. كل ما أرجوه هو أن تحاول أن
تحمي واليس من نشر أى شيء عنها داخل بريطانيا .

قال لى لورد « بيفر بروك » سأحاول أن افصل
ما تريد .

وبدون ابطاء بدأ « بيفر بروك » يقوم بعمله الخطير في
حي الصحافة .

والصحف البريطانية تثيرها كلمة الرقابة ولا يمكن أن
تمتنع الصحف عن نشر نبأ من حق الشعب أن يعرفه .

ولكن « بيفر بروك » عقد ، بمساعدة « هارمثورث » ، مع
جميع رؤساء الصحف « اتفاق جنتلمان » ، مقتضاه أن
يكتفوا بنشر انباء قضية الطلاق دون أن يعمدوا الى
التهويل .

واحترمت جميع الصحف البريطانية وعدها ، فنشرت
النبأ كطلاق أى انسان عادى من انسانة عادية .

ذهب رئيس الوزراء للقاء الملك .. وقال :

— اخلاص الناس ينتهى عند نقطة واحدة عندما تلوح
الفضائح فوق القصر .

كاد الملك يقفز من فوق كرسيه .. ولكنه استجمع
شئاته نفسه وقال :

— آمل ان تتكلم بصراحة .

قال رئيس الوزراء متسائلا :

— فى أى موضوع ؟

— نعم فى أى موضوع .

قال رئيس الوزراء العجوز للملك .. فجأة :

— هل تسمح لى بكأس من الويسكى والصبودا وهل
تفضل جلالتك باحتساء كأس معى ..
اعتذر الملك لأنه لا يشرب الويسكى فى مثل هذه
الساعة !

... كانت الساعة قد تجاوزت العاشرة صباحا بقليل
.. ومن يحتسى الويسكى فى هذه الساعة المبكرة أما
يكون مدمنا أو انه يحس بقلق بالغ .
ولم يكن رئيس الوزراء مدمنا ..

طلب الملك الويسكى لرئيس وزرائه الذى تجرع كأسه
دفعة واحدة ثم قال للملك :

— هل أستطيع ان أتكلم بصراحة حتى ولو كان الموضوع
خاصا بامرأة .

أوما الملك برأسه وهو يكاد ينفجر غيظا .

بدأ رئيس الوزراء يشرح للملك ما تقوله الصحف
الامريكية عن طلاق « واليس سمبسون » وعلاقتها
بالملك .

وقال ان احكام الطلاق تنص — فى ذلك الوقت — على

أن يكون الحكم سارى المفعول بعد ستة شهور الا اذا تقدم معترض قانونى خلال تلك الفترة .. وهذه الشهور الستة ستكون حافلة بالاثارة والاشاعات والاقاويل ويخشى أن يصبح القصر الملكى محل الجدل والمناقشة والاشاعات الرخيصة .

واستمر رئيس الوزراء يعيد ويكرر ما قاله ثم همس للملك :

— هل من الضرورى أن يستمر نظر قضية الطلاق .
اختار الملك مصيره .

قال لرئيس الوزراء وقد ضاق بحديثه والحاجه :
— ليس من حق أى انسان أن يتدخل فى قضية خاصة بين اثنين من المواطنين .. يجب أن نحترم حرية الافراد والا نتدخل فى القضاء .

كاد رئيس الوزراء أن يجن فان السيدة « واليس سمبسون » أقامت قضية الطلاق فى مدينة صغيرة اسمها « ايسويتش » حتى تكون بعيدة عن لندن ومراسلى الصحف ، من ناحية ، ولأن قاضى الطلاق فى « ايسويتش » ، من ناحية أخرى ، كان يعمل قبل ذلك مستشارا قانونيا لاحدى قريبات صاحب الجلالة !

استمر الملك يتكلم ..

— الا ترى أنه من الخطأ أن نحاول التأثير فى السيدة « واليس سمبسون » لمجرد انها — بالصدفة — صديقة للملك .

اضطر رئيس الوزراء الى القول بأنه لا يطلب ردا سريعا وكل ما يرجوه ان يفكر الملك والسيدة « واليس سمبسون » فى الامر .

أصدر القاضي حكمه بالطلاق لان زوج السيدة
« واليس » خان زوجته في « أوتيل دي باريس » !

بعد الحكم أصبحت « واليس سمبسون » مثل
الديناميت السياسي ..

في اليوم التالي كانت الصحف الامريكية تكتب تحت
عناوين مثيرة :

« واليس » ستتزوج الملك .

« امريكية في بلاط صاحب الجلالة .

وتمادت احدى الصحف الامريكية فقالت :

« ان واليس رسمت التاج الملكي على ملاءة سريرها !

خلال نوفمبر التقى الملك « بستانلى بولدوين » مرتين

استدعاه فى المرة الاولى ليقول له انه يريد الزواج من
السيدة « واليس » .

اجاب رئيس الوزراء بأن الناس لن يؤيدوا زواج الملك
من سيدة تزوجت مرتين وطلقت مرتين .

وقال رئيس الوزراء :

— ان زوجة الملك تصبح ملكة .. وهذا هو الثمن الذى

يجب ان يدفعه الملك فان اختياره لزوجته ليس امرا
خاصا به وحده بل ان صوت الشعب يجب ان يكون
مسموعا .

فهم الملك على الفور ان رئيس الوزراء لا يعارض فى

ان تبقى « واليس » صديقة او عشيقة للملك .. اما ان
تكون زوجته فهذا مستحيل !

ومن الغريب ان بولدوين فى مستهل حياته رغب فى ان يكون من رجال الدين لولا ان اياه عارض ذلك بشدة واصر على ان يكون ولده سياسيا محافظا مثله .

اشار الملك فى حديثه ، من بعيد ، الى انه اما ان يتزوج او يرحل .

لم يعلق رئيس الوزراء كثيرا على الموضوع واكتفى بأنه سيعرض الامر على مجلس الوزراء .

اسرع الملك فى المساء الى أمه وشقيقته قائلا :

— أريد ان أتزوج حبيبتي .

ردت الأم :

— ان الطلاق مرة واحدة مصيبة اما الطلاق مرتين فكارثة .. وانت تريد ان تتزوج سيدة طلقت مرتين !!

دخلت الحرب بين الملك ورئيس وزرائه معركة جديدة . اخذت الصحف الموالية « لبولدوين » تقذف الملك بقنابل الاعماق ..

انها لا تكتب عن الفرام الملكى او عن طلبات الزواج العرفى او غير العرفى التى يقدمها ادوارد الثامن لرئيس الوزراء .. ولكنها — اى الصحف — تحاول هز أعصاب الجالس على العرش وتوحى للناس — بالاشارة — انه لا يصلح لمنصبه .

وفى ٢٣ نوفمبر نشرت « الديلى ميل » مقالا بعنوان « تناقض » .. تحدثت عن نشاط الملك وقارنت بين عطفه على العمال العاطلين فى جنوب ويلز فى حين ان الحكومة لا تبدى اهتماما نحو هؤلاء العمال .

وكان هذا المقال دافعا لحملة شنتها التايمس على « ادوارد الثامن » فخلعته عن عرشه .

كتب « دوسون » فى اليوم التالى مقالا رد فيه على « الديلى ميل » وأشار الى أن عطف الملك على العاطلين يعتبر مخالفا للدستور ، لانه يوجد هوة بين الملك والوزارة . . فوزراء الملك هم مستشاروه . واذا استمر الخلاف فستنشا أزمة دستورية خطيرة . ان الملك زار المنطقة لنفسه فقط وليقوم بتحقيق شخصى فحسب » .

وطلعت « التايمس » فى ٢٥ نوفمبر تحمل فى افتتاحيتها على الملك بشأن تعيين حاكم لاتحاد جنوب افريقيا ، ومع ان المقال تضمن ترحيبا وتأيدا للحاكم الجديد . . الا ان الصحيفة انتهزت الفرصة لتقول « ان العرش وممثليه يجب ان يبقوا على الدوام فوق الفضائح الشخصية وبعيدا عن سخرية الراى العام ولومه واستهزائه » .
ويفهم صاحب الجلالة . .

... يضيق بالمقال ، ولكنه لا ينطق بحرف والا فضح نفسه .

وترد الصحف الناطقة باسم الملك والمدافعة عنه والمؤيدة لقصة حبه . . والراغبة فى زواجه من حبيبة قلبه .

جريدة « الديلى ميرور » تنشر اسبوعيا بابا جديدا عنوانه - « مليكنا هذا الاسبوع » تقول انه تسجيل لآخبار الملك اسبوعيا .

وفى أول (باب) تكتب « الميرور » : « الحكومة لا تهتم بالمناطق المنكوبة بالبطالة . . الا ستين دقيقة ، فقد قطع

رئيس الوزراء عشاء واجتمع بالملك لبحث حالة الذين ليس لديهم عشاء على الإطلاق .

وفهم رئيس الوزراء .. ولكنه أيضا لا ينطق والا فضح المؤامرة الواسعة التي تحاك خيوطها ببراعة ضد الملك !

واذا كان اصحاب الصحف الكبرى قد فرضوا على انفسهم رقابة اختيارية فان الصحف الصغيرة لا تلتزم بذلك ..

... تكتب مجلة اسمها « الاسبوع » ان امريكا مليئة بالاشاعات التي تقول ان صاحب الجلالة سيتزوج « واليس » .. وهذه الاشاعات كلها غير صحيحة .

ويعرف الملك ما تعنيه « الاسبوع » ويبعث رسولا خاصا الى صاحبها يعرض عليه ان ينشر القصة كلها ويعد الملك تسليم « الاسبوع » كل الاسرار ، وكل الوثائق ..

ويقرر صاحب المجلة اصدار عدد حافل يوزع باليد اذا صادر البوليس النسخ الموجودة مع الباعة .. ولكن الملك في آخر لحظة يعدل عن قراره ويبعث للمجلة قائلا : « الموقف يتطور بسرعة .. والنشر غير مطلوب !

كان الملك مترددا بين النشر والصمت .. كان يتصل فجأة بمجلة يسارية ناجحة هي « النيو ستيتسمان » يطلب اليها الوقوف معه من الناحية الدستورية .. وفجأة يقرر ان النشر سيثير غضب الوزارة وبالتالي تبدأ الحملة الصحفية في بريطانيا ضد « واليس » ولذلك يعدل عن النشر .

واجتمع مجلس الوزراء يوم ٢٧ نوفمبر لبحث اقتراح

الملك بأن يتزوج مسز « سيمبسون » زواجا عرفيا مادام المجلس ووزراء الدومنيون يعارضون فى الزواج من سيدة مطلقة .

نشرت بعض الصحف ان المجلس سيبحث تطورات الموقف مع اسبانيا ، ولكن جريدة « المانشستر جارديان » اكدت فى اليوم التالى ان المجلس بحث مسائل داخلية لا خارجية .

ولم تنشر بالطبع ان المجلس رفض الموافقة على الزواج العرفي .
وتتفجر الازمة دفعة واحدة .

فجرها رجل لم يسمع فى حياته باسم « واليس » ولا يعرف شيئا عنها او عن غرامها بالملك .

ثارت مناقشات حامية بين الكنائس حول حفل تتويج الملك المقرر اقامته فى مايو ١٩٣٧ .
بعض رجال الدين يطالبون بتغيير الحفل وجعله مناسبة دينية خالصة .

وفى شمال انجلترا وقف الدكتور بلانت اسقف « بدفورد » يقول فى اجتماع كنسى يوم اول ديسمبر سنة ١٩٣٦ :

« ان التتويج معناه عودة الدولة للدين . . ونحن الآن اخرج للدين من اى وقت آخر .

ولا يوجد مسيحى مخلص يحس بالراحة وهو يرى مسلك بعض حكام اوربا وابتماعهم عن الدين .

والتتويج عملية دينية ومناسبة دينية ولا يوجد انسان يتلقى البركة فى هذه المناسبة . . الا اذا كان عامر

القلب بالدين .. والملك فى حاجة الى رعاية الله ورحمته
ليؤدى واجبه .

انى اطلب « البركة » للملك وارجو منكم ان تطلبوها
معى لصاحب الجلالة فسيحتاج اليها بشدة .
وآمل أن يكون الملك واعيا لحاجته للرحمة الالهية
وللعطف الالهى .. وان كنا نتمنى لو أنه اظهر بعض
ما يدل على وعيه وارادته !!!

ولم يكن الاسقف قد سمع باسم مسز « سيمبسون »
او عرف شيئا عن علاقتها بالملك ، بل كان يقصد - كما
عرف فيما بعد - ان الملك لا يهتم بشئون الكنيسة .
ولا يذهب اليها بانتظام كما اعتاد آباؤه واجداده !
نشر خطاب الاسقف فى صحف انجلترا .

ولم تعلق صحف لندن على ما جاء فيه ، ولكن
« التايمس » كتبت افتتاحية طويلة ، تكلمت فيها عن
الاستقبال الرائع الذى لقيه ولى العهد « دوق يورك » -
الذى ولى العرش بعد ذلك تحت اسم جورج السادس -
عند زيارته لاسكوتلندا !

واتصل اللورد « بيفر بروك » بالملك وقال له ان
الصحف الاقليمية ، التى تقودها « اليوركشير بوست »
- التى تنطق بوحى رئيس الوزراء - تنتهز فرصة نشر
اقوال الاسقف فى صحف الصباح لتنشر انباء رغبة الملك
فى الزواج واصطدامه بالحكومة لهذا السبب .

ولم يستطع الملك ان يفعل شيئا ..
كان خطاب الاسقف بمثابة عود الكبريت الذى القى
فوق برميل البارود المشحون .

استمع آرثرمان رئيس تحرير جريدة « يوركشاير بوست » الى الخطاب وظن ان الحكومة اختارت الدكتور « بلانت » لاثارة الازمة وارغام الملك ، بهذه الطريقة ، على التنازل عن العرش .

كلف رئيس التحرير - فى اليوم التالى - احد محرريه واسمه « شارلس تيلور » ليكتب مقالا عنوانه « الملك والشعب » .. جاء فيه :

« لابد ان للأسقف سببا قويا جعله يدلى بهذه الملاحظة حول الملك .. ان كثيرين يعرفون ان اشاعات كثيرة نشرت فى أمريكا عن الملك . نشرت هذه الاشاعات ، فى اول الامر ، صحف الاثارة ثم كتبتها صحف اخرى لها شأنها ، مما يدل على ان هناك اساسا صحيحا لما نشر .

هناك فرصة امام الملك ليظهر ادراكه للمسئولية الخطيرة التى حملها بعد ابيه .

يوم الخميس ٣ ديسمبر تفجرت حملة الدعاية عن غرام الملك فى انجلترا كلها .. لاول مرة .. صدرت الطبعتان الاولى والثانية من « الديلى ميور » .. دون ان يذكر فيها اسم « سيمبسون » ثم جاء « هارى جى بارثليميو » رئيس التحرير الى مقر الجريدة مرثديا « البيجاما » ليتخذ قرارا خطيرا .. وهو نشر صورة صديقة الملك فى الطبعة الثالثة .. وكانت « الميور » اول صحيفة تقرر المضى فى النشر بغير تلميح وانما بكل جراءة ..

وقالت « النيوز كرونكل » من حق الملك أن يتزوج .
ولكن البرلمان هو الذى يختار الملكة ، وليس امام الملك
اذا اختار زوجة لا يرضى عنها الراى العام . . الا ان
يتزوجها بصفته دوقا ، ولن يكون ولدها فى هذه الحالة
وليا للعهد .

ونشرت « الايفنج ستاندارد » ان القانون الانجليزى
لا يعرف الزواج العرفى . . وأضافت الصحيفة : « ان
صاحب الجلالة هو الذى يعلم اذا كان فى استطاعته أن
يقف فى وجه بولدوين ووزراء التاج اعتمادا على تأييد
الراى العام له » .

وقالت جريدة « ستار » : « يمكن التغلب على كل
معارضة تقف فى طريق الزواج » .

ونشر « هارولد لاسكى » مقالا فى « الديلى هيرالد »
تحت عنوان « التاج والوزارة » . . عرف فيه الملكية
الدستورية فى انجلترا ، ونادى صراحة بأن الوزارة هى
التي توجه الملك . وينبغى عليه أن يقبل نصيحته . . لانها
مسئولة عن كل ما يفعله . . واذا عارض الملك الوزارة فاما
ان يعتزل العرش أو يصبح دكتاتورا .

واقترحت « الصانداى اكسپريس » تغيير الوزارة
لاصدار تشريع بالزواج العرفى ، ونادت « الصنداى
ديسباتش » بأن العصابة القديمة من السياسيين خشيت
وجود ملك قوى يسانده الشعب . . وسيعيش الحياة
التي يحبها .

وهكذا انقسمت الصحف بين مؤيدة ومعارضة فى
بحوث هادئة . . الا « التايمز » فانها استمرت تهاجم

الملك من البداية ولم تعدل عن رأيها كما فعلت بعض الصحف الأخرى .

اتصل الملك برئيس الوزراء ، وقال له انه علم بأن « التايمس » سوف تنشر مقالا عنيفا تهاجم فيه مسز « سيمبسون » .. وأمره بمنع النشر .

اجابه « بولدوين » بأن الصحافة حرة ، وليس لدى رئيس الوزراء سلطة أو رقابة على « التايمس » أو أية صحيفة أخرى ..

واتصل الملك برئيس الوزراء مرة أخرى وطلب اليه ان يطالع هو - أى بولدوين - مقال « التايمس » عنه ، للصدقة التي تجمع رئيس التحرير برئيس الوزراء . ولكن بولدوين نام بعد ان تأخر وصول المقال اليه .. وعندما أتى به الرسول الى منزله لم يستطع أحد ايقاظه . كتب « دوسون » بعنوان : « الملك والملكية » .. مشيرا الى شائعات الصحف الامريكية وقال في جراحة : « ان الزواج غير متكافئ مع العرش ، وان النظام الملكي أبقي من شخص الملك فقد حان الاوان ليذيع الملك بيانا .. والا تحطمت الملكية » .

وعارض الزواج ، ونادى : « العرش أو المرأة » . وكانت هذه أول دعوة من نوعها يوجهها صحفي في إنجلترا .. الى ملك إنجلترا .

وفي اليوم التالي قال « دوسون » ان مجلس العموم يؤيد الوزارة .

وكتب في افتتاحية « التايمس » تحت عنوان « الملك والامبراطورية » : « ان الحكومة اضطرت للتدخل

بسبب الفضيحة التي انتشرت في الخارج عن علاقة الملك بصديقه .

ودافعت « الديلي ميرور » عن الملك ، وكتبت تقول :
« ان ٢٥ مليوناً يريدون أن يعرفوا شروط الملك » ، وقالت :
« ان الصحف الأمريكية سمعت الرأي العام العالمي
ضد الملك ، واتهمت الحكومة بأنها التي وضعت صاحب
الجلالة في هذا الموقف الحرج . »

ودافع « بيفربروك » و « هارمثورث » و « برنارد
شو » عن « أدوارد الثامن » دون جدوى فان « التايمس »
عارضت بقوة الزواج العسرفي ، وقالت : « سيعدل
الدستور ليبيح للملك الزواج من امرأة لا تستحق أن
تكون ملكة . »

بدأت الأسهم تهبط في بورصة إنجلترا ..
وانخفضت مبيعات المحلات التجارية .. وكانت ،
دواما ، تسجل رقما مرتفعا قبل أعياد الميلاد .
وأصبحت الصحف لا تتكلم إلا عن غرام الملك
وزواجه .

وكانت عناوينها الرئيسية قبل ذلك عن الحرب الأهلية
الاسبانية واعادة التسليح وعصبة الأمم وحرب الحبشة .
وفي أمريكا قالت الصحف أن إنجلترا شغلت بفزو
الملك لقلب « واليس » بينما انصار « هتلر » يفزون
اسبانيا !

وجد بولدوين في خطاب الاسقف هبة من السماء .
استدعى الملك رئيس وزرائه ليطالب منه حفظ الفضيحة
في أضيق نطاق ..

تم الموعد بطريقة سرية عن طريق عامل لاسلكى القصر
وسكرتير رئيس الوزراء بدلا من الرسميات والاجراءات
المعتادة .

سأل الملك رئيس وزرائه عن رأى حكومات الدومنيون
فى فكرة الزواج العرفى .
فأجاب رئيس الوزراء :

— لا أحد يقر فكرة هذا الزواج ولا حل الا ان تترك
فكرة الزواج او تعتزل العرش .
ورد الملك :

— لم استبعد هذا الرد .

قال رئيس الوزراء :

— انك تخيب أمل الناس فيك .

قال الملك :

— ان « واثيس » أجمل امرأة فى العالم .

قال رئيس الوزراء :

— أرجو أن تراسا كذلك دائما يا صاحب الجلالة ! ..

ومهما حدث أتمنى لك السعادة .

روى « بولدوين » بعد ذلك ما حدث فى اجتماعه
بالمملك . قال :

— أحسست بأن هذه السيدة تسيطر على الملك الذى

ظل صاحب الجلالة يردد بمناسبة .. وبدون مناسبة ..

.. انها أجمل امرأة فى العالم !

ولم يقل بولدوين انه كان يصارع مسز « سيمبسون »

لا الملك .. وأن الصراع بينه وبينها كان يدور حول أيهما
سيطر على الملك ؟

قرر الملك أن يعتزل العرش في هدوء ليتزوج « واليس » .

ولكن أصدقاءه نصحوه بأن يقاتل ويحارب ... قالوا له : خاطب الشعب انه يحبك .

قرر الملك ان يذيع حديثا في الراديو يروي فيه القصة من الالف للياء .. وان يكون عذا الحديث بمثابة استفتاء على « واليس » .

أوفد ادوارد الثامن أحد مستشاريه الى « ريث » مدير الاذاعة ليقول له ان الملك يريد اذاعة حديث للشعب .

وكان مدير الاذاعة متدينا أكثر من بولدوين ، لا يذيع اغاني أو موسيقى راقصة يوم الاحد .. وكل الاحاديث في ذلك اليوم دينية .. وهدد يوما أحد موظفيه بالفصل اذا جاء اسمه في قضية طلاق .

.. وكان رد مدير الاذاعة على الملك هو :

— لا مانع من اذاعة الحديث بشرط موافقة « بولدوين » .. !!

عرض الملك فكرة الحديث الاذاعي على « بولدوين » فقال له :

— ان الملك لا يخاطب الشعب الا من طريق وزرائه .. ويجب أن أعرض الامر على مجلس الوزراء .

.. اجتمع مجلس الوزراء ليقرر بالاجماع منع الملك من الحديث في الراديو .. وأبلغ بولدوين القرار .. للملك .. فكاد يجن بينما قال له رئيس الوزراء :

— أريد أن ترحل في وقار بدلا من ان تترك الناس وراءك منقسمين !

كتب ادوارد الثامن فى مذكراته بعد ذلك يقول « وقف الناس حول القصر يحملون لافتات تنادى بسقوط الاساقفة وتقول : حفظ الله الملك من مستر بولدوين ..

فكرت فى ان اخرج للشفرة وأخطب فى الجموع القليلة التى تقف أمامى .. وكدت أخرج فعلا الى الشرفة لولا ان « واليس » أقنعتنى بالعدول !!

وكان تشرشل قد أعد الحديث الذى سيلقيه الملك فى الاذاعة وكلماته تقول :

وجدت المرأة التى احبها واريد أن أتزوجها .. وهى لا تطلب أن تكون ملكة .. انها تكتفى بأى لقب مناسب !

واجتمع مجلس العموم لبحث اقتراح عضو فى حزب العمال ، وهو نائب سبق له الطسلاف بتجديد الولاء للملك . ويطالب بعدم تهديد الملك أو استبداله بآخر الا بعد الرجوع للمجلس .

رفض بولدوين .. ووقف اللورد « اتلى » زعيم المعارضة يسأل رئيس الوزراء :

— هل هناك مشاكل دستورية تواجه الحكومة ؟
ويجيب بولدوين :

— ليس عندى أى بيان أقوله الآن .. لا توجد مشكلة فى الوقت الحاضر .. لا أستطيع ان أجيب .. سأتكلم فيما بعد .

ويقف تشرشل ليقول :

— هل يستطيع رئيس الوزراء أن يعطينى تأكيداً بأنه لن يتخذ اجراء لا يمكن العدول عنه الا بعد عرض الامر على المجلس .

وترتفع الاصوات من كل مكان تهاجم تشرشل :
- أقعد .. اجلس .. انزل .. لا تتكلم .
ويجلس تشرشل صامتا على مضض !
بينما يتوجه بولدوين لدوق يورك شقيق الملك ليقول
له :

- كن مستعدا لتجلس على العرش اذا تنازل صاحب
الجلالة .. اخوك !
ويشهد تشرشل اجتماعا عاما مساء نفس اليوم يقول
فيه :

- سننشد الليلة « حفظ الله الملك » .. وسأتشده
معكم بقوة اكبر !
وتكتب الصحف المؤيدة للملك بأن امبراطور النمسا -
فرائسيس جوزيف سيتزوج عرقيسا من السيدة
« شران » .

وترد « التايمس » ان ملوك اوربا يتزوجون عرفيا لانهم
ملزمون بالزواج من امر معينة .. ولا يوجد هذا الالتزام
هنا .

وجه اتلى زعيم المعارضة سنؤالا لرئيس الوزراء عما
نشرته الصحف عن الزواج العرفي فيقول بولدوين :

- ان السيدة التي يتزوجها الملك تصبح بمقتضى هذا
الزواج ملكة تتمتع بكل الحقوق والامتيازات التي يخولها
لها مركزها .. ولنمنع ذلك لابد من قانون يقر هذه الحالة
الخاصة اى الزواج العرفي - ولست مستعدا .. لا انا
ولا رؤساء وزارات الدومنيون ولا المعارضة ان نقدم
للمجلس قانونا يسمح للملك بالزواج العرفي .

وتكتب أكبر محررة نسائية وهي الين ويلكنسون -
وقد تولت الوزارة فيما بعد - مقالا في جريدة « الديلي
هيرالد » العمالية تقول فيه ان الزواج العرفي معناه ان
تحمل هذه المرأة في وحدتها شعورا واحساسا بأنها
لا تصلح ملكة !!

وتقول الصحفية ان الزواج العرفي ضد كرامة المرأة
وضد الاشتراكية .

ويجتمع أصدقاء الملك « بواليس » .
قالوا لها :

- ارحلى .. مسافري مؤقتا .. هذا هو الحل
الوحيد .

وتسافر مع أحد مستشاري الملك الى فرنسا تحت
اسم مستعار .. ولكن الناس يكتشفون شخصيتها ..
وفي إحدى مدن فرنسا يقول رجل فرنسي :
- الست .. هيه !!

وتتوقف « واليس » في كل مدينة لتتصل بالملك
تليفونيا .. تنصحه بالصبر وتهمس بأنها تحبه .

ويسمع الجرسونات ويذيعون ما سمعوه .. او
بعبارة أخرى يبيعون ما يتخيلون ان الملك قد قاله ..
وتنشر الصحف وتبالغ ..

وفي غيابها ينهار الملك تماما . ويفقد قدرته على
المقاومة . ويجتمع الصحفي اللورد بيفر بروك بتشرشل
ويقول له :

- « الديك » لا يريد ان يحارب !

ويطلب الملك من « بولدوين » اصدار قانون خاص بأن

طلاق « واليس » أصبح نهائيا دون انتظار فترة الستة شهور التى ينص عليها القانون .. وذلك مع قانون آخر باعتزال الملك العرش برضاه وموافقته .

ويقول الملك انى بمجرد اعتزالى العرش سأصبح واحدا من الاسرة المالكة تسرى على قوانينها التى تقول بأن زواجى يجب أن يوافق عليه الملك .. ولا أريد الزام أخى بشيء .. وأخشى أن يتدخل أحد فيوقف سريان حكم الطلاق خلال الشهور الستة .

ويجمع بولدوين مجلس الوزراء ويقرر الجميع رفض إصدار القانون المطلوب .
ويصدم الملك .

من كان أبرقت مسز « سيمبسون » تقول انها على استعداد للرحيل والانسحاب من هذا الموقف المؤلم وأصدرت بيانا نشرته جميع الصحف هذا نصه .

« حاولت خلال الاسابيع الماضية بكل ما أوتيت من قوة ، أن أبتعد عن كل شيء من شأنه أن يمس جلالة الملك ، أن يمس عرشه بأذى .. أنى لا أزال كما انا لم يغير الموقف الجديد شيئا من احاسيسى نحو الملك والعرش ، انى على استعداد لان أقوم بأى عمل لحل هذه الازمة ولهذا فانى أعلن انسحابى من هذا الموقف الذى لم يؤد الا التعاسة والازمة » .

وتلقت صحف الملك هذه البرقية واعتبرتها حلا . ونشرت ذلك بعناوين رئيسية توحى بأن كل شيء قد انتهى وطلبت اعطاء صاحب الجلالة فرصة .

وهللت جريدة « الديلى - اكسبريس » التى يملكها اللورد بيغر بروك لبيان « واليس » فكتبت عنوانا عريضا يقول :

« نهاية الازمة » .

ولكن « جوفرى دوسون » كتب مقالا ينضح سخرية يعلن فيه ان الموقف لم يتغير .. وان الحل يأتى من قلعة « بلفدير » حيث يقيم الملك ، لا من « كان » حيث تقيم صديقتة !

واستمرت الحملة اسبوعا واحدا ، ظهر الملك من خلال سطور التايمس واعمدتها كرجل عايب مستهتر ، سيؤدى وجوده الى تفكك عرى الامبراطورية .. مما اضطر الملك الى اعتزال العرش . لان رئيس الوزراء وجد صحفيا - هو صديقه وزميله فى النادي - يقف وراءه ضد رغبة الملك فى الزواج من المرأة التى يحبها . وصف ادوارد الثامن شعوره وهو يطالع التايمس فى هذه الايام السبعة فقال :

« حملت جريدة التايمس على شخصى فى لهجة تختلف كل الاختلاف عن ذلك الاسلوب المهذب الذى كانت تسلكه كلما تحدثت عن الملك الشاب ، بل تناست كل المديح الذى كالتة لى » .

وقال :

« تحولت الصحافة المعتدلة فى يوم واحد الى صحف مندفعه تردد فى قسوة ما يوجهه رئيس الوزراء من الاتهامات الى الملك » . واعترف « دوسون » فى مذكراته - وقد نشرت فى

كتاب وضعه صديقه « جون ايفلين رينش » .. « انه في تلك الفترة اجتمع برئيس الوزراء اكثر مما اجتمع به اى صحفى آخر .. وان صحف انجلترا جميعها كانت في انتظار اعلان اتجاه التايمس لتتبعها » ..

ووجد ستانلى بولدوين رئيس الوزراء ان البيان الذى اصدرته « واليس » من « كان » واعلنت فيه استعدادها للانسحاب .. هذا البيان لا يغير من حقيقة الموقف شيئا وان ادوارد الثامن يجب ان يعتزل لان انسحاب « واليس » وحدها لا يكفى . لقد هدمت سمعة الملك وانهارت كرامته واصبح من المحتم عليه ان يرحل .. الى الابد ..

بدأ أنصار « بولدوين » يتخذون خطوات سريعة وخاسمة ..

اجتمع جوفرى دوسون رئيس تحرير جريدة «التايمس» بأرنست سيمبسون « الزوج السابق للسيدة واليس » . وبدأ مجلس العموم يبحث تعديل قانون الطلاق للنص على أنه يجوز الحكم بالطلاق اذا ارتكب أحد الزوجين خيانة مستمرة .. اما الخيانة لليلة واحدة فلا تعتبر مبررا كافيا للطلاق !!

وفي نفس الوقت تقدم كاتب محام اسمه « فرانسيس ستيفنسون » الى القضاء ببلاغ قال فيه انه يعارض ويعترض على الحكم بالطلاق الذى صدر لصالح السيدة « واليس » . ومعروف ان حكم الطلاق لا يسرى الا بعد ستة شهور .. اذا لم يتقدم معترض قانونى خلال تلك الفترة .. وها هو ذا معترض قد تقدم .

وانهارت أعصاب الملك وهو يسمع نبأ البلاغ بعد ان عرف ان الكاتب يعمل فى مكتب محام اعتاد « بولدوين » أن يعهد اليه ببعض شئونه القانونية الخاصة .

وأدرك ادوارد الثامن ان « واليس » لن تصبح فى يوم من الايام زوجته سواء ترك العرش او ظل جالسا عليه .

واستمر بولدوين يضرب فى كل اتجاه ..

أوعز الى محامى « واليس » بالسفر الى « كان » لاستشارتها فى بلاغ الانسحاب .. وكلف بولدوين المحامى بأن يعرف هل « واليس » تزعم الانسحاب حقيقة ام انها مناورة جديدة .

أعد رئيس الوزراء طائرة خاصة يستقلها المحامى فى رحلته الى « كان » .

ولما كان المحامى مريضا ويخشى على قلبه فقد أوفد رئيس الوزراء معه طبيبا خاصا لعلاجيه اذا استدعى الامر .. وكان الطبيب متخصصا فى « أمراض النساء والولادة » .. ولم يعرف حتى الآن ما اذا كان اختيار هذا الطبيب تم مصادفة ام ان « بولدوين » تعمد هذا الاختيار لاثارة ضجة جديدة وفضيحة، جديدة لصديقة الملك ! ..

... وبالفعل قامت ضجة لم تخطر للملك على بال .

وصل الطبيب الى « كان » . وعرف الصحفيون ان القادم طبيب بريطانى لأمراض النساء والولادة .. وجنح الخيال بعض الصحفيين فقالوا ان مرافق الطبيب - أى كاتب المحامى - لابد انه طبيب تخدير .. ومعنى ذلك

ان الاثنين قادمان لاجراء جراحة عاجلة للسيدة
« واليس » .

باختصار .. كانت تلميحات الصحفيين قاسية وعنيفة
ومؤلة حطمت ما بقى من أعصاب الملك وهو يقرأ انه رأى
ان يتخلص من « ثمرة » الغرام !!

اتصل ادوارد الثامن « بواليس » ليقول لها انه مصمم
على التنازل على العرش وان الاجراءات مستمرة .

وترك الملك سماعة التليفون لمحاميه الخاص ليؤكد
« لواليس » النبأ ويطلب اليها انتظار صاحب الجلالة ..

ورغم هذا كله قصد « بولدوين » الى القصر ليقابل
الملك ويقول له :

— ان الوزراء يرجون ان تعدل عن الزواج وكذلك
التنازل عن العرش .

وفهم الملك ان وزراء انجلترا عازمون على التمسك
حتى النهاية بالتقاليد الشكلية وانهم لا يعارضون بقاء
« واليس » صديقة وعشيقة .. فحسب .

وجد « بولدوين » انه لم تبق في الملك بادرة واحدة
تدل على روح القتال .. كان يدخن بافراط سجائر
او « غليوننا » ويضع راسه بين ذراعيه . وينشر المنديل
أمامه ليحفف به العرق الفزير المتساقط في شهور
ديسمبر أو في عز البرد !!

نشأت بعد ذلك مشكلة وراثية العرش .

اقترح البعض ان تجلس الام على العرش بدلا من ابنها
العاشق واقترح آخرون مجلس وصاية برئاسة الملكة الام
حتى تبلغ « اليزابيث » الملكة الحالية سن الرشد ..

واتفق فى النهاية على ان يحكم انجلترا « دوق يورك »
شقيق الملك الذى اسرع الى امه يبكى كالاطفال قائلا :
- اخى مصمم على التنازل لى ..

عرف ان الملك سيتنازل على العرش فأخذت صحافة
امريكا تهاجم انجلترا وتعتبر ما جرى اهانة لمواطنة
امريكية وهى « واليس سيمبسون » .. بينما اصبح
الامر سخرية فى انجلترا .. فقد شكت احدى الزوجات
من ان زوجها اعتدى بالضرب وامام ضابط الشرطة تعهد
الزوج ألا يتحدث مع زوجته عن « واليس سيمبسون »
باعتبار ان المناقشة حول الموضوع هى سبب « العلة » !
وفى صباح الخميس ١٠ ديسمبر ١٩٣٦ اجتمع
مجلس العموم البريطانى لسماع وثيقة اعتزال الملك عن
العرش .

بدات الجلسة بالطريقة الانجليزية المعتادة وبالبرود
الانجليزى التقليدى .

اجاب الوزراء على خمسين سؤالا برلمانيا فى مسائل
تافهة لم يستمع اليها احد ... قبل ان يبحثوا مشكلة
الجالس على العرش والذى يريد اعتزال العرش .

ثم وقف ستانلى بولدوين بعد ذلك ليقول ان عنده
رسالة بخط صاحب الجلالة سلمها لرئيس المجلس ،
يعلن ادوارد الثامن انه لا يستطيع ان يقوم بواجبه ولذلك
اعتزل العرش ليتولاه اخوه بدلا منه . وقد وقع على
وثيقة التنازل اشقاء الملك الثلاثة ..

وروى رئيس الوزراء للمجلس قصة مقابلاته للملك
والاحاديث التى دارت بينهما وأخذ ستانلى بولدين يؤكد
انه يحب صاحب الجلالة المستقيل .

وتكلم اتلى رئيس حزب العمال وسينكلير رئيس حزب
الاجرار قايدا رئيس الوزراء .
وارتفع صوتان فقط فى مجلس العموم دفعا عن
ادوارد الثامن .

وقال أحد الاعضاء :

— هذا عيب .

وكان أول قرار للملك الجديد هو منح لقب دوق
وندسور .. للملك السابق .

وكان ادوارد الثامن قد طلب ان يعطى لقب الاخ الاكبر
للملك .. ولكن رفض طلبه .. كما رفض الملك الجديد
منح أى لقب للسيدة واليس .

وطلب دوق وندسور ان يذيع حديثا بالراديو على
الشعب البريطانى بمناسبة اعتزاله العرش فوافق رئيس
الوزراء وأصر — طبعاً — على ان يعرف نص الحديث .

وقد رأى ان يقدم الدوق للشعب مدير الاذاعة
البريطانية « ريث » .. الذى قدم الدوق للناس ثم أراد
ان يفادر الحجرة فاصطدم بمنضدة .. وعلمت بعض
الصحف على ذلك فى اليوم التالى فقالت ان « ريث »
.. أغلق الباب وراءه باحتقاره حتى لا يستمع الى صوت
الملك الذى أهمل واجباته ورسالته ..

وكان اهم ما جاء فى خطاب الدوق انه رأى استحالة
قيامه بواجبه دون ان تكون بجواره المرأة التى
يحبها ..

والحقيقة ان الملك — بخطابه — استطاع ان يسترد
كثيراً من عطف الناس ..

توقفت دور السينما والمسارح اثناء اذاعة الحديث
ليتابع الناس خطاب الملك ..

وفي بعض الدور تلا مديرو السينما والمسارح على
الناس ملخصا للخطاب .

وفي نيويورك قالت اكبر شركة للتليفون انه لم ترفع
سماعة التليفون فان الناس شغلوا بسماع الخطاب عن
اى شىء آخر .

وفي مدينة « كان » جلست واليس تستمع لنهاية ملك
وحولها كل خدم القصر ..

وكان اللورد « بيفر بروك » (يشد) شعره لان الملك
شكر في خطاب الوداع سستانلى بولدوين واشاد
بجهوده !

اما جوفرى دوسون فقد اعلن ان خطاب الملك كان
مؤثرا ولكنه كتب في اليوم التالى يقول :
« انتهت الايام السوداء » .

وجاء مقال « دوسون » ليعلن :
نحن تؤيد رئيس الوزراء لانه بقى فى منصبه يتحمل
ضفطا قويا خلال الشهرين الماضيين .

ان دوق يورك - الملك الجديد - سيترك حياته المنزلية
الهادئة ليتحمل قسوة الموقف الطارىء وهو ان يلي
العرش بدلا من أخيه الحى ، ولكن الامبراطورية كلها
تدعو له .

وهكذا انتقلت الصحيفة الامة من الانقسام بعد رحيل
الملك ، لانها جذبت عواطف الجمهور نحو الملك الجديد ..
المسكين !! لا الملك الضليل ، الشريد .. الطريد .

ولكن هل كان الشعب الانجليزى يعرف « دوسون »
ويعلم انه الرجل الذى عزل ملكا عن عرشه .

وهل كان هذا الصحفي يكتب ليجد من الجماهير
تشجيعا واشادة بجهده كما يفعل الصحفيون فى كل مكان
وفى كل زمان ..

يقول « دوسون » انه لم يوقع بامضائه خلال ربع قرن
من عمله كرئيس لتحرير « التايمس » اى مقال بامضائه .
ولم يقل يوما كلمة « انا » اتباعا لسياسة الصحيفة
وايمانا بمبدئها فى ان الكاتب المجهول كسب للشعب الذى
يحصل على مناقشة حرة بعيدا عن الانانية التى يمكن
فصلها عما يكتبه كاتب يذكر اسمه ..

ولذلك كانت نصيحة « دوسون » لكل صحفى هى ..
« لا تهلك الشهرة ولا يعينك ان تكون معروفا ، او
مجهولا . ولا تطالب بأن يعترف الناس بما حققت .. وانما
المهم ان تحاول أداء الواجب وان تفعل الحق .. وهذا
وحده ينبغى ان يكون العامل المؤثر فى حياتك » .

غادر الملك دوق اندسور بلاده على ظهر اليخت « فيورى »
— ومعناه الغضب — الى الابد ولم يعد مع واليس الى
بريطانيا الا بعد وفاته ويومها — فقط — التقت الاسرة
المالكة بزوجة الملك السابق .

ومرت السنوات وتكررت قصة الغرام فى قصر
باكنجهام .

اما البطلة فى هذه المرة فهى الاميرة مرجريت ابنة الملك
الذى جلس على العرش بدلا من اخيه دوق وندسور .
وهى فى نفس الوقت شقيقة اليزابيث الثانية ملكة
بريطانيا .

كانت اول صحيفة فى انجلترا نشرت قصة غرام الاميرة « البيول » الاسبوعية .

قالت ان الكابتن الطيار بيتر تاونسند يعمل فى القصر وقد تزوج وطلق ، وله طفلان أعطيت له حضانتها . وكتبت « البيول » تقول :

« حان الاوان ليعرف الراى العام حقيقة الاشاعات التى تروىها صحف أوربا وامريكا عن غرام الاميرة بالطيار وانها تريد ان تتزوجه . ان هذه القصة كاذبة ولم يفكر احد فى هذا الزواج أو يسعى اليه ، وهو مستحيل .. وطالبت الجريدة باصدار بيان رسمى ينفى النبأ . وكانت البيول تكذب ان الاميرة احبت الطيار وتحبه . وكان يمكن ان ينتهى الامر ببيان صغير من قصر باكنجهام الملكى يعلن ان النبأ كاذب .

ولكن صحيفة « الديلى ميرور » وجدت ان الامر لا يحتمل السكوت وانه يجب ان يعترف الناس كل ما يجرى ، حتى نبض القلوب وخفقاتها ، ولذلك أسرعت الصحيفة لتنشر أقرب وأجرا استفتاء من نوعه . قالت تحت عناوين كبيرة :

« ... مطلوب رأيك ... »

.. الكابتن بيتر تاونسند ٣٨ سنة يحب الاميرة مرجريت ٢٢ سنة . ويريد الزواج منها فهل توافق على هذا الزواج ؟ » .

تلقت الصحيفة بعد اربعة ايام ٧٠ الف خطاب من القراء منهم ٦٧٩٠٧ أيدوا الزواج وعارضه ٢٢٣٥ . ولكن صحافة انجلترا هبت صارخة تحتج على هذا الاستفتاء ..

وكتب بعض رجال الدين يقولون .. : « اننا نحتاج على التدخل في شئون الاسرة المالكة » .

فقد اخرجت « آلدلي ميور » رجال الدين الذين لا يوافقون على زواج رجل مطلق .

وفتحت الجريدة بهذا العمل الباب على مصراعيه امام الاخبار المضللة .

واجتمع مجلس الصحافة البريطاني يوم ٢١ يوليو ١٩٥٣ ليناقدش الامر ويبحث هذا الاستفتاء باعتبار انه ضد تقاليد الصحافة البريطانية .

انتقد المجلس تصرف « الميور » .

والجدير بالذكر ان رئيس المجلس اللورد « استور » المسئول عن جريدة « التيمس » انذر - في صحيفته الاميرة بعد عامين من اجتماع المجلس بأن تترك الطيار او تترك مكانها في القصر باعتبارها الوريثة الثالثة للعرش .

والجدير بالذكر ايضا ان رئيس تحرير جريدة « اليوركشير بوست » وهو عضو في المجلس ايضا وجه نفس الانذار للأميرة بعد ٢٤ شهرا .

اما العضو الثالث في مجلس الصحافة فكان يجب ان يكون المتهم لا القاضي لانه رئيس تحرير جريدة « البيبول » وهي اول جريدة نشرت نبأ غرام مرجريت .

... وظل حب الاميرة حديث الناس فترة ثم مل الناس الكلام عنه وقاطعت الصحف اخباره لان الاميرة بقيت خلال هذه الفترة مترددة .. تحزم أمرها يوما على الزواج ممن تحب .. وتراجع ، يوما آخر ، تحت ضغط شقيقتها الملكة وزوجها ورجال الكنيسة .

ومضى عامان ارتفع خلالهما ترمومتر الحب .. وهبط
حتى جاء وقت أصبح فيه محتما على الاميرة ان تختار
بين قلبها وواجبها .. بين حبيبها ووراثة العرش حتى
عادت من رحلتها فى البحر الكاريبي .

والتزمت الصحف البريطانية جميعها الصمت حتى
بدأت جريدة « الصانداى بيكتوريل » احدى صحف
مجموعة « الديلى ميرور » الجولة الثانية .

أعطت اشارة المرور الخضراء للصحف الاخرى عندما
كتبت يوم ٦ مارس عام ١٩٥٥ تقول : « على الاميرة ان
تختار » .

وطلبت « الميرور » من مراسلها فى بروكسيل ان
يتحدث الى الكابتن « بيتر تاونسند » عن رأيه وموقفه .
قال الطيار للصحفى : « لا أريد أن أتكلم .. ان
شخصا واحدا هو الذى يستطيع أن يتكلم الان .. هو
وحده صاحب الكلمة .. وهى الكلمة الاخيرة » .. ويعنى
بذلك الاميرة .

وللمرة الثانية فى قصة هذا الفرام ، عادت الصحف
البريطانية تحمل على « الميرور » فقالت صحيفة الكنائس
البريطانية « ان كل ما نشرته « الميرور » لا يدل على ان
الاميرة تريد هذا الزواج .. ان كل ما قيل مجرد
أحداس وتخمينات .

ولم تجر مناقشات بشأن هذا الزواج مع الكنيسة
ونحن نرى بعد رحلة الاميرة الموفقة ان ما نشر لا يتفق
مع الكرامة فى شىء » .

ردت « الميرور » فقالت لا يوجد سبب فى الارض -

أو حتى في السماء - يمنع الاميرة من ان تكون الوريثة
الثالثة للعرش اذا تزوجت .

ولكن الصحف ظلت تحمل على « الميرور » وتهاجمها
وتنتقد كتاباتها .. واقتصر دفاع « الميرور » بأنفسها
لا تحيز لزواج الاميرة من « تاونسند » ولا تعارض هذا
الزواج . وانما كل موقف الجريدة يتلخص في انها
تري ان الاميرة وحدها التي تختار وأن الحب الحقيقي
هو الذي يجب أن ينتصر دون تدخل أحد .

وعلى هدى هذا الاتجاه قالت الجريدة تحت عنوان
ضخم « تحركى يا مرجريت .. استقرى .. اتخذى
قرارا لقد أصبحت فى الخامسة والعشرين » .

ووقفت باقى الصحف ضد الميرور وضد الحب فقالت
« الديلي اسكتش » « القصة كلها من ألفها الى يائها
كذب » ! ..

وقالت « النيوز كرونكل » جريدة حزب الاحرار :
« انحدرت الميرور الى أعماق بعيدة فى سوق الاخلاق على
حساب فتاة لا تستطيع - بسبب مركزها - أن تدافع
عن نفسها حتى لو أرادت ذلك » .

أما جريدة « اليوركشير بوست » فكتبت : « وافقت
الملكة الأم على لقاء بين الاميرة والعاشق » .

وصدر بعد ذلك بيان رسمى يقول ان ما جرى هو من
شئون الاميرة الخاصة .

والغريب فى الامر انه بعد ذلك بشهور ، وعلى وجه
التحديد فى شهر اكتوبر ، اتخذت الصحف المعارضة
« للميرور » موقفا يشبه موقف « الميرور » نفسه فقالت

اليوركشير بوست « ان مسألة ولاية العرش بحثت وهي مسألة تهم الناس جميعا والاثنان المعنيان بالامر - الاميرة والطيار - يواجهان مشكلة خطيرة ويجب ان يدركا مسئوليتها امام الامة .. وان الخطوبة قد تتم بعد فترة » .

وكتبت « الديلى تلجراف » : يلتقى الطيار والاميرة ستة ايام كل اسبوع . ومعنى ذلك ان الاتفاق تم بشأن عقد الخطبة .. والتكهنات كثيرة وعلى أية حال فلا ينبغي التعليق على الشئون الخاصة بالاسرة المالكة » .

وبدأت الصحف تلح فى ضرورة اصدار بيان رسمى .. واعلان امر الغرام الملكى بصورة رسمية فقالت صحف اللورد « بيغبروك » : لا يهم من الذى يقرر نهاية هذا الغرام ولكننا وصلنا فى قصة الحب هذه الى مرحلة ستصبح بعدها أضحوكة العالم كله .

وهكذا .. بعد عامين رددت الصحف كلمات « الميرور » فكتبت مجلة « الايكونومست » الوقورة : « ان الاميرة فى آخر لحظات رحلتها العاطفية .. وفى هذه اللحظات ينبغي ان تقرر موقفها بصفة نهائية فاذا ارادت ان تتزوج الطيار المطلق فالضمير الديمقراطى يحتم عليها ان تفعل ذلك .. ولكن الامر سيكون مؤسفا ومؤلما » .

وانتهى الغرام الملكى ببيان ملكى من القصر يوم ٣١ اكتوبر يعلن ان الاميرة اختارت واجبها وداست قلبها ومشيت فى موكب ورائة العرش بدلا من ان تمضى فى موكب الغرام .

وكان واضحا ان الاميرة تعرضت لضغط هائل وانها

ظلت تقاوم التيارات الملكية والكنائسية خلال مدة تزيد عن عامين ثم رضخت فى النهاية .

وعندما أعلن قرار الاميرة وقفت صحيفة اخرى وقورة بجانب « الميرور » وهى مجلة « النيوستيتسمان » فقالت : « وظيفة الصحافة اطلاع الراى العام على الحقائق ، والذين يريدون أن يحرّموا الناس من حقهم الديمقراطى فى معرفة أخبار القلب الملكى مخطئون » .

وتزوجت مرجريت بعد ذلك .. اطاعت فى هذه المرة قلبها وتزوجت مصورا ينتمى الى أسرة الصحافة .. ونزل القصر الملكى على رآى الاميرة فالمصور رجل لم يسبق له الزواج .. او الطلاق فرضيت عنه الكنيسة ثم رضى عنه القصر ومنحه لقباً .. ولم تسكت « الميرور » ولم تصمت أبدا بل هاجمت المصور لانه قبل اللقب وظلت سنوات تكتب اسمه العادى « تونى » وترفض أن تكتب انه السيد اللورد ؟! .. لان الصحيفة والمسؤولين عنها كانوا يتمنون دائما أن تتزوج الاميرة واحدا من الشعب !!

وفرض الحب نفسه ، مرة ثالثة ، على الاميرة مرجريت . أحبت رجلا ثالثا ، وطلبت الطلاق من المصور الصحفى .. وطلقت منه فعلا .. وبقيت بغير زواج تنشر الصحف بين الحين والحين تقلبات قلبها وأخبار غرامها باعتبارها أنباء عادية لا تهز العروش ..

أما دوق وندسور فقد بقى ٣٦ عاما حتى مات عام ٧٢ وهو يحب « واليس سيمبسون » !!

فهرس

صفحة

٧ صحفى يحطم الصخور
٢٦ مجلة للفناضيين
٥٣ قضسية قسلف
٦٧ يموت بحثا عن صورة
٨٣ حرب الابام الستة فى شارع الصحافة
١٠٦ جريدة للبيج
١٢٧ العمال يصدرن سحيفة
١٤٥ سحيفة للجيب
١٧٢ ملك الشبكولاته يقتل سحيفة
١٨٨ هل يفول الحقيقة .. وبلاد تحارب
٢١٥ الصحافة .. وغرام الملوك

رقم الايداع بدار الكتب ٤٦٩١ - ٨٣

الترقيم الدولى : ٣ - ٠٥٣ - ١١٨ - ٩٧٧ ISBN

بكالء اشراكات مجلات داراهل

الكوت : السيد / عبد العال سىونى زغلول - الكوت -
الصفاء - ص. ب رقم ٢١٨٢٣ تليفون ٧٤١١٦٤

جدة - ص - ب رقم ٤٩٣
السيد هاشم على نحاس
المملكة العربية السعودية

THE ARABIC PUBLICATIONS
DISTRIBUTION BUREAU
7, Bishopsthorpe Road
London S.E. 26 ENGLAND

انجلترا :

البرازيل : Miguel Maccui Cury. B. 25 de Maroç. 990
Caixa Postal 7406, Sao Paulo. BRASIL

اسعار البىع فى الخارج للعء المئازفة ٥٠٠ ملزم :

سوريا ٩٠٠ ق.س ، لبنان ٩٠٠ ق.ل ، الاردن ٨٠٠ فلس ، الكوت ١١٠٠
فلس ، العراق ١٢٠٠ فلس ، السعودية ٨٠٠ ريالات ، السودان ١٠٠٠ ملزم ،
تونس ١٢٥٠ مليما ، المغرب ١٢٥٠ فرنكا ، الجزائر ١٢٥٠ سنتيما ، الخليج
٨٠٠ فلس ، غزة والضفة ٢٥٠ ليرة ، الصومال ٨٠ بني ، داكار ٦٠٠ قرنك ،
لاجوس ٨٠٠ بنس ، اسمره ٦٠٠ سنت ، اليمن الشمالي ٨٠ بني ، آديس أبابا
٦٠٠ سنت ، باريس ١٠ فرنكات ، لندن ١٠٠ بنس ، ايطاليا ١٥٠٠ ليرة ،
سويسرا ٤ فرنكات ، اثينا ١٠٠ دراخمة ، فينا ٤٠ شيلينا ، فرانكفورت ٥
ركات ، كوبنهاجن ١٥ كرونة ، استوكهولم ١٥ كرونة ، كندا ٣٠٠ سنت ،
البرازيل ٤٠٠ كروزيرو ، نيويورك ٣٥٠ سنتا ، لوس انجلوس ٤٠٠ سنت ،
استراليا ٤٠٠ سنت ، هولندا ٥ فلورينات .



بداية الصحافة

بدأ محسن محمد عمله الصحفي في مدينة الإسكندرية التي شهدت ميلاد معظم الصحف الكبرى في مصر خلال نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين •

انتقل بعد ذلك الى القاهرة حيث تولى عدة مناصب كبرى في الصحف اليومية والأسبوعية • وهو يشغل حاليا منصب رئيس تحرير جريدة الجمهورية ويرأس مجلس إدارة دار التحرير ، وله الى ذلك نشاط أدبي شمل مجالات فكرية متنوعة ، من أهمها كتاباته التاريخية المعززة بالوثائق النادرة ، وقد كان لكتبه في التاريخ والصحافة صدى واسع عميق لدى القراء في مصر والبلاد العربية •

وقد أصدر كتابين عن الصحافة ، الأول : « حكايات صحفية » عام ١٩٥٤ والثاني : « الصحافة قصص ومغامرات » عام ١٩٨٢ •

وهذا كتابه الثالث يجول فيه بين صحف العالم يقدم قصص النجاح والفشل ، والعمالة والأقزام ، وأشهر المعارك الصحفية والسياسية التي لعبت فيها الصحافة الدور الأول والآخر •

ومحسن محمد وهو يقدم كتابه هذا الى قارئه ، يقدم اليه مادة أدبية وصحفية ، وزاد فكريا ، بأسلوب سهل جميل شائق ، ويضيف الى المكتبة العربية كتابا جديدا هي في حاجة اليه •